جميع المشاركات ترسل باسم رئيس التحرير ويفضل أن ترسل عبر البريد الالكتروني للمجلة أو على قرص مدمج في حدود 1000 كلمة على العنوان الآتي:
تليفون : 44022281 (974+)
تليفون – فاكس : 44022690 (974+)
ص.ب.: 22404 - الدوحة – قطر
البريد الإلكتروني:
aldoha__magazine@yahoo.com

مكتب القاهرة:
34 ش طلعت حرب، الدور الخامس،
شقة 25 ميدان التحرير
تليفاكس: 5783770
البريد الإلكتروني:
samykamaleldeen@yahoo.com

النشء العربي

بين تحديات العولمة والحفاظ على الهوية

هذا عنوان قضية مهمة ناقشها منتدى اليوم الوطني الذي عقد يومي الأربعاء والخميس الموافقين 14و 15 ديسمبر/كانون الأول 2011 بمركز قطر الوطني للمؤتمرات، وتأتي أهميتها من كونها تربط بين حاضر النشء ومستقبله وماضيه في محاولة لزيادة الوعي بما يفرضه الحاضر ويستدعيه المستقبل ويؤسسه الماضي.

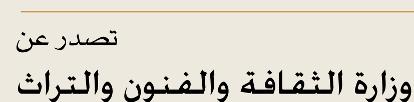
وخلال جلساته الأربع عرضت تسع أوراق بحثية تناولت جوانب متنوعة من القضية: مرتكزات الهوية الوطنية وأهميتها في التماسك الاجتماعي، المشكلات التي تهدد الهوية الثقافية، دور الأسرة في تعزيز الهوية الوطنية لدى الطفل، دور التعليم والإعلام والتكنولوجيا في إبراز رموز الهوية الوطنية. وقدم الباحثون الجادون موضوعات غاية في الأهمية منها: تعريف الهوية، مرتكزاتها، التماسك الاجتماعي، سبل حماية الطفل العربي من مخاطر ضياع الهوية، التركيبة السكانية في قطر وأثرها في الهوية الوطنية، دور الأسرة والتعليم في تعزيز الهوية.

والذي تابع جلسات المنتدى واستمع إلى المتحدثين فيه والمشاركين في المناقشة يستشعر وجود خطر يهدد هوية النشء العربي وبخاصة في المجتمعات العربية ذات التطور السريع والانفتاح على آخر مستجدات العالم المتطور، وما يفرضانه من استيعاب العصر والمضيّ قدماً في التحديث والتنمية مما يشكل تحديات لتلك المجتمعات في الحفاظ على هويتها الوطنية، وهذا بحق ما فطنت إليه رؤية قطر 2030 حيث جعلت أول تحدياتها الموازنة بين التحديث والمحافظة على التقاليد، أي الجمع بين المعاصرة والأصالة.

والمدخل الأمثل لمعالجة هذه القضية هو الفهم الصحيح لمفهومَي الأصالة والمعاصرة، فالأصالة (الحفاظ على الهوية) لا تعني أبداً الانغلاق على الذات ورفض الآخر، كما أن المعاصرة لا تعني أبداً تغريب المجتمع بترك قيمه العربية والتخلي عن ماضيه كله. وهما بهذا الفهم متكاملان غير متناقضين، ولا مناص لنا من الجمع بينهما، وهذا الجمع خيار يفرضه الواقع العملي الذي نعيشه. وبهذا الفهم نقبل الإفادة من الغرب فكراً وثقافة وابتكاراً وعلماً، ونرفضه حين يكون احتلالاً وعدواناً وسلباً لهويتنا الثقافية، كما أننا نتمسك بالتراث ملهماً وموجهاً لنا في حاضرنا ومستقبلنا، ولا نقبل أن نتخذه مصدر جمودنا وانغلاقنا على ذواتنا والتهرب من واقع حياتنا.

إن التحدي الذي يواجهنا في تربية نشئنا العربي يكمن في مدى قدرتنا على توعية الأسرة والمدرسة في المقام الأول باتباع الطريقة الصحيحة لتطبيق هذا الفهم في التربية والتعليم باعتماد خطة ثقافية متوازنة لتنشئة الطفل العربي تقوم على تأصيل هويته الثقافية وتحصينه ضد حالات الغزو الثقافي والاغتراب.

رئيس التحرير



الدوحة

ثقافية شهرية

العدد 51

السنة الخامسة - العدد خمسون

صفر 1433 - يناير 2012

تصدر عن

وزارة الثقافة والفنون والتراث

الدوحة - قطر

صدر العدد الأول في نوفمبر ١٩٦٩، وفي يناير ١٩٧٦ أخذت توجهها العربي واستمرت في الصدور حتي يناير عام ١٩٨٦ لتستأنف الصدور مجدداً في نوفمبر ٢٠٠٧ . توالى على رئاسة تحرير الدوحة إبراهيم أبو ناب ، د. محمد إبراهيم الشوش و رجاء النقاش.

الاشتراكات السنوية

داخل دولة قطر

الأفراد	120 ريالاً
الدوائر الرسمية	240 ريالاً

خارج دولة قطر

دول الخليج العربي	300 ريال
باقي الدول العربية	300 ريال
دول الاتحاد الأوروبي	75 يورو
أمـيـركـا	١٠٠ دولار
كـنـدا واسـتـرالـيـا	١٥٠دولاراً

رئيس قسم التوزيع والاشتراكات

عبد الله محمد عبدالله المرزوقي

تليفون : 44022338 (974+)

فاكس : 44022343 (974+)

البريد الإلكتروني:

al-marzouqi501@hotmail.com

doha.distribution@yahoo.com

ترسل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالريال القطري باسم وزارة الثقافة والفنون والتراث على عنوان المجلة.

الموزعون

وكيل التوزيع في دولة قطر:

دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - الدوحة - ت: 44557810 فاكس: 44557819

وكلاء التوزيع في الخارج:

المملكة العربية السعودية - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع - الرياض- ت: 4871414 - فاكس: 4871460/ مملكة البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف - المنامة - ت: 17480800 - فاكس: 17480818/دولة الإمارات العربية المتحدة - المؤسسة العربية للصحافة والإعلام - أبو ظبي - ت: 4477999 - فاكس: 4475668/ سلطنة عُمان - مؤسسة عُمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان - مسقط - ت: 24600196 - فاكس: 24699672/ دولة الكويت - شركةالمجموعة التسويقية للدعاية والإعلان - الكويت - ت: 1838281 - فاكس: 24839487/ الجمهورية اللبنانية - مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع - بيروت - ت: 653259 - فاكس: 653260/ الجمهورية اليمنية - محلات القائد التجارية - صنعاء - ت: 240883 - فاكس: 240883 / جمهورية مصر العربية - مؤسسة الأهرام - القاهرة - ت: 25796997 - فاكس 27703196/الجماهيرية الليبية - دار الفكر الجديد لاستيراد ونشر وتوزيع المطبوعات - طرابلس - ت: 925639257 - فاكس: 213332610 / جمهورية السودان - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - الخرطوم - ت: 466357 - فاكس: 466951 / المملكة المغربية - الشركة العربية الإفريقية للتوزيع والنشر والصحافة، سبريس - الدار البيضاء - ت: 2249200 - فاكس:2249214/ الجمهورية العربية السورية - مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع - دمشق - ت: 2127797 -فاكس:2128664

الأسعار

دولة قطر	10 ريالات
مملكة البحرين	دينار واحد
الإمارات العربية المتحدة	10 دراهم
سلطنة عمان	800 بيسة
دولة الكويت	دينار واحد
المملكة العربية السعودية	10 ريالات
جمهورية مصر العربية	جنيهان
الجماهيرية العربية الليبية	3 دنانير
الجمهورية التونسية	2 دينار
الجمهورية الجزائرية	80 ديناراً
المملكة المغربية	15 درهماً
الجمهورية العربية السورية	80 ليرة

الجمهورية اللبنانية	3000 ليرة
الجمهورية العراقية	3000 دينار
المملكة الأردنية الهاشمية	1.5 دينار
الجمهورية اليمنية	150 ريالاً
جمهورية السودان	1.5 جنيه
موريتانيا	100 أوقية
فلسطين	1 دينار أردني
الصومال	1500 شلن
بريطانيا	4 جنيهات
دول الاتحاد الأوروبي	4 يورو
الولايات المتحدة الأميركية	4 دولارات
كندا واستراليا	5 دولارات

الغلاف الأول:

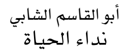


لوحة الغلاف

روكني حارزاده - إيران

مجاناً مع العدد:

أبو القاسم الشابي



متابعات 4

اتحاد أدباء اليمن في اختبار الثورة

الربيع العربي بعيون إسرائيلية؟

ضباب الحرب الأهلية والشعب يريد الكتاب

الخرطوم- ملامح الدولة الوطنية

أبو ظبي - معرض تفاعلي يدق ناقوس الخطر

القاهرة - من أجل السيدة لا الثقافة!

ميديا 12

هل نثق بالويكيبيديا؟

حكومة الـ «فلوبي ديسك»

حجاب توكل كرمان

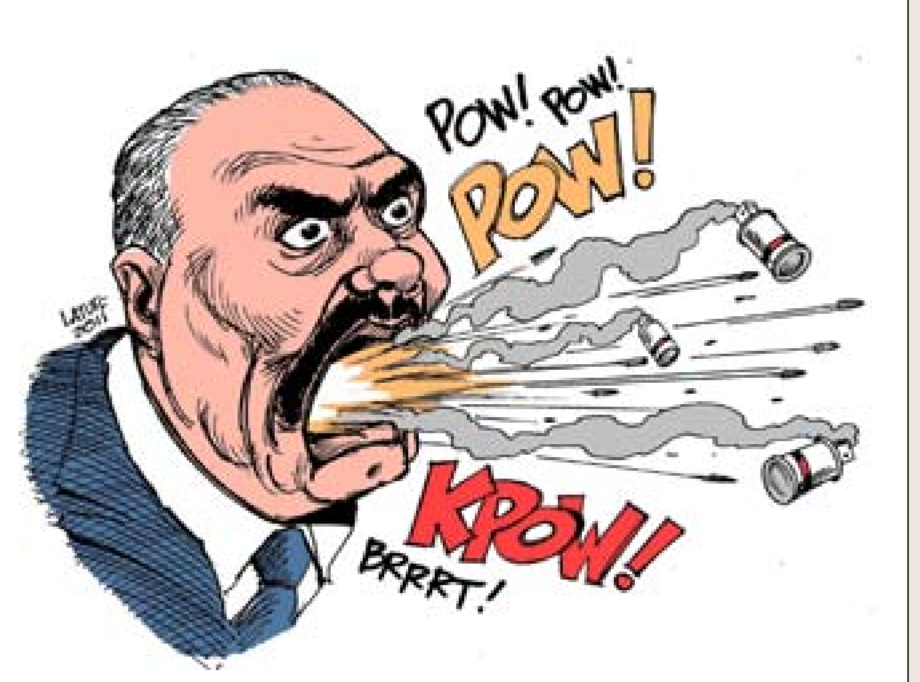
غردت فبكاها الآلاف

مئوية محفوظية

ضحك وهزل على الطريقة المغربية

نصائح للرئيس وما يطلبه المستمعون!

البلاغة المُهلِكة 74



قضية العدد

28

2012 نهاية العالم أم نهاية الطغيان؟



العالم 20

بوتن يقطع الديموقراطية بمقص عتيق
نهاية عصر اللّوبيات
احتلوا وول ستريت لافلسطين

رحلة 66

روما - مدينة الأبد.. جمر وأحضان

أدب 96

الروائي المغربي حسن نجمي
كاتب ياسين غنيمة الأدب
فاتسلاف هافيل
الشاعر العراقي يوسف الصائغ في ذكرى رحيله

نصوص 108

موعد في الربيع (ربيعة ريحان)
ثلاث قصائد (سنان المسلماني)
المرآة (د. علاء عبدالمنعم إبراهيم)

ترجمات 112

من وَحي القُرآنِ (ألكسندر بوشكين)
أزهار وسطشرشف السرير (زويا بيـرزاد)
مسألة زينون (باتريك لولر)

صيد اللؤلؤ 122

الفصيحة والعامية (د. محمد عبد المطلب)

مقالات

ذكرى شيشانية (خوان جويتيسلو) 18
نهاية الدنيا (ستفانو بيني) 39
نهاية العالم في مدن الملح (إيزابيلا كاميرا) 55
الأحزاب الإسلامية ..أسماء وأفعال (حيدر إبراهيم علي) 62
الثقافة والثورات العربية (د. مرزوق بشير) 73
بلاغة الانتهازية الفكرية (عبد السلام بنعبد العالي) 95
في البدء كان الشعر! (أمجد ناصر) 99
الزمن الجميل (أمير تاج السر) 103
إلى ليبيا التي أعنيها.!! (فرج بوالعشة) 160

سينما 136

السّينما الفرنسية... تتحدث بالعربية
تمرّد على الشاشة
الدورة «11» للمهرجان الدولي للفيلم
السينما الإفريقية في أحضان مصر
مهرجان بيروت الدولي للأفلام الوثائقية

فوتوغرافيا 142

كوكلا رفعت.. الجانب الآخر للوجوه (د. إيناس حسني)

تشكيل 144

حصارات.. آمنة النصيري (جمال جبران)

موسيقى 146

مصطفى سعيد.. في مقامات الثورة
عمر فتحي.. أغنية لم تكتمل

دوحة العشاق 149

شفاء الحب (نزار عابدين)

علوم 150

المحمول.. «يطبخ» أدمغتنا
أسرار عصير الطماطم
مخ المرأة أكفأ وأكثر صخباً
المجمع العلمي.. احتراق التاريخ

اتحاد أدباء اليمن في اختبار الثورة

صنعاء - جمال جبران

مجدداً يدخل اتحاد الأدباء والكُتّاب اليمنيين اختباراً قاسياً، وهذه المرة عن طريق ثورة الشباب التي ماتزال قائمة في البلاد منذ بداية العام الماضي، والتي نجحت حتى الآن في إبعاد علي عبد الله صالح عن الحكم، ليصبح رئيساً شرفياً بلا صلاحيات. ويأتي الاختبار الذي يخوضه اتحاد الأدباء مدفوعاً بذلك الإرث الضخم الذي يحمله تاريخه، الذي يقول إنه بقي على امتداده منتصراً للوطن ومتخذاً لموقف مناهض للسلطة، ومواجهاً لها عبر الشخصيات الأدبية الكبيرة التي تتابعت على قيادته، كالشعراء الراحلين عبد الله البردوني وعمر الجاوي ومحمد حسين هيثم. كما أن الاتحاد هو المنظمة المدنية الوحيدة التي بقي كيانها موحداً حتى قبل إعلان الوحدة اليمنية بين الشطرين الجنوبي والشمالي في 1990.

لكن، حتى اليوم، يبدو وضع هذا الاتحاد غامضاً من غير تحديد موقف واضح من «ثورة الشباب»، مثلما فعلت كثير من منظمات المجتمع المدني التي أعلنت منذ وقت مبكر موقفها المنحاز لصف الثورة، وضد نظام علي عبد الله صالح، وقامت بإصدار بيانات طالبته فيها بالتنحي عن الحكم وتجنيب اليمن ويلات وشرور حرب أهلية جديدة.

وقد كان اتحاد الأدباء سابقاً مبادراً وبمفرده لإصدار بيانات التنديد بممارسات السلطة الشمولية المناهضة لحرية الرأي والفكر وإدانة حملات القمع التي كان يتعرض لها أصحاب الرأي، من المثقفين والأكاديميين. لكن يبدو أن الأمر قد اختلف الآن مع الثورة وبقيت الأمانة العامة لاتحاد الأدباء في موقف المتفرج، لم تقم بإشارة واحدة تفيد بموقف محدد من هذه الثورة وموقفها من أعمال القتل والعنف التي قام وما يزال النظام يقوم بها ضد شباب الثورة. ولم يقم بإصدار بيان صريح يوضح موقفه من كل هذا الحاصل. وبقي الأمر محصوراً في مواقف فردية من قبل بعض الأدباء المستقلين الموجودين في قوام الأمانة العامة للاتحاد والتي أظهرت موقفها المنحاز مع الثورة بشكل صريح، لا لبس فيه. إضافة لموقف ظاهر من قبل عدد كبير من الأدباء الشباب الذين يقفون على طول الوقت، متخذين لموقف مناهض لنظام صالح حتى من قبل الثورة، وكان من الطبيعي أن يستمر موقفهم منه بعد انطلاقتها.

لا يرى الشاعر ماجد زيدان غرابة في صمت الأمانة العامة لاتحاد الأدباء والكُتّاب اليمنيين الحالي من ثورة الشباب السلمية، وعدم إعلانها عن موقف، «حيث صارت رئاسته، منذ الانتخابات الأخيرة، في جيب المؤتمر الشعبي العام (حزب علي عبد الله صالح) بعدما نجح هذا الحزب وبفضل الأموال الضخمة التي صبّها في ساقيته لشراء أصوات الأدباء، مستغلاً الحالة المادية الصعبة التي يعاني منها عدد كبير منهم»، قال ماجد مضيفاً «إنه من الطبيعي، وفي ظل الوضع الذي صار إليه الاتحاد، ألا يكون قادراً على مخالفة توجهات السلطة أو الخروج عن الخط المرسوم له». وبحسب ماجد أيضاً: «لقد وصل الأمر إلى درجة إصدار اتحاد الأدباء لبيانات يندد فيها بالحركات الاحتجاجية الشعبية التي كانت في المناطق الجنوبية من اليمن وخرجت محتجة على سياسة الفساد والإفساد التي انتهجها صالح وعمليات النهب المنظمة التي مارسها على ثروات الجنوب، وإبعاد أبنائها وتسريحهم من وظائفهم العامة، وعلى وجه الخصوص من صفوف الجيش».

لكن الشاعر محمد عبده، وهو أحد أعضاء اتحاد الأدباء، المنتمي حزبياً للمؤتمر الشعبي العام الحاكم، قد نفى أن تكون الأمانة العامة للاتحاد تنكرت لدورها الريادي التاريخي الكبير والمشهود لها طوال عمر الاتحاد بموقف منحاز للفرد في مواجهة النظام، مشيراً إلى أن قيادة الاتحاد قد أعلنت - ولو عن طريق مواقف فردية تنتمي لقوامها الإداري - انحيازها لموقف مناهض لممارسات السلطة، حيث تعذر لأكثر من مرة عقد اجتماع لتحديد موقف واضح يقف في صف الثورة.

لكن هل يعقل أن يبقى الاتحاد صامتاً تجاه أعمال القتل الصريحة التي قام بها نظام صالح ضد شباب الثورة؟ إن اتحاد الأدباء اليمنيين وإن لم يسقط في اختبار الثورة فقد سقط عندما اكتفى بالصمت ولم يعلن موقفاً محدداً إزاء كل ما حدث.





الربيع العربي بعيون إسرائيلية؟

باريس- خاص للدوحة

خلّفت الدورة الثالثة من تظاهرة «صالون الكتابات المتوسطية» (3 - 4 ديسمبر/كانون الأول)، المنظم بمدينة مرسيليا الفرنسية، جدلاً واسعاً عقب رفض الشاعر الفلسطيني نجوان درويش السماح للكاتب والصحافي الإسرائيلي موش سكال بالمشاركة في ندوة أدبية حول الربيع العربي. وكان برنامج الندوة المعد سلفاً خالياً من الاسم الإسرائيلي، الذي كان جندياً سابقاً في صفوف جيش الساحل. بحسب البرنامج الذي وزعته الجهة المنظمة، المتمثلة في جمعية «ايكريماد»، والوارد على موقعها الالكتروني، فإن الندوة نفسها كانت من المفروض أن تنحصر في الروائيين: المصري خالد الخميسي، والمغربي الطاهر بنجلون، والليبي كمال بن حماده والشاعر نجوان درويش.

محاولة إقحام الكاتب الإسرائيلي، ودفعه للإدلاء برأيه في الربيع العربي، خلفت أيضاً استغراباً لدى الجمهور، الذي تعاطف جزء كبير منه مع موقف الشاعر الفلسطيني. والمعروف أن صالون الكتابات المتوسطية عرف، خلال الدورتين الماضيتين، غياب الكتاب والأدباء الفلسطينيين، الذين رفضوا الجلوس إلى جانب كتّاب «دولة الاحتلال»، وهذه السنة شهدت، لأول مرة، مشاركة فلسطينية. وذكر درويش في تصريح له: «اشترطت قبل المجيء إلى مرسيليا عدم الجلوس إلى جانب إسرائيلي في ندوة مشتركة». وهو موقف مبرر خصوصاً إذا أدركنا أن الإسرائيلي المقصود هو جندي سابق في جيش الاستيطان.

وعرف الصالون نفسه تنظيم عدد من الندوات، مع طرح أسئلة تتعلق بمنطقة البحر الأبيض المتوسط، منها ندوة «هل يوجد وعي متوسطي؟» شارك فيها كل من عزة فيلالي (تونس)، مايسة باي (الجزائر)، ماريو ليفي (تركيا)، ايرسي سوتيروبولس (اليونان) وسرجي بامياس (إسبانيا)، وندوة «الترجمة: لغة مشتركة حول المتوسط»، بمشاركة سيلفي كوان وموش سكال (إسرائيل)، كوليت فيلوس (فرنسا) وروزات لوي (إيطاليا). وندوة أخرى حول الرواية، مع هدى بركات (لبنان)، خوزي لويس بيكسوتو (البرتغال) وفؤاد العروي (المغرب).

«صالون الكتابات المتوسطية» هو واحد من اللقاءات الأدبية التي تجمع بين أدباء حوض المتوسط. يحاول التقريب بين الكتّاب. مع ذلك، يبقى عليه الوعي ببعض الحقائق السياسية الدائرة في المنطقة وعدم الخلط بين الضحية والجلاد.

ضباب الحرب الأهلية والشعب يريد الكتاب

بيروت - سحر مندور

«معرض بيروت العربي الدولي للكتاب» (2 - 15 ديسمبر/كانون الأول2011) في دورته الخامسة والخمسين عرف صدور أعمال كوكبة من أهم الروائيين. أمثال إلياس خوري الذي أصدر روايته الجديدة التي طال انتظارها، المعنونة بـ«سينالكول».

وبينما لم يحدّد عنوانٌ عام للمعرض، فإن لافتة استقبالية تباغت الزائر، تقول: «الشعب يريد الكتاب»، في استعادة ربما تكون غير موفقة، لشعار حثّ الجماهير العربية على مواجهة الموت في الشوارع من أجل تحقيق ما «تريد»، على عكس الحال التي تعيشها أروقة المعرض، الخالية، في آن، من الموت ومن الجماهير.

سبقت افتتاح المعرض لهذا العام مقالات كثيرة نشرتها الصحف اللبنانية، نقلت أجواء القيمين على دور النشر، كما «النادي الثقافي العربي» الذي ينظم المعرض، على مستوى درجة الإقبال والبيع المتوقعة. معظم ردود الفعل أتت سلبية، إذ حدّدت نسب تراجع مبيع كتبها، منذ اندلاع ثورات العرب، بما يتراوح ما بين أربعين وسبعين في المئة. إلا أن تراجع مبيع الكتب لم يبدأ مع هذا العام، وإنما يردّه بعض الناشرين إلى العام 2005، أي منذ اغتيال الرئيس رفيق الحريري في بيروت، وما تلاه من توترٍ مستدام في الأجواء السياسية والأمنية.

في المقابل، اعتُبر إقبال دور النشر العربية على المشاركة في معرض بيروت لهذا العام إيجابياً، وردّ القيمون عليه ذلك إلى انشغال عواصم الكتاب العربي بغليانها الداخلي عن تنظيم المعارض، ما رفع عدد الدور والمكتبات العربية المشاركة في معرض بيروت من 33 إلى 53.

وقد بدت في المعرض لافتة عودة الكثير من أبرز روائيي لبنان إلى موضوع الحرب الأهلية. ربما يكون السبب في ذلك المناخ الحاد الدامي الذي يعيشه لبنان منذ سنوات، وهو مناخٌ لا يأتي في سياق حرب أهلية، وإنما، دائماً، في سياق تفاديها. حيث نشر إلياس خوري الرواية التي ذهب فيها من مُعاش ومنام فلسطينية «كأنها نائمة» (2007 - دار الآداب) إلى حرب لبنان. في «سينالكول» (دار الآداب). تنطلق الرواية من عودة الدكتور كريم من هجرته وزوجته وعائلته الباريسية إلى ذكريات بيروت ونار حاضرها وراهنها، والهدف الواضح من الزيارة هو مشاركة الشقيق نسيم في تأسيس مستشفى. ولكن، في تلك الزيارة نفسها، تتداخل الأزمنة والأمكنة، كما هي العادة في روايات خوري، وتتداخل الوجوه، وتتسلسل أحداثها، وتتركّب العلاقات، بهدوء يسم أشد اللحظات صخباً، عاطفياً وحربياً وعقلياً. القصف، وانقطاع الكهرباء، ونساء صنع برفقتهن الحب، وزوجة تخاف من زيارة زوجها لماضيه، تخاف منها على حاضره وأولاده، وعلى نفسها.

أما عباس بيضون، المعروف بشاعريته، فقد اختار مرة ثانية الرواية، ليروي قصص صور من «ألبوم الخسارة» (دار الساقي)، كأنه يزيل مع كل قصة ورقةً من روزنامة أرّخت له أربعة وستين عاماً. ورقة برفقة الابنة، وأخرى برفقة الابن. أكثر من ورقة برفقة الهرّ المسنّ، ما بين التماهي والترفّع، ورمي الموت في ما بينهما، ككرة نار، كفدية. أما الأوراق الباقية فكلها مخصصة للمغامرات مع النساء. كأنه يروي عبرها سيرة بعض من شباب ذاك الجيل، وكهوله لاحقاً، الذين ثاروا على المعتقدات في أحزابٍ حمراء انقلابية، وأولها تابو الجنس، فمارسوه، وإن لم يبدلوا الكثير في انطباعاتهم وصورهم النمطية عن المرأة، وهم لا يترددون أمام حربٍ صارت أهلية.

في الحرب الأهلية أيضاً، كما في حرب سبقتها وربما راكمت لها، نشر الروائي ذو العالم الخاص ربيع جابر روايتين. هما «دروز بلغراد» (المركز الثقافي العربي)،



التي تسرد حكاية حنا يعقوب المسيحي الذي يُنفى مع مجموعة من الدروز، عقب أحداث العام 1860 الدامية. و«طيور الهوليداي إن» (دار التنوير)، التي تتألف من 648 صفحة، تقبض على جو من الحرب الأهلية، وينقل ملخص غلافها الخلفي أخباراً تكاد تكون صحافية عن «مفقود غادر منزله»، فمفقودتان غادرتا منزليهما، فمفقودة رابعة. ومن المعروف أن واحداً من أقسى وجوه الحرب الأهلية اللبنانية هو «خرج ولم يعد»، وهو لا يزال ماثلاً حتى اليوم في خيمة اعتصام مستمر منذ أعوام في وسط بيروت، يطالب بكشف مصير المفقودين والمخفيين قسراً خلال تلك الحرب.

ومع عودة كل من ربيع جابر وإلياس خوري وعباس بيضون إلى الحرب، تقرر هدى بركات أن تخصص «ملكوت هذه الأرض» (دار الآداب) للعودة إلى قرية تقع «بين الخرافة السحرية والوقائع المدونة بخفة, في المرتفعات الشمالية حيث يتحصّن هؤلاء الموارنة من أعدائهم الكثيرين، وحيث تمرّ الحروب على مدى قرن». بين أديرة الوادي المقدس، حسبما تكتب بركات، وسير البطولات المحلية، «يختلط حب الوطن بغياب الوطن». من جهتها، أصدرت أيضاً حنان الشيخ كتاباً حمل عنوان «صاحبة الدار شهرزاد» (دار الآداب).

وقد كان متوقعاً صدور رواية جديدة للروائي المخضرم حسن داود، إلا أن ضيق الوقت لم يتح ذلك، فتبقى حاضرة قصص مجموعته «فيزيك» (دار الساقي)، إلى جانب طبعتين جديدتين من «أيام زائدة» و«غناء البطريق».

كما شهد المعرض صدور أعمال جديدة أخرى، منها «حيوات أخرى» (دار الراوي) لإيمان حميدان، و«أوهام» (الساقي) لنازك سابا يارد، و«علي الأميركاني»(الساقي) لهالة كوثراني، وباكورة سحر مقدّم «أنا وكريم والسوشي» (الساقي)، و«حانة رقم 2» (الآداب) لليلى عيد، و«نساء يوسف» (الآداب) للينا كريدية، و«غداً يزهر نيسان» (دار الفارابي) للميس العبد الله فرحات.

الموريتانيون يتغنون بوطنهم كالآخرين

نواكشوط - عبدالله ولد محمدو

أقام اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين برعاية من وزير الدولة للتهذيب الوطني ووزيرة الثقافة، المهرجان الأدبي السابع بين 14 و16من شهر نوفمبر 2011م، حاملاً في نسخته الجديدة شعار الولاء للوطن، منفتحاً على مختلف الثقافات المحلية، محتفياً بالقضايا العربية والعالمية، فلم تخل فعالياته رغم طابعها المحلي من شعر يلامس الهموم العربية, حيث ألقى الشاعر المختار السالم ولد أحمد سالم في هذا المهرجان قصيدة عن الربيع العربي.

وقد تميز هذا الحدث بتناغم بين الجهة الحكومية الراعية والقوى الثقافية المبدعة، ولعل من أوجهه التزام هذا المهرجان الذي يعد أبرز تقليد ثقافي سنوي في البلد يعنى بقضايا الوطن وهموم الأمة الموريتانية، حيث اختار منظموه شعار: «التغني بأمجاد الوطن»، هذا الشعار الذي علله الأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين قائلاً: إن الأدباء والكتاب الموريتانيين في اختيارهم هذا الشعار لم يكونوا بدعاً من الأدباء والكتّاب في أنحاء المعمورة، إذ طالما تغنى الأدباء والشعراء بأوطانهم، سارداً بعض روائع الشعر العربي المتشبثة بالوطن، ويسترسل المنسق العام لهذا المهرجان الشاعر كابر هاشم قائلاً: «لقد نجح اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين في إرساء هذه السنة الحميدة المتمثلة في هذه الخيمة الشعرية التي يقصدها الشعراء والكتّاب من مختلف أطراف الساحة الأدبية والثقافية ؛ حيث يستعرضون



أحلامهم ورؤاهم، ويعيشون همومهم وآمالهم وآلامهم».

وقد عرضت النصوص الفائزة في مسابقات الشعر الفصيح والشعبي والقصة القصيرة والبحث العلمي، واحتفى اتحاد الأدباء والكتاب في الختام باثني عشر مكرماً لبعضهم بصمات ريادة مشهودة داخلياً وخارجياً.

وكان للجمهور موعد مع عروض تمثيلية مسرحية في (ليلة الختام)، افتتحها الممثل المسرحي «باب ولد ميني».

ويعد الثراء والتنوع توجهاً جلياً تمثل في مشاركة شعراء من مختلف الأجيال، بلغ عددهم زهاء 120 شاعراً، تخللت إلقاءَهم ندوات وحوارات وبحوث في قضايا ثقافية وطنية ودولية. وكان للشعر الزنجي حضوره في المهرجان، تأكيداً على لحمة المجتمع الموريتاني.

ملامح الدّولة الوطنية

الخرطوم- طاهر محمد علي

في ظل التغيرات السياسية التي تعرفها السودان، خصوصاً بعد انفصال الجنوب، وما نتج عنه من تأثيرات سياسية واقتصادية واجتماعية، ثم امتداد الربيع العربي إلى الجارتين مصر وليبيا، خرج، أخيراً، من دائرة الظل، وأقام مؤتمره الخامس (3 - 4 ديسمبر/كانون الأول)، بجامعة الخرطوم، تحت شعار «مستقبل الدولة الوطنية في السودان»، تزامناً مع الذكرى الخامسة والعشرين لرحيل رئيسه الأول جمال محمد أحمد.

سلسلة الأوراق التي قدمها المتداخلون في المؤتمر دلفت إلى محور الثورات العربية، على غرار ورقة الشيخ محمد الشيخ المعنونة «الكائن الجمعي يحبط الحل الأمني». الذي اعتبر ثورات الربيع العربي خير نموذج لانبثاق الكائن الجمعي، وتجسيد خصائصه التكوينية، بعد أن نال من زبانية الطاغية صنوفاً من التعذيب والتقتيل. وتساءل الشيخ: «ما هو مصير الكائن الجمعي بعد انتصار الثورة؟ هل يظل في تماسكه وتعاضده، أم أن الوعي الجمعي ينحل ويضمحل، ومن ثم يأخذ الكائن الجمعي في التشظي؟». الإجابة عن هذا السؤال تكشف مآل الثورات العربية الراهنة في تمكنها من تحقيق تحولات جذرية في البناء الاجتماعي، وتحقق مجتمع الحرية والعدالة والمساواة، الذي يسوده الوعي الخلاق. من جانبه، اعتبر الناقد راشد مصطفى بخيت في ورقته «التعدد الثقافي في السودان» أن الفكر السياسي السوداني يواجه أزمة حقيقية في قضية التعدد الثقافي، خاصة بعد انفصال جنوب السودان، باعتبار أن الإفراط في التركيز على جنوب السودان لتبرير مشروعية المطالبة بالمواطنة والدولة المدنية بدرجات متفاوتة في الفكر السياسي، رسم صورةً غائمة للشمال الجغرافي، إذ صوّره كأنه «كتلة» جغرافية «متجانسة ثقافياً» تفرقها



جمال محمد أحمد



علي عثمان محمد صالح

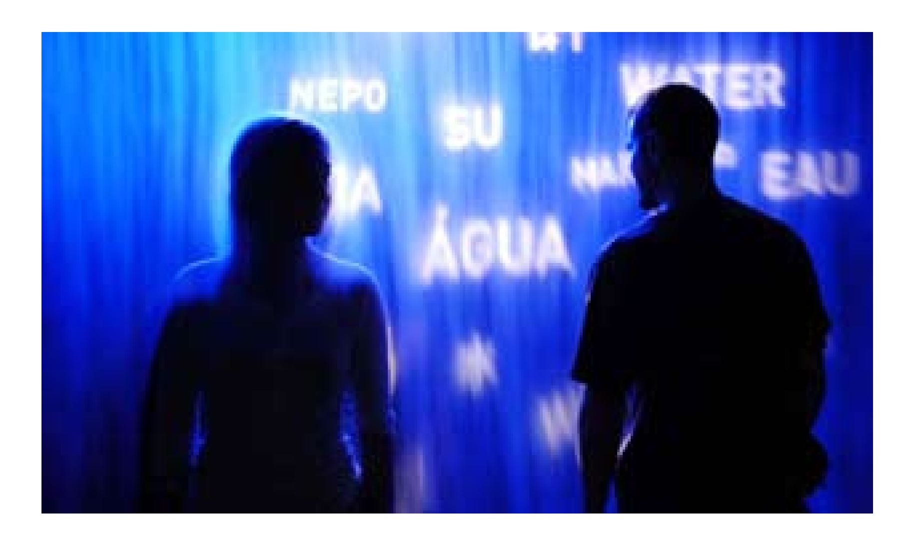
الأصول العرقية، وبالتالي تسقط ضمنياً دعاوى التعددية الثقافية ويبقي «الدين» أو «العرق» الإطار المرجعي بالنسبة للدولة ودستورها ومؤسساتها المدنية، كما تكرّس لذلك تجربة الإسلامويين، بالاستناد إلى تراث ما سبقها من تجارب الحكم. وخلص المتحدث لا القول: «إذا اعتبرنا مفهوم الدولة القومية في هذا العصر، ردّة شبه كاملة إلى القرن التاسع عشر، فإن تجربة الإسلام السياسي تفوق ردة الدولة القومية بأبعد من ذلك، إذ يخلو التراث الإسلامي من مفهوم يقابل فكرة المواطنة بصورتها القديمة أو المعاصرة، كما يؤكد ذلك سمير أمين ومحمد أركون».

وأكد بخيت أن هذه الرؤية تنهض على خطأ منهجي يكمن في اعتبار الدين هو الثقافة نفسها بالنسبة لنظام الحكم، في عزلة شبه كاملة عن المفاهيم المتعددة للثقافة في حقول الإنثربولوجيا وعلم الاجتماع والسياسة، التي تعتبر الدين نفسه، ليس أكثر من مجرد عنصر واحد فقط من عناصر الثقافة الأخرى التي تضم العادات والتقاليد واللغة والتراث المادي والأدبي.

الدكتور الوليد آدم مادبو تناول عبر ورقة «الحكمانية: تحكم أم إحكام؟!» تعليقاً على تجربة الحكم المحلي في السودان حيث خلص إلى افتقاره التام للمنهجية، والتغييب المتعمد للتدابير المؤسسية، ما أدى لإهدار طاقة حكمية كان يمكن أن توظف في تعميق مفهوم الحكمانية، وترسيخ مبادئ الحكم الراشد الذي يستلزم وجود الدستور كجهة منظمة للعلاقات الرأسية والأفقية بين المواطنين، متتبعاً مراحل وصفها بالتردي الإداري والسياسي في السودان.

وحفلت ورقة البروفيسور علي عثمان محمد صالح «الثقافة السودانية الوطنية القومية الجامعة وعاديات السياسة» بعرض للموجات الثقافية الوافدة على الثقافة السودانية منذ القرن التاسع عشر حتى عام استقلال السودان 1956. وقال صالح: «إن الساحة الثقافية السودانية الحالية تمر بمرحلة حادة من التفاعلات الحضارية والثقافية، ولن يستقر بها المقام إلى مرحلة تأصيل ثقافي قبل وقت طويل جداً، وهو أمر صحي ومرغوب، لكن المطلوب أن تبقى الثقافة هي مجمل التجربة الإنسانية، والإحساس بالممارسة الحياتية، وهذا الإحساس يمكن أن يكون من نصيب أي فرد متفاعل مع الأحداث الثقافية، لكن المهم أن يوجه الوجهة الصحيحة، وأن يترك لينفذ في جو من الليبرالية الفكرية وديموقراطية التفكير».

الماء ثقافياً
معرض تفاعلي يدق ناقوس الخطر



أبو ظبي- حنان شافعي

تنظم هيئة أبوظبي للثقافة والتراث بالتعاون مع المتحف الأميركي للتاريخ الطبيعي معرضاً ضخماً حول ثقافة الماء ودوره في مختلف حضارات العالم شرقاً وغرباً ومن ثم التأكيد على المشكلات المتصاعدة التي تخص المسطحات المائية والتي تكمن أسبابها بنسبة كبيرة في سوء الاستغلال من قبل بعض الدول وعدم ترشيد استهلاك الماء في كثير من الدول العربية والمجتمعات الأخرى.

انطلق المعرض تحت عنوان «المياه: H2O=الحياة» في قاعة حي قصر الحصن الثقافي بقلب مدينة أبوظبي بتاريخ 19 سبتمبر 2011 وحتى 5 يناير القادم 2012 ، طول فترة المعرض يعود إلى رغبة المنظمين في فتح المجال أمام الجمهور وطلاب الجامعات والمدارس أكبر وقت ممكن، ولعله سبب وجيه لجدوى مثل هذا المعرض الذي تغلب عليه الصفة التقنية من حيث استخدام المجسمات المتعددة الأشكال والأحجام بما يميل إلى الجو التعليمي والدراسي أكثر من الجماهيري، كذلك يضم المعرض أكثر من شاشة عرض كبيرة يشاهد من خلالها الزوار مواد فيلمية وتليفزيونية ثلاثية الأبعاد وعالية التقنية تتطرق إلى: تاريخ الماء على الكرة الأرضية و نسب الاستهلاك في مناطق متفرقة من العالم مثل بريطانيا والإمارات وإثيوبيا والولايات المتحدة.

وعلى الرغم من الشخصية العلمية للمعرض فإنه يضرب بعمق في الأبعاد الثقافية للشعوب سواء بصورة مباشرة تتضح مثلاً في القسم الذي يعرض علاقة الهنود بالماء والأنهار حيث ترتبط ديانات هندية بالاغتسال والانغماس في الماء في مناسبات دينية معينة، أو استجداء لرضا الآلهة مما يؤدي بطريقة ما إلى تلويث تلك الأنهار وحرمان الآخرين من الانتفاع بمياهها أو تتحول إلى ناقل للأمراض والملوثات. أما الصورة غير المباشرة التي تبرز الجوانب الثقافية للماء في حياة الأمم فترتبط بالجغرافيا في معظم الأحيان حيث تتحكم الآبار والأفلاج مثلاً في حياة أبناء الصحراء وأماكن استقرارهم كما كان الحال في الإمارات ومنطقة الخليج بصفة عامة قديماً. كما يبرز المعرض الدور الثقافي في حياة وشخصية الشعوب الآسيوية من خلال خرائط ومجسمات تعكس النشاط الزراعي الذي تتحكم فيه كمية ومنسوب المسطحات المائية في تلك البلاد، فنجدها مثلاً تتجه إلى زراعة الأرز الذي يأتي على قائمة الأطعمة الآسيوية، إضافة إلى أنواع من الخضراوات والأعشاب التي تعرف بها هذا المناطق وأصبحت جزءاً من تكوينها الجسماني والثقافي.

من جانب آخر وبالتوازي مع التقنيات الحديثة المستخدمة في المعرض يمكن للزائر أن يجد أشكالاً ومجسمات أخرى غاية في العمق من حيث الرسالة. ومن بين هذه المجسمات صندوق زجاجي مستطيل يمتلئ بعدد ضخم من زجاجات المياه الفارغة تمثل حجم استهلاك المواطن الأميركي للمياه بهدف الشرب، في إحالة على أزمة الاستهلاك العالمية التي تتجلى مظاهرها بصورة فادحة في الدول الرأسمالية الكبرى نظراً لرفاهية الحياة وغلبة المواد المجهزة سلفاً على الطبيعية. في المقابل وتحت عنوان «لا توجد قطرة واحدة للشرب» يطلب مشرفو المعرض من الزوّار أن يرفعوا وعاءً مليئاً بالماء، وهو أمرٌ تقوم به ملايين النساء والفتيات في البلدان الجافّة كلّ يوم. كما تظهر معروضات أخرى الآنية القديمة والحبال المصنوعة من سعف النخيل و التي كانت تستخدم في مجتمعات الرعي البسيطة.

واستكمالاً للرسالة التعليمية التحذيرية للمعرض يجد الأطفال واليافعون من الزوار ألعاباً مختلفة تناسب كل مرحلة عمرية تتحدث عن الماء في دول مختلفة وتطلب من المستخدم إدخال اسم دولته لكي يدور الحديث حولها، كما توجد ألعاب المكعبات التي يغرم بها الصغار فضلاً عن المجسمات الحيوانية كالدب الأبيض وبيئته الجليدية والأسماك النادرة المهددة بالانقراض بسبب مشكلات البيئة المائية، ويلاحظ تطابق تلك المجسمات بقوة مع الصورة الحقيقية للحيوان وهو يلعب دوراً في إبهار الزوار الصغار وتقبلهم.

دستور ثقافي للتخلص من المثقف الخامل

القاهرة - سامي كمال الدين

حركة «دستور ثقافي» بعد ثورة 25 يناير.. هل خرج المثقف الخامل من حظيرته التي وضع فيها أثناء عصر مبارك؟

كان هذا هو السؤال الذي أطل بعد تأسيس هذه الحركة، التي وضعت أسساً لها تتضمن الحرية والعدالة، وعمل إطار للحراك الثقافي مع السلطة والمثقفين والمؤسسات المختلفة، يضم بنود الهوية وحرية التفكير ضمن مواد الدستور المصري.

الحركة التي ساهم في تأسيسها الروائي حمدي الجزار والمخرج المسرحي أحمد إسماعيل والشاعر والمترجم رفعت سلام والفنان التشكيلي عز الدين نجيب تطالب بصعود كل التيارات السياسية والفكرية لقيادة البلاد «قومية، ماركسية، سلفية، إخوانية، جهادية، ليبرالية» للانتقال عبر مشترك واحد وهو الوطن الكبير الذي يتسع للجميع، و«يؤصل الأصول، ويضع حجر الأساس لرؤية مشتركة تتعلق بالثوابت الثقافية، المؤسسة لحرية الوعي والثقافة والإبداع، بلا قمع، بلا أسلاك شائكة، بلا وصاية أو تحجُر أو استلاب، وخاصة في ضوء حقيقتين موضوعيتين: أولهما ما شهدته الحياة الثقافية المصرية طوال السنوات الثلاثين الأخيرة من قبل مثقفين منتفعين من استمرارية وجود المسؤولين المجرمين على كراسي السلطة، والثاني ما تشهده الحياة المصرية منذ قيام الثورة من صعود تيارات سياسية وفكرية تتبنى أطروحات ظلامية قمعية، مضادة لحرية الثقافة والعقل والإبداع، بل لحرية الإنسان ككل».



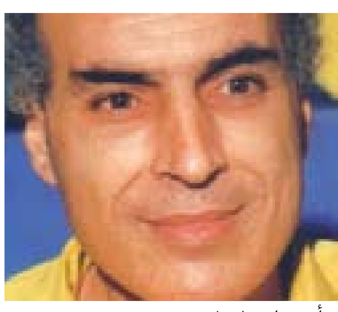
رفعت سلام



عز الدين نجيب



حمدي الجزار



أحمد اسماعيل

الراوائي حمدي الجزار صرح لـ «الدوحة» بأن المثقف المصري لم يكن خاملاً في أي وقت من الأوقات سواء بعد أو قبل أو أثناء ثورة 25 يناير، لم يدخل كل المثقفين إلى حظيرة فاروق حسني، والذين دخلوا معروفون، ومنتوجهم الإبداعي يدل على ما قدموه، كما أننا يجب أن نضع في بالنا إغراءات المنصب، والسلطة، ووضع المثقف الاقتصادي والاجتماعي، لكن المثقف المصري الحقيقي كان صوت الثقافة المصرية، وكان صوت المقاومة بدليل الحركة الثقافية التي كانت موجودة قبل ثورة 25 يناير والتي أعاد المثقف بعدها اكتشاف ذاته، وانضم فعلياً كأفراد وجماعات إلى ميدان التحرير، ومازالوا يواصلون نضالهم.

كما طالب الجزار المثقفين بالتمسك بأهداف ومبادىء حركة الدستور الثقافي حتى الرمق الأخير من حياتهم، لأنها كانت حلماً منذ رفاعة الطهطاوي، فلا أحد يختلف على قيم الحرية والعدالة الإنسانية والقيم الأساسية للمجتمع، فالمثقف في النهاية هو ضمير أمته.

مصر تولد من جديد، وهذا الميلاد الجديد يحتاج إلى عقد اجتماعي جديد وقيم جديدة يجب أن نتمسك بها في الثقافة المصرية، وهي القيم التي ناضل المثقفون من أجلها طويلاً، فلا يوجد إبداع دون حرية، نحن ضد كل أشكال الرقابة وكل أشكال الوصاية على المبدع، مؤسسات الدولة ملك للشعب، والمثقفون جزء من الشعب وجزء من آماله.

على النقيض من ذلك يرى الناقد رضا عطية أن الفكرة مثالية وأنها طرحت قبل ذلك، «وإذا أراد المثقف المصري أن يلعب دوراً حقيقياً في المجتمع المصري فعليه أن يهتم بتعديل التعليم وتأسيسه بالشكل الصحيح لأن التعليم هو النواة الأساسية لأي ثقافة حقيقية، وهو الأحق بالانتباه له لأنه هو الذي يصنع المثقف الحقيقي، وليس حركة تطالب بوضع مبادىء في الدستور المصري، فالمواطن غائب بالأساس ولا يدرك قيمة المثقف ودوره العظيم في مجتمعه، ولن يدرك ذلك إلا إذا نشأ تعليمياً على هذا الأمر».

من أجل السيدة لا الثقافة!

القاهرة - مكتب الدوحة

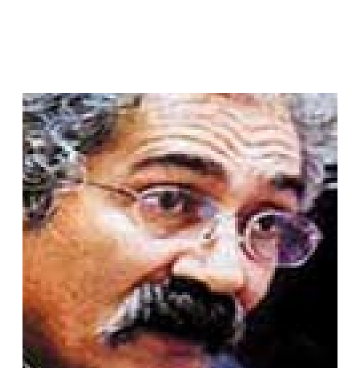
يواجه مشروع «مكتبة الأسرة» المصرية أزمة حادة بسبب انسحاب جميع الوزارات والهيئات التي كانت تموله.

المشروع الذي تتبناه الهيئة المصرية العامة للكتاب كان قد تأسس برعاية السيدة سوزان مبارك قرينة الرئيس المخلوع، وكانت صورتها تتصدر الغلاف الأخير من كل كتاب مع كلمة تحمل توقيعها.

ميزانية مكتبة الأسرة المعتمدة من هيئة الكتاب كل عام ثمانية ملايين جنيه، كانت تصل إلى عشرين مليون جنيه في بعض الأعوام بفضل الجهات الداعمة وهي: جمعية الرعاية المتكاملة المركزية، وزارة الثقافة، وزارة الإعلام، وزارة التربية والتعليم، وزارة الإدارة المحلية، وزارة الشباب.. بل وهناك هيئات عربية وخليجية كانت ترسل ملايين الدولارات كلها توقفت.

الدكتور أحمد مجاهد - رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب أكد لـ «الدوحة» أن جميع الهيئات الداعمة لمكتبة الأسرة توقفت بالفعل عن هذا الدعم، ولم يأت جنيه واحد للمكتبة هذا العام من قبل أي جهة.

لا تعنى هذه الهيئات بالمواطن المصري وبخلق مكانة ثقافية له يستحقها أو بتثقيفه عبر الكتب المهمة التي تصدرها مكتبة الأسرة. بل إرضاء السيدة الأولى. نحن نعتمد على الميزانية الأساسية للمشروع التي تبلغ ثمانية ملايين من الجنيهات، وحتى نستطيع توفير الدعم تم تكوين لجنة برئاسة الكاتب الكبير إبراهيم أصلان لاختيار الكتب المناسبة، ونحن لا نتدخل على الإطلاق في اختيارات هذه اللجنة.



ابراهيم أصلان



أحمد مجاهد

إبراهيم أصلان رئيس لجنة اختيار النصوص اختار مجموعة لتعاونه في الاختيارات وهم : د. أحمد شوقي، ود. أحمد زكريا الشلق، ود. محمد بدوي، وعبلة الرويني، وعلاء خالد، وكمال رمزي، وطلعت الشايب، وكان وحيد عبد المجيد ضمن اللجنة واعتذر لانشغاله بالانتخابات.

يرى أصلان أن الفلسفة الأساسية للاختيارات جودة الكتاب ثم تلبيته لاحتياج القارئ الشغوف بالمعرفة.

وعن الدعم الخارجي أضاف إبراهيم أصلان : «لا نعلم شيئاً عن هذا الدعم، خاصة دعم كتب الأطفال، حيث كانت تأتي له ملايين الدولارات، لكن كل هذه الملايين توقفت بعد سقوط نظام مبارك ورحيل «الهانم» لنكتشف نذالة من نوع خاص تمارس ضد القارئ المصري».

الناشر محمد هاشم يذكرنا بأن بداية أنس الفقي - وزير الإعلام السابق - غايتها الحقيقية كانت من خلال مكتبة الأسرة، حين سعى لتأسيس كيان وهمي اسمه المجمع الثقافي المصري لطباعة الأعمال الكاملة لكبار الكتاب، وقد بدأ بالاستيلاء على هذه الأموال هو وسوزان مبارك، ولا أستطيع انتقاد سمير سرحان عرّاب توزيع غنائم سوزان مبارك من دم الشعب المصري لرحيله.

تم تمويل المشروع في البداية من الموازنة العامة للدولة، ومن الجهات الداعمة التي استولوا على الدعم الذي كانت تقدمه، ولكم أتمنى من الدكتور أحمد مجاهد أن يطرح على الرأي العام أوراق تلك المرحلة المفصلية السابقة للثورة مباشرة من محاولات تصعيد دور نشر تافهة وإغداق الأموال على أماكن ليس لها أي دور ثقافي أو سياسي مميز، أو مختلف بل ومنع الدعم عن أي دار نشر تصدر كتاباً يحمل انتقاداً لنظام مبارك.

وأطالب الدكتور أحمد مجاهد رئيس الهيئة الحالي بالكشف عن الميزانية الخاصة بمكتبة الأسرة وأسماء دور النشر والأموال التي كانوا يتقاضونها ليتم تطهير الثقافة كي تخطو خطوات جديدة بعد ثورة قامت في مصر لتمحو القديم وتبدأ ربيعاً جديداً.

هل نثق بالويكيبيديا؟

جهاد صعيليك

ما حصل في بداية ديسمبر أثار قلق الكثيرين بالنسبة لمساحة المصداقية في أكبر موسوعة مفتوحة على الإنترنت، وهي الويكيبيديا، خاصة أنها في الأصل عرضة لكثير من التساؤلات حول محتوياتها ومدى موضوعيتها وسلامتها من حيث المعلومات والحقائق والاستنتاجات.

كانت هذه الموسوعة قد تأسست في 2001 على أنقاض مشروع النيوبيديا الذي أراد له مؤسسها جيمي ويلز أن تكون موسوعة علمية رصينة، مجانية يكتبها المتخصصون، لكنه لم يلق تجاوباً، فانتقل إلى الويكيبيديا التي يكتبها كل الناس. ونظريته التي بنى عليها هذه الفكرة مشتقة من إحدى نظريات الاقتصادي الألماني فريدريك هايك، وتفترض أن وجود كل هذا العدد من الناس الذين يمكنهم تحرير وتنقيح مادة معرفية هو الضمانة لسلامة ما في هذه المادة من معلومات وحقائق واستنتاجات.

لكن التطبيق خذل الرجل في جوانب شتى، آخرها ما حصل أوائل ديسمبر حين اتضح أن شركة علاقات عامة كانت في الواقع تتدخل على نطاق واسع لتعديل معلومات وأرقام في مقالات ذات صفة معرفية عامة. فالممارس سابقاً أن هذه الشركات كانت تتدخل في المواد ذات الصفة التجارية، مثل توصيف سيارة، أما في المعارف العامة فهنا الفضيحة التي لا تغتفر.

وما سمح بهذا كله هو الطبيعة المفتوحة للويكيبيديا التي تسمح لكل من أراد أن يسجل نفسه ثم يكتب أو يعدل ما شاء (وبالطبع فغيره يستطيع تعديل ما يكتب). وعلى نجاعة النظرية المؤسسة لهذا الوضع، إلا أن التطبيق شابته درجة من الفوضوية، وخاصة في اللغة الإنكليزية، حيث إن عدد من يقومون بالتنقيح (أي مراجعة دقة وسلامة المادة التي تنشر) هم في الواقع أقل بكثير من النسبة التي كان ويلز يأمل أن تؤدي إلى التصحيح التلقائي للمعارف. هنا بالطبع عدا عن حقيقة أن من يكتبون وينقحون هم في الغالب غير متخصصين.

لكن أين يقف القارئ من هذا كله؟ بعد شكاوى تكررت اضطرت الويكيبيديا إلى اتخاذ ثلاثة اجراءات أساسية لضخ المزيد من الصدقية. الإجراء الأول هو توثيق كامل المعلومات الواردة في كل مقالة، لذلك تجد بعد كل مقال قائمة بالمصادر وروابط تلك المصادر على الإنترنت. والإجراء الثاني هو توفير نوع من القوالب الجاهزة للشكل الذي ينبغي أن تكون عليه المقالات بمواضيعها، مثل سيرة حياة شاعر، وما هي المعلومات التي يفترض أن تحتويها.

أما الإجراء الثالث فيتمثل في استخدام مؤشر لوني حسب المصداقية العددية لكل كاتب وعدد التنقيحات التي تمت على المقالة، وبالتالي فهو يقيس الصدقية كمياً ويفسرها نوعياً، ما يعيدنا إلى نظرية الويكيبيديا التي تفترض أنه كلما زاد عدد التنقيحات زادت مصداقية المقالة.

بالنسبة للويكيبيديا العربية، ورثنا فيها مجمل مشاكل الويكيبيديا الأساسية، لكننا نضيف إليها حقيقة الغياب شبه الكامل لعملية التنقيح إلا في أضيق الحدود وفي مجال الإضافة لا التصحيح، لذلك فإن الغالبية العظمى من مقالات الويكيبيديا العربية تعرض في صيغتها الأولى دون مراجعة. لكن هذا لا ينكر منافع توافر كل هذه المواد المعرفية باللغة العربية على اتساع هذه العمل الموسوعي الجبار.

وهنالك نقطة مقلقة تستحق المزيد من الجهد، فالويكيبيديا العربية ليست بالضرورة ترجمة مباشرة للإنكليزية، وما قد تقرأه عن القدس مثلاً بالإنكليزية ليس بالضرورة مشابهاً لما كتب بالعربية، لذلك من المهم أن تكون هنالك جهود مكثفة لتقديم المحتويات والمواد المعرفية الخاصة بالعرب والمسلمين وقضاياهم باللغات الأخرى بشكل يتواءم مع احتياجاتنا جميعاً، بدلاً من الاكتفاء بتقديمها بالعربية فقط.

وفي المنظور العام لصدقية محتويات الموسوعة المفتوحة الأكبر على الشبكة يسعنا هنا القول إن التقييم الأساسي لأي مادة ينبغي أن يقوم على المنطق العام أي تقييم المادة بذاتها، بدلاً من التسليم بصدقيتها لا لشيء إلا لأنها نشرت على الويكيبيديا.

لكن النصيحة الدائمة والأبرز، والتي يشترك فيها مؤسس الويكيبيديا جيمي ويلز وخصومها، مثل هيئة تحرير الموسوعة البريطانية، تقول: لا تعتمد، أبداً، على الويكيبيديا كمصدر وحيد للمعلومات!

الجيش اليمني الإلكتروني

صنعاء - جمال جبران

هناك، في اليمن ثورة يقودها شباب عُزّل في بلد غارق في غابة من السلاح، بشكل سلمي منذ بداية العام الماضي. لكن بالتوازي هنـاك مواجهة أخرى يقودها عدد من شـباب هذه الثورة على الفضاء الالكتروني تتلخص مهمتهم في الدفاع عن صورة شباب الثورة التي تحاول جهات رسمية تشويهها وتقديمها بشكل مسيء ومغاير للحقيقة. فمـن المعلوم أن لدى أجهزة الأمن اليمنية شُعبات متخصصة في الجانب الالكتروني وكل ما له علاقة بالإنترنـت، مهمتهـا اختـراق مواقـع الصحف الالكترونية للأحزاب المعارضة واختراق البريد الالكتروني الشـخصي الخـاص بالصحافيين وبالشـخصيات اليمنيــة المُعارضة للنظـام. ومع بداية ثورة الشـباب انتقلت العناصر العاملة في تلك الشُـعب لمهمة إنشـاء صفحات على فضاء الفيسـبوك لتمجيد شـخص الرئيس علي عبـد الله صالح بالتوازي مع إنشاء صفحات أخرى مهمتها تشويه صورة شباب الثورة. وهو ما دفع عدد من شباب هذه الثورة لإنشاء صفحة على الفيسـبوك أطلقوا عليها اسـم «الجيش اليمني الالكتروني» وكتبوا على واجهتها ما يشبه طلباً لزملائهم «دقائق معدودة من وقتك علـى الفيسـبوك لنقاتل معاً ضد بلاطجة الفيسبوك. انضم للصفحة هـذه لمهاجمـة صفحـات البلاطجـة والمرتزقـة وإغلاقها، سـننظم هجمات منظمة فـي وقت واحد من قبل عدد كبير من الثوار عبر الفيسبوك لإغلاقها وحظر مستخدميها نهائياً».

وتتركـز آليـة عمـل الصفحــة التي وصـل عدد معجبيها إلــى نحو 14400 مشـترك على تحديد سـاعة معينة من طـرف القائميـن علـى إدارة الصفحــة لتركيز هجوم المشـتركين على صفحة «معاديــة»، ومـن خـلال هـذا الدخول المكثف في توقيـت واحد يحدث تعطيل لتلك الصفحة المستهدفة، إضافة لإرسال شكاوى لإدارة الفيسبوك بخصوصها ما يؤدي لاحقا لإغلاقها.

وعلــى الرغم من أن هؤلاء الشـباب قد حددوا نشـاطهم بشـكل مسبق على مساحة الفيسبوك إلا أن ذلك لم يمنعهم من توسـيع نشاطهم ليشـمل فضاء الـ «يوتيوب» حيـث أعلـن القائمون على «الجيش الالكتروني اليمني» أنه «يؤلمنا كثوّار أن نرى مقاطع الفيديو المسـيئة لنـا، ولنا نرجو مـن الجميع أن يجهزوا أنفسـهم لحملة تنظيف ذلك الموقع من الأشرطة المسيئة لنا».

حكومة الـ «فلوبي ديسك»

حيـن رشـح المجلـس العسـكري د. كمـال الجنـزوري (1933) لرئاسـة مجلس الـوزراء المصري بعد سـحق قـوات الأمـن المركزي للثـوار في شـارع محمد محمـود، لم يكن من المناسـب اعتباره رجلاً للمرحلـة الانتقاليـة، لا لرئاسـة الـوزارة، لـذا كان متوقعـاً ألا يقدم شـيئاً ينكـر، وألا تبقى ذكرى لوزارته. «تويتر» كان حاضراً بسخرية جامحة خارج الحدود منه ومن وزارته:

«قـرر الدكتور كمال الجنزوري الاعتذار عن الوزارة لأنه كلما يسـأل عن وزير لترشيحه يكتشف أنه مات».

«بيقولـوا إن مرتضى منصور ماسـك على الناس كلها سي دي إلا الجنزوري ماسك عليه فلوبي دسك.

لمـاذا الإصـرار على أن يكـون رئيس الحكومة الجديدة رئيس مستعمل؟!

الجنـزوري لمستشـاره: نعيـن كمال الشـاذلي لشـؤون مجلـس الشـعب والشورى

- المجلسين اتحلوا يا فندم

- خلاص يمسك الزراعة

- بس ده مات يا فندم.

كمـال الجنزوري: شـاء القـدر أرجع لمنصبي بعد مرور 10 سنوات.

كمال الجنـزوري جاي يصلـح جنزير عجلـة الإنتـاج.. زعلانين منـه ليه يا جماعة.

كمـال الجنزوري اختار حسـن الألفي للداخلية ولما عرف أنه مات بيدور على زكي بدر.. محدش يقول له إنه مات».





قفطان لطيفة أحرار

لطيفة أحرار ممثلة مغربية من مواليد سنة 1971 تخرجت في المعهد العالي للفنون المسرحية عام 1994، لها مشاركات في عدد من الأفلام والأعمال المسرحية، حضورها في التليفزيون لفت نظر الجمهور إليها من خلال أدوارها الجريئة.

«معاً ضد جرأة لطيفة أحرار على المسرح» صفحة كانت قد أنشئت على الفيسبوك بعدما ظهرت الممثلة في عرض مسرحي فردي «كفر ناعوم» المقتبسة من ديوان رصيف القيامة للشاعر ومقدم برنامج «مشارف» ياسين عدنان، حيث يبرز فيه جسد لطيفة أحرار في دور مثير بشكل غير مسبوق في المسرح المغربي. وقد أثار عرضها جدلاً واسعاً في مواقع التواصل الاجتماعي واليوتيوب حينها، كما تطرقت له الصحافة الالكترونية بشكل ملفت، ما بين مندد بخرجتها الجسدية التي وصفت بـ «ستريبتيز» مجاني بلا قيمة فنية ومسرحية، ومدافع عن حرية الفن والتعبير.

من جديد، وفي ضجة إعلامية جديدة، وقفت الممثلة لطيفة أحرار في مهرجان مراكش السينمائي الأخير على السجاد الأحمر أمام عدسات المصورين مرتدية القفطان المغربي (الصورة) وهي تكشف أجزاء من ساقيها مما أثار ردود فعل كثيرة على الفيسبوك والتويتر وفي تعليقات المواقع الإخبارية التي نقلت المشهد، خاصة أن «قفطان لطيفة أحرار المحلول» نسبة إلى أغنية مغربية شعبية «قفطانك محلول يا لالة»، وهو العنوان الذي استعمله موقع «كيفاش الساخر» في نقله للخبر، يتزامن مع صعود حزب العدالة والتنمية الإسلامي إلى رئاسة الحكومة في الانتخابات التشريعية الأخيرة، وكان بنكيران رئيس الحكومة المعين مؤخراً قد طلب لها الهداية معلقاً على عرضها السابق «كفر ناعوم».

من التعليقات التي رافقت هذا الخبر في المواقع الإخبارية والتويتر: «ها ناري تستري دابا ديري لينا شي مشكل مع بنكيران». «أحياني عليك آ لطيفة، واش بغيتي تفيقي لينا السي عبد الإله؟»، «حرب لطيفة وبنكيران اندلعت على ما يبدو، غير الله يدير اللي فيه الخير، ولكن على ما يبدو بنكيران ما مساليش لهاد الشي دابا». «قفطان لطيفة أحرار محلول.. بنكيران باقي ما قال بسم الله».

وحجاب توكل كرمان

كانت توكل كرمان هي بطلة الكثير من فيديوهات اليوتيوب خلال شهر ديسمبر، بعد أن انتشرت على الشبكات الاجتماعية مشاهد لها وهي تتسلم جائزة نوبل، والخطبة التي ألقتها، وتصريحاتها للصحافيين على فوزها بالجائزة كأول امرأة عربية تحصل عليها. وقد اختلفت التعليقات على هذه التصريحات والمشاهد:

«عماد أمين المغربي: توكل كرمان - سألها الصحافيون مستغربين إن لباسها لا يعكس مدى ثقافتها ودراستها ظناً منهم أن الحجاب رمز تخلف ورجعية، فأجابتهم بكل بساطة وذكاء :إن الإنسان في العصور الأولى كان شبه عار ومع تطور فكره عبر الزمن بدأ يرتدي الثياب وما أنا عليه اليوم وما أرتديه هو قمة الفكر والرقي الذي وصل إليه الإنسان عبر العصور وليس تخلفاً، أما العري فهو علامة التخلف والرجوع بفكر الإنسان إلى العصور الأولى»،

أما ملكة بدر فكتبت تقول: هي توكل كرمان - الله يعمر بيتها - ما قالتش أي حاجة تثير الاهتمام في حفل تسليمها نوبل غير الحجاب وأهميته؟! هي توكل كرمان - اللي عقلها يوزن بلد- ما كنش في نجاحها في ثورة اليمن وحصولها على نوبل للسلام كأول امرأة عربية ما يهم سوى كونها محجبة؟



هاشتاج «#Egypt» ومقتل بن لادن يتصدران الشبكات الاجتماعية



كشف موقع تويتر مؤخراً عن أشهر الموضوعات والكلمات المتداولة على الموقع فيما يعرف بـ «الهاشتاج Hashtag» بين المستخدمين، وأنشأ الموقع صفحة خاصة تحمل اسم «Year in Review» تضم أشهر الموضوعات في مختلف التصنيفات بين الأخبار العالمية، الأفلام، الموسيقى، كرة القدم، التقنيات وغيرها. واحتل هاشتاج «#Egypt» الصدارة هذا العام حيث دارت العديد من الأحداث والوقائع المضاف إليها هذا الاسم، واحتل المركز الثامن هاشتاج «Jan25 #».

ومن بين أهم الموضوعات في تصنيف الأخبار العالمية على الترتيب: تنحّي مبارك، مقتل بن لادن، زلزال اليابان، ومفاعل فوكوشيما النووي، ومقتل القذافي. وفي تصنيف التقنيات جاء متجر الماك آب ستور في المقدمة، ومتصفح فايرفوكس في المركز الرابع، والآيباد في المركز السادس ثم الآيفون في المركز السابع.

كما قام الفيسبوك على مدونته الخاصة بنشر أكثر المواضيع شعبية لسنة 2011، حيث حاز خبر مقتل بن لادن على المركز الأول بمعدل يناهز 10 في المئة من جميع التحديثات باللغة الإنكليزية تناقلت خبر مقتله. أما المرتبة الثانية فكانت لخبر فوز فريق «جرين باي بالسوبر بول» والثالثة لخبر محاكمة كاسي انتوني، المرأة الأميركية التي اتهمت بقتل ابنتها. أما حادثة وفاة ستيف جوبز فقد حازت على المرتبة الخامسة. وتلا ذلك أحداث العمليات العسكرية في ليبيا وإعصار إيرين.

غردت فبكاها الآلاف

سامية بكري

حمله كلنا نحبك

انتهت معاناة الفتاة السعودية ريما نواوي (28 عاماً) مع سرطان الرئة بوفاتها ديسمبر الفائت من 2011 بعد مقاومتها المرض الخبيث لفترة طويلة بنشرها الأمل بين مرضى السرطان في العالم العربي من خلال تغريداتها في تويتر. وكانت آخر تغريدة لها بتاريخ 19 نوفمبر/تشرين الثاني قالت فيها: «ادعيلي.. جسمي تنافض.. ونفَسي بيكتمني على هرجة رحلتي».

نشطت العديد من الحملات على مواقع التواصل الاجتماعي فيسبوك وتويتر لمساندتها، كان أهمها حملة (كلنا نحبك) التي سعت لتقديم الدعم المعنوي لريما من خلال رسائل وكلمات الأصدقاء.. وردت ريما على هذه الحملات بكلماتها: «لم أكن أشعر أن تويتر، سيجعل بين القلوب هذه العاطفة العميقة.. أن يربط بين القلوب، كأنّها قلب واحد.. ولم أتخيّل أن رحيل أحدهم- ولو كان متوقعاً- سيُخلفُ لدى الجميع جرحاً غائراً، وأنّ الجسدَ كلّهَ سينتفض لهذا الفقد».

عندما رحلت ريما ليلة الخميس في العاشرة وخمسين دقيقة بكاها الآلاف من مسانديها في رحلة تحدي المرض.. يقول أحد المشاركين في الصفحة: «وجدتني مع الباكين، لأنّها لم تكن إنسانةً عادية.. كانت من أولئك الذين يُكافحونَ في حياتهم، ويمشونَ على ألمهِم ليعلموا الآخرين، إنّ المرضَ لم يكُن يوماً عائقاً لأحد.. لتُخبرنا، أنّ حياتنا تستحِقُ أن نعيشها، ولو على حسابِ أوجاعنا، وآلامنا، فتسعُ سنواتٍ من المرض، كانت في حسابها، مغامرةً تستحِقّ التسجيل، وسُجّلت».

مئوية محفوظية



شهدت طقوس الاحتفال بمئوية الأديب العالمي نجيب محفوظ هذا العام أشكالا جديدة مع تطور مواقع التواصل الاجتماعي فيس بوك وتويتر، التي شهدت احتفاء واسعا بذكرى مولده.

وتجسّد هذا الاحتفاء في مشاركة القراء بعض من أفضل اقتباساته التي وردت في أعماله وربما يضيف

شهدت طقوس الاحتفال بمئوية الأديب العالمي نجيب محفوظ هذا العام مع تطور مواقع التواصل الاجتماعي فيسبوك وتويتر احتفاء واسعاً بذكرى مولده، كانت هذه هي ملامح الاحتفالية الالكترونية الشبابية كما رصدتها عدة صحف ومواقع إلكترونية.

انتشرت الدعوات لإعادة قراءة أعمال نجيب محفوظ، وتبادل مقاطع من كتبه كان من أبرزها، التي شارك فيها المدون أمير زكي: «بالحزن يتقدس الإنسان ويعدّ نفسه للفرح الإلهي»، من رواية «حضرة المحترم».

وتجلى الاحتفاء بمحفوظ على موقع فيسبوك، في اكتساء صور الصفحات الشخصية للأعضاء بصور نجيب محفوظ وشعارات مئويته.

أما على موقع تويتر، فبدأ ممدوح صلاح -أحد المشاركين- في مشاركة بعض مقاطع من رواية محفوظ «ليالي ألف ليلة»، وانتقد في تغريدة أخرى اتهام محفوظ بالفسق والرذيلة؛ قائلاً: «آخر علاقة من يقول ذلك بأدب نجيب محفوظ هو الاستمتاع بمشهد اغتصاب سعاد حسني في فيلم الكرنك».

ومن بين المقاطع التي تداولها النشطاء من كتب محفوظ: «ها هي تكناتهم تشرف على الميدان.. الراية اللعينة ترفرف.. الديدبان تمثال لا يرى شيئاً، لم تقض وسلطانكم على الثورة»؛ من رواية «بين القصرين».

والساخرون أيضاً تناولوا الحدث فكتب سامح سمير على صفحته:

«كم كنت أتمنى أن يمتد العمر بنجيب محفوظ إلى اليوم ليشهد بنفسه كم لايزال حاضراً بفكره وفنه في أذهاننا ووجداننا جميعاً رغم مرور أكثر من 5 سنوات على وفاته».

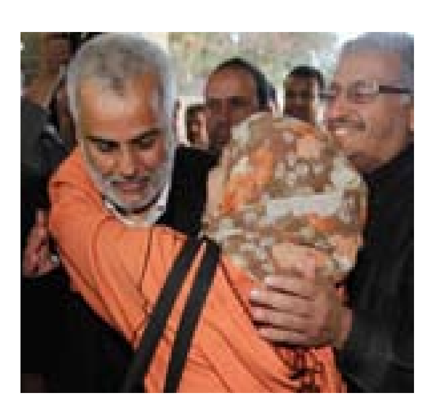
أعراض الديكتاتورية

في صفحتها على الفيسبوك نشرت الكاتبة السودانية ميسون النجومي هذا المقال المترجم عن موقع sudaneseoptimist بعنوان «خمس علامات تقول إن ديكتاتورك لا يحبك»، ومنها:

- إنه يخونك مع دولة أخرى:
ضبطته يرسل هدايا ثمينة بقيمة ميتين ألف راس مثلاً، إلى دولة مزة ساكنة جمبك كنت تشك دوماً في إعجابه بيها.
- عمره ما استمع ليك:
عمره ما كان موجود رغم احتياجك ليه (ولو إنو ما عندو حتة يمشي ليها بعد ما أوكامبو عصره وحصره) يعني مفروض يكون وقته كله ليك. لكن دا ما بيحصل، عمره ما أخد رأيك في أي قرار مصيري أو تافه بيخص مستقبلك..
- مخبي فلوسو منك:
إنتو على علاقة ليكم أكثر من عشرين سنة، ومع ذلك فاتح حساب بنكي منفصل في الخارج، ومش مسموح ليك تعرف اللي فيه أو حتى تسأل عنه..
- بيعتدي عليك لفظياً وجسدياً:
بالأول احتملت إساءاته اللفظية، لأنك حسيت ساعتها إنو بينفس عن غضبو تجاه آخرين، وأحياناً كنت بتحس إنو بيحاول يحميك. لما قال لناس تانيين إنهم «تحت مركوبو» شكيت في المنو المقصود بالضبط، لكن قررت تجلي الموضوع. ثم تطور الأمر وبدأ يسيء ليك لفظياً ويقول ليك «الحس كوعك».

إذا ديكتاتورك أبدى أياً من العلامات الفوق أو عدد منها. آن الأوان إنك تفكو عكس الهوا وتشوف ليك شخص تاني يحبك.. أنت تستحق ذلك.

ضحك وهزل على الطريقة المغربية



حول ردود فعل المغاربة على الشبكات الاجتماعية إثر فوز حزب العدالة والتنمية في الانتخابات التشريعية الأخيرة، نقل المدون المغربي جمال الخنوسي في تدوينة يرصد فيها ما تناقلته مجموعات فيسبوكية حول هذا الفوز، مثل صفحة تحمل اسم «ضد التحالف مع بيجيدي» وأخرى تحمل اسم «ضد بيجيدي». حيث جاءت تعليقات من منخرطي الصفحة تعكس بشكل ساخر التخوفات من التحول إلى «مجتمع متزمت ومنغلق»، وكتب أحد «نشطاء» فيسبوك خبراً عاجلاً مفاده أن «شركة جيليت تعلن نيتها الانسحاب من المغرب إن تأكدت الأنباء حول فوز العدالة والتنمية»! في إشارة على إرخاء اللحى الذي سيغدو موضة الغد. وكتبت صحافية معروفة على صفحتها التي تتميز بمتابعة كبيرة، أن «شركة براسري المغرب (المصنعة للخمور بالمغرب) تقدم تخفيضات كبيرة على منتوجاتها قبل أن تغير طبيعة نشاطها!». وورد في الصفحة ذاتها أن «شركة اتصالات المغرب قررت تغيير رسالتها الصوتية بـ (الأخ الذي تطلبونه إما في الصلاة أو في جلسة الذكر، المرجو معاودة الاتصال بإذن الله».

وفكر آخرون في «أن الذهاب إلى العلب الليلية (السرية) سيتحول من ليلة السبت إلى ليلة الخميس بسبب تغيير موعد (الويكاند) من السبت والأحد إلى الخميس والجمعة».

وعبر أحدهم عن تفاؤله وسعادته بفوز العدالة والتنمية لأن «الكريدي حرام» وسيتم قريباً إلغاء جميع ديون المغاربة. فيما أعلن آخر عن التغيرات المرتقبة في قواعد مادة الرياضيات في عهد العدالة والتنمية: «المستقيمان المتوازيان لا يلتقيان بإذن الله، فإذا التقيا فلا حول ولا قوة إلا بالله، أما حساب الاحتمالات فحرام في حرام لأن الغيب لا يعلمه إلا الله».

نصائح للرئيس وما يطلبه المستمعون!

يبدو فعلاً أن السخرية الجادة، وهي فن على كل حال، أولى بركات الحرية. من موقف رسمي إلى آخر، ومن تصريح إلى خروج إعلامي، لا يتوقف الكاريكاتير اللغوي عند شباب الفيسبوك. في مصر، وبعد صعود الأحزاب الدينية في أولى مراحل الانتخابات التشريعية، لم يمر الحدث دون أن يسجل ردود أفعال طريفة لدى الشباب عبر صفحاتهم. وقد تداولت تقارير الميديا بشكل واسع هذه الردود، ومما جاء فيها:

لوحة الموناليزا في مصر ألبسها شباب الفيسبوك حجاباً شرعياً. والرقم ستة بالإنكليزي سيتم حذفه بدعوى أن كلمة «سكس» مثيرة «للفتنة!».

أقوى كلمات السب في مصر ستصبح «تكلتك أمك».

الأفلام المصرية المعروفة حرّفها الظرفاء الفيسبوكيون فجعلوا فيلم «جواز بقرار جمهوري» يحمل عنوان «نكاح بقرار جمهوري»، و«همام في أمستردام»، يحمل «همام في قندهار»..

ومثل ذلك في الأغاني، صارت أغنية كاظم الساهر «قولي أحبك» إلى «قولي أحبك (في الله) كي تزيد وسامتي»، وعمرو دياب سيغني في توزيع جديد «من كم سنة وأنا إخوان إخوان»، و«كان عندك دقن»، و«ياريت لبسك يزيد مترين عشان لبسك كدة قصير». وإيهاب توفيق سيغني « شيخ الحلوين»، و«إكمني إخواني». وشيرين «مشربتش من زمزم»..

الانتخابات الرئاسية المرتقبة في يونيو / حزيران القادم، لم تسلم هي الأخرى من الشغب اللغوي المصري. وهذه المرة بشروط ونصائح فيسبوكية للرئيس المصري المنتظر:

- يكون بيتكلم وبيفهم إنكليزي من غير ما يطرطق ودانه.
- يكون عارف إننا انتخبناه هو مش هو ومراته وابنه وجوز خالته وعمه.
- يكون متواضع جداااا، بس مش لدرجة إنه يقعد في خيمة زي القذافي.
- مايكونش عمل أي ضربات جوية ولا أرضية ولا فضائية، يذل أهلنا بيها.
- ما يعطلش المرور عشان يروح مشوار، عايز يوصل بسرعة يركب طيارة.
- مايكونش راعي الرياضة والرياضيين ولا الثقافة ولا المثقفين ولا الفن ولا الفنانين، ويسيب الناس دي في حالها.
- ما يضحكش علينا ويروح يفتتح نفس المكان عشرين مرة.
- يبطل كلمة نشجب وندين.
- مايكونش بيصلي العيد قبل ما يبدأ وتنزل صورته وهو بيصلي في الأهرام يوم الوقفة.



خوان جويتيسولو

ذكرى شيشانية

قررتُ السفر إلى القوقاز في يوليو/تموز 1996 كمراسل لجريدة الباييس لتغطية أحداث الحرب التي أعلنها، في ليلة سُكْر بهيجة داخل الكرملين، بوريس يلتسين ووزير دفاعه بافل غراتشيف في الحادي عشر من ديسمبر/كانون الأول 1994، بهدف «استعادة الحكم الدستوري» وتطهير الفيدرالية الروسية من «العصابات الشيشانية».. غير أن سفري لم يكن لأني صحافي بسيط. لقد كانت الشيشان، المتمردة والعصية، جزءاً من عالمي الأدبي والأخلاقي بفضل قراءتي المنتظمة لأغلب الأدب الروسي في القرن التاسع عشر: بوشكين، ليرمونتوف، وفوق كل شيء رواية ليو تولستوي «الحاج مراد» التي نُشرت بعد موته، وكانت ممنوعة بأيدي الرقابة القيصرية.

قصة رحلة بوشكين من القوقاز شمالاً إلى كارس، والقصيدة الجميلة التي لا يمكن أن أنساها للشاعر ليرمونتوف التي يلعن فيها القيصر والوطن لأنهما أرسلاه إلى القوقاز لقتل أهل الشيشان، كلها كانت دليلي الروحي لهذا السفر لبلد دمرته حرب جديدة تستدعي الرعب الذي كانت ضحيته على طول التاريخ. وسمحت لي مشاهدة قوات يلتسين العسكرية، في نفس الأماكن التي وصفها الروائي الروسي العظيم، والتي تشبه قوات القوزاق الخاصة بالقيصر ضد مريدي الإمام شاميل منذ ما يقرب من قرن ونصف قبلاً، أن ألتقط بعمق بطولية جلد الشيشانيين الذين لم يستسلموا لسيطرة موسكو الوحشية ولا لقياصرتها القدامى ولا الجدد.

ومنذ ذلك الحين لم تفارقني صورة الشوك القصير على قارعة الطريق، شوك ينمو بقوة، استلهمه تولستوي كرمز لقوة ومقاومة شعب يتجاوز عدد أرواحه المليون بقليل، وكانت إحدى الخيوط الرئيسية في روايتي «ستارة الفم» (2003)، كما كانت قصيدة ليرمونتوف المشار إليها سلفاً نقطة الانطلاق لتناولي «تدمير إسبانيا المقدسة» في رواية «دُن خوليان» (1970). هكذا صارت الشيشان، من خلال سبل وطرق خفية كنفق سري، جزءاً من أعمالي.

لم تتوقف الحرب على الإمام شاميل ومريديه من الجماعات الصوفية القوقازية، والتي عايشها كُتّاب روس، بانتصار القياصرة ونفي شاميل إلى الإمبراطورية العثمانية. إذ عند عودته من الحج بمكة، تولى القيادة الحاج المرشد قديري كانتا. فنهضت من جديد الشيشان وإنجوشيا وداجيستان باسم الحرية والإسلام، ونجم عن قمع القوقازيين آلاف الضحايا. حينها نُفي الحاج كانتا في سيبيريا، حتى وفاته.

في عمله الساطع عن نفس الموضوع «الغزو الروسي للقوقاز» استعرض جيه إي بيديلي المراحل المختلفة للحرب على الجماعات الإسلامية منذ القرن الثامن عشر حتى نيكولاس الثاني، ويمكن للقارئ أن يرجع إليه. بالنسبة للفترة التالية، سيجد المهتم بالموضوع ببليوجرافيا دقيقة حول فترة الثورة البلشفية ووعود لينين التي لم تُنفَذ فيما يخص الشعوب المسلمة، وصورة السلطان جاليف التراجيدية، والإبادة الوحشية بيد ستالين لـ «عصابات»، وتهجير مجمل الشعب الشيشاني إلى سيبيريا في عام 1945.

ومن بين الأعمال الأخرى التي تتناول القضية، أعمال هيلين كاريير دي إنكوز (L IMPIRE ECLATE) وعمل أليكساندر بينينجزي (LES MUSULMANS OUBLIES)، وحديثاً كتاب «الشيشان» لتوني وورد، كذلك صفحات «أرخبيل جولاج» لسوزينتزن، والتي يعبر فيها عن إعجابه بروح الأسرى الشيشانيين التي لا يمكن السيطرة عليها حتى في وسط معسكر الاعتقالات.

لا تزال ذاكرتي تحمل رؤية مدينة غروزني المدمرة،

واجهات البيوت ذات النوافذ المفتوحة على الفراغ، السُكان الرابضين بجبن على الأسطح، الحضور الطاغي للدبابات الروسية خلال الغزو اليلتسيني الأول الذي انتهى بنصر الانفصاليين.

أما حرب بوتين (1999 - 2002) الموجهة لغسل عار تلك الهزيمة و«إبادة الشيشانيين ككلاب مسعورة من أجل محوهم من وجه الأرض»، طبقاً لكلمات أحد وزرائه، فقد انتهت كما نعرف: بانتصار الرعب، وسياسة الأرض المحروقة وقائمة لا نهاية لها من الاغتيالات المختارة، التي كانت قد بدأت في مارس/آذار 1996 باغتيال الرئيس المستقل دوداييف، ضحية صاروخ أرض جو بينما كان يتحدث مع وسيط مفترض للكرملين.

لنراجع بعض أمثلة هذه السياسة الملائمة والجديرة بمفوضية الشعب للشؤون الداخلية الروسية: سلجيمار ياندربييف، خليفة دوداييف الداخلي، تم إعدامه عام 2004 بأيدي قتلة الكرملين في دول الخليج حيث كان يعيش لاجئاً، بعدها بعام، تم القبض على أصلان مسجدوف، المنتخب كرئيس في الانتخابات الحرة الأولى وربما الأخيرة في الشيشان، وبعدها هرسته بلطجية «القوات الخاصة» في ضاحية تولتوي. (كل ذلك مجرد رمز!). ومنذ صعود خان رمزان قديروف إلى السلطة، وكان أبوه وسابقه معيناً من قبل بوتين مقابل خدماته ومات ضحية لاعتداء، اشتدت حدة انتهاكات حقوق الإنسان. هذا الشاب الطاغية، الذي رسمت صورته التي لا تُنسى الصحافية الشجاعة أنّا بوليتكوفسكايا قبل أن تُغتال بفترة قليلة، فرض في إقطاعيته نظاماً وحشياً، مزيجاً من العنف وجنون العظمة والفساد في حماية الكرملين المتعالية.

لقد كانت التعذيبات التي قام بها القوزاق- نعود إلى زمن بوشكين وليرمونتوف!- ضد عصابات مزعومة ومجرمين قوقاز، «بكسر كل ضلوعهم وقطع أصابع وآذان من طبقوا عليهم فيما بعد «قانون الهرب» إن لم يدفع ذووهم الفدية»، وجاء ذلك موصوفاً في تقارير مراسلة لي موند صوفي شيباب، تشغل جزءاً هاماً في فيلم «غروزني: تاريخ إقصاء»، وهو الفيلم الذي عرضه سراً مانون لويزيه بمساعدة مجموعة من السيدات الشيشانيات. في السنوات الأخيرة، لم تتوقف قائمة الانفصاليين المغتالين بأمر رمزان قديروف. في يناير/ كانون الثاني 2009: مات في فيينا بطلقات نارية عمر إسرائيلوف، معاونه القديم، الذي كان قد قدم ضده طلباً أمام محكمة حقوق الإنسان بمجلس أوروبا لممارسة تعذيبات قام بها بشخصه بأمر من الطاغية نفسه. وطبقاً لما أطلعتْ به الصحف حديثاً، فإن اصطياد المعارضين الشيشانيين المشتبه في إسلاميتهم، والمضطلع في تركيا، قد نجم عنه على الأقل سبع ضحايا في العامين الأخيرين: كانوا جميعاً مشتبهاً في تورطهم مع «أمير القوقاز» دوكو عمروف، القائد الحالي للتمرد الشيشاني والعدو رقم واحد للكرملين ولقديروف.

لكل ذلك يبدو مثيراً للاستفزاز بشكل خاص عرض التفاخر الهائل بحجة افتتاح غروزني سيتي، مدينة ناطحات السحاب وصاحبة أكبر مسجد في أوروبا، والذي صممه رمزان قديروف بمساعدة كريمة من بوتين، فوق الأطلال والمقابر الجماعية التي مُحيت سريعاً: عرض ضم فناني هوليوود، وألعاباً نارية، وفنادق خمسة نجوم.. حيث تطل السخرية على الخطايا.

لكن الماضي لا يُمحى والأدب الروسي العظيم وشهادة الصحافيين الأبطال مثل أنّا بوليتكوفسكايا لا يزالان هناك بنصائحهما. فلنقرأ لتولستوي: «الشوك الذي تسحقه العربة مرة وراء مرة، ينمو قوياً من جديد. ولعابه لا يستسلم».

ترجمة: أحمد عبد اللطيف

تفجرت في روسيا الشهر الماضي احتجاجات على نتائج الانتخابات والأداء السياسي في تلك الدولة التي تحيرنا نحن -العرب- بإنحيازها للأنظمة المستبدة.
في هذا التقرير يقدم د. منتر حلوم رؤية من هناك

بوتن يقطع الديموقراطية بمقص عتيق

موسكو-منذر حلوم

بعض الروس يقولون: «العرب.. حتى العرب ثاروا، ونحن قاعدون»، وآخرون: «وصلت المؤامرة الأميركية إلينا، لكنها لن تنجح، فهي لن تنطلي على شعبنا»، وثالثون: «يكفي روسيا خضّات، فبالكاد بدأت حياتنا تستقر».. ولكن، وأياً يكن ما يقال هنا وهناك، فالروس باتوا يخجلون من مسرحية تبادل السلطة الهزلية بين الصديقين القادمين من بطرسبورغ.
المثير للسخرية أن بوتين ومدفيديف يشكر أحدهما الآخر على قبول التبادل ويصفّق أعضاء الحزب الحاكم في بزاتهم اللامعة وابتساماتهم الوردية. مع أن الذل لونه أصفر. ويقول الجيل الذي عايش الاتحاد السوفياتي وفترة البيريسترويكا العصيبة: «على الرغم من كل شيء، فالدولة القوية أهم.. روسيا موحدة أهم»، مضمرين بذلك أن من شأن الديموقراطية أن تفكك روسيا وتضعفها، آخذين بعين الاعتبار نتائج الثورات الملونة في يوغسلافيا وأوكرانيا وجورجيا. «ها هم يوزعون الأشرطة البيضاء على المتظاهرين- يقولون- وسبق لصندوق سورس أن جعل كل شيء برتقالياً في ميدان كييف!!». ويختلفون على عدد الخارجين في موسكو بين ثلاثين ألفاً وثمانين. فأين طاقم بوتين من ذلك كله، وإلى أين تسير البلاد؟
ثمة من يرى أنّ بوتين سيخرج رابحاً من خروج المظاهرات في موسكو وسواها من مدن الثلج، وستخرج روسيا رابحة معه، بدعوى أن روسيا تحتاج إلى عملية عاجلة لاستئصال الفساد. حسابات مؤيدي بوتين تقول إن الأخير، مدعوماً بشعارات مناهضة للفساد يرفعها المتظاهرون، سيتمكن من توجيه ضربة قاسية لبعض رؤوس الفساد، وسيتخلص في عملية الكنس هذه ممن لا يعجبونه في إدارات الدولة العليا وممن عيونهم على السلطة من رجال الأعمال، ومن أولئك الذين عيونهم على الغرب. فهل لبوتين أن يحقق المعادلة الصعبة: توجيه ضربة لمافيا الفساد التي طالما تعاقد معها على إدارة البلاد، وفي الوقت نفسه إحياء روح النهوض التي بدأت تخبو لضرورات الدولة الأوراسية القوية ؟
العيب الذي يحاول بوتين إصلاحه يكمن في غياب جناح ليبرالي في الحكم. يدرك بوتين أنه لا بد من إسكات الغرب وإرضاء المال، مضمراً قطع خيط مفترض يحرك دمى روسية تنظم الاحتجاجات.
أين الليبراليون؟ روسيا يحكمها يمين الوسط القومي، بمساعدة حزب شيوعي ينافسه في الشعارات القومية..مع وجود قوى ليبرالية لا تحصد سوى هزائم متتالية في الانتخابات. ومنه، فرهان الغرب الأطلسي على تحول ديموقراطي ليبرالي عبر صناديق الاقتراع، خاسر في روسيا. وهنا، يمد يده بوتين، بما يبدو كأنه حركة مساعدة لإحياء الليبرالية..يمدها صوب اتحاد القوى اليمينية الليبرالي والذي سبق أن عرف كيف ينهيه، بدلالة نتائج انتخابات الدوما في الأعوام السابقة.
انتخبت أول دوما في روسيا، ما بعد الاتحاد السوفياتي، في 12 ديسمبر 1993، لمدة عامين. في هذه الانتخابات حصل الحزب الليبرالي الديموقراطي على أعلى نسبة من الأصوات في تاريخه (22.92٪). ومن دوما انتُخبت لعامين، إلى دوما لأربع سنوات، إلى الأخيرة المنتخبة لخمس سنوات، تتالت هزائم الليبراليين وزاد حصاد القوميين اليمينيين الروس.
أزيلت في انتخابات 2007 عتبة مشاركة الناخبين، وألغيت خانة التصويت ضد الجميع. شارك في تلك الانتخابات 11 حزباً، وبنتيجتها حصد (روسيا الموحدة) 70٪، من الأصوات مما مكّنه من اتخاذ جميع القرارات في الدوما دون اللجوء إلى الآخرين. ولم تتمكن الأحزاب الليبرالية من اجتياز عتبة الدوما، فبقيت دون صوت فاعل. فماذا عن الانتخابات الحالية التي أعقبها خروج المتظاهرين؟ شارك في انتخابات (2011) ما نسبته 60.2٪من الناخبين. وفازت فيها الأحزاب الأربعة التي سبق أن فازت في (2007) مع تراجع في شعبية الحزب الحاكم بنحو الثلث، قياساً برقمه السابق. انتفع من هذا التراجع الحزب الشيوعي، وروسيا العادلة، والليبرالي الديموقراطي، دون أن ينعكس ذلك على أرقام الليبراليين ودون أن تتغير قواعد اللعبة كثيراً. فاتفاق (روسيا الموحدة) مع آخرين لاتخاذ بعض قرارات الدوما،



الربيع الروسي بدأ احتجاجاً على ديموقراطية بوتن

لـن يكـون عسـيراً، خاصـة إذا علمنا أن الآخريـن لـن يتوافقوا فيمـا بينهم. بقيـت مؤشـرات الليبرالييـن منخفضة جـداً (يابلوكو 3.25٪، حـزب القضية المحقة0.5٪).

ما هـذه (القضيـة المحقـة)؟ إنها قضية الليبراليين. لاحظـوا رمزية التراجع في التسمية من (اتحاد قوى)، أي من (القوة) إلى (الحـق). يذكّرني ذلك بسـؤال كان شـائع التداول في الاتحاد السـوفياتي: هل أملك الحق؟ نعم. إذن، هات! لا.

أدرك بوتيـن أن السـلطة الحقيقيـة، فـي عالم اليوم، لا يمكـن أن تقوم دون معارضة حقيقية. فراح يسـتنهض على طريقته معارضة مناسـبة للعبة تبادل الكراسـي. أدرك ذلـك وأدرك آخـرون ضـرورة فعـل شـيء لتغييـر الوضع القائـم. ففـي هـذه الأثنـاء، وبصرف النظـر عـن مخططـات بوتيـن، وربما فـي غفلة من اسـتخباراته، أو في عجز منها، راحت تظهر في الشـارع السياسي الشاب شـخصيات لامعة، مثل أليكسي نافالنـي، ويفغيني رويزمان، ويفغينيا تشـيريكوفا..وغيرهم، وبـدأ تأثيرهم يلاحظ في شـوارع موسـكو.. ولم يعد بإمكان بوتيـن إدارة المعارضة العلني منها والكامن بطرائقه الخفية على الرغم من خبراته السـابقة. كان سبق لبوتين أن شتت عائلة يلتسـين، بسجن بعض منها وتهجير بعض آخر وإغراء بعض ثالـث بالمناصب والمال شـرط الابتعاد عن السياسـة.. وربما، لسخرية القدر، وجد بوتين نفسـه مضطراً لإعادة إحياء القوة التي سـبق أن قضـى عليها. فلجأ إلى (القضية المحقة).

لم يكن للأحزاب الديموقراطية الليبرالية، بمعـزل عـن ألاعيب بوتين، أن تكسـب ناخبين عانوا ما عانوه في مرحلة التحول العصيبة في روسيا. ثم بات من الصعب عليهـا أن تكسـب بعـد تضييـق بوتين عليها وتلقينها درسـاً عبر سجن رمزها خودركوفسـكي وملاحقة بيريزوفسكي وتهميـش نيمتسـوف. حـاول بوتين، عوضاً عن هـؤلاء، أن يأتـي بليبرالي ديموقراطـي على مقاسـه. كان الرهان على انتصـار (القضية المحقة) ودخوله الدوما، وبالتالي سـد الفراغ الناجم عن غياب جناح ليبرالي فيها. ولكن هيهات. بعد اعتذار وزير المال كودرين عن تلبية الطلب وإقالته، اضطر بوتين إلى الدفع بصديقه بروخوروف الأوليغارخي الذي يملـك 12.5 مليار يورو لرئاسـة حزب (القضية المحقة)، ونقلت وقائع انتخابه الباذخة على شاشات التلفزة في حزيران 2011. كان حـزب (القضيـة المحقة) قد تأسـس فـي نوفمبـر 2008، من ثلاثة أحزاب ذات ميول ليبرالية: حزب روسيا الديموقراطـي، وحزب القـوة المدنية، واتحـاد القوى اليمينيـة (كان في إتحاد القـوى اليمينيـة 30 تنظيمـاً ليبرالياً، شـكلت حلفاً لخـوض انتخابات 1999، ولم تنل سـوى 8.52٪ مـن الأصوات، وفـي 2003 تراجعت حصيلتها إلى 4٪، لتتدهور في انتخابات 2007 إلى 0.96٪. تجمّـع في هذا التحالـف معارضو العهد السوفيتي وإصلاحيو عهد يلتسين.

وعـد بروخوروف رئيسـه بأن يشـغل حزبه المكان الثاني في الدوما، وراودته أحـلام كرسـي رئاسـة الـوزراء. راح بروخوروف ينتقد الحـزب الحاكم دون أن يمس صورة بوتين بسوء. فهذا الرجل مدين لبوتين في كثير من الأشـياء- كما يقـول العارفون في روسـيا-، وفي يد الرئيس كثير مـن الملفات التي يمكن أن تودي بمرشـحه إلى غير مـكان. ولكن بروخـوروف المتحمّس لـم يكن مؤهلاً للعب دور سياسـي، ففشـل أيما فشل، وأفشـل معه مشـروع راعيه. كان حدث انشقاق في (القضية المحقة) في سبتمبر 2011، وصـوت المؤتمرون على تنحية بروخـوروف مـن قيادة الحـزب. وفي الانتخابات الأخيرة بالكاد لملمت القضية الليبراليـة المحقة (0.5٪) من الأصوات. ومع (القضية المحقة)، فشـلت محاولة بوتين إيهام الغرب بوجود كتلة ليبرالية فـي الدوما. وأمـا كودرين الـذي خيّب ظن الثنائـي مدفيديف- بوتيـن فبصدد إنشاء حزب جديد، كما صرح في مؤتمر صحافي نقلـه راديو (صدى موسـكو) بُعيد الانتخابات.

وهكذا، فلم يبق إلا أنْ يَعِدَ الحزب الحاكم جماهيـر المطالبيـن بديموقراطية على الطريقة الغربية أن يصبح حزباً ليبرالياً. لكنه الوعـد المفضوح، علـى الرغم من علاقات قياداته بالقيـم المادية الغربية والمصارف وشركات غسل الأموال. وقد تخطئ حسـابات بوتين مرة أخرى، إذا رأى فـي الخارجين إلى الشـارع أنصاراً لليبراليـة فقط ودمى يحركهـا الغرب، فيخسر رهانه وربما كرسيه.



إيرينا بوكوفا

المديرة العامّة لليونيسكو لـ «الدوحة»

نهاية عصر اللّوبيات

باريس: سعيد خطيبي

انضمام فلسطين إلى منظمة اليونيسكو ما يزال يثير جدلاً على الساحة الدولية. رغم تصويت غالبية أعضاء المنظمة(107 أصوات مقابل 14صوتاً، مع امتناع 52 عضواً عن التصويت) على خيار قبولها عضواً كامل الحقوق(31 أكتوبر/تشرين الأول2011)، فإن الولايات المتحدة الأميركية تصرّ على عدم الإقرار بموقف الأغلبية. حيث تباينت، خلال الأسابيع الماضية، تصريحات بعض السّاسة الأميركان (بمعية نظرائهم من كندا) حول المسألة، بين الرفض المطلق والرفض المشروط. حيث يعتبر سادة البيت الأبيض أن دخول فلسطين في أية منظمة من المنظمات الأممية مرهون بالتوصل إلى صيغة سلام مع إسرائيل.

وجسّدت الولايات المتحدة الأميركية موقفها الرافض لانضمام فلسطين، التي صارت العضو رقم 195، باتخاذ قرار وقف منَحها المالية السنوية الموجهة لليونيسكو، المقدّرة بحوالي ثمانين(80) مليون دولار(22٪ من ميزانية المنظمة العامة). قرار حرّك بعض المخاوف حول مستقبل مشاريع المنظمة، المبرمجة خصوصاً لسنة 2012. وأثار قلقاً واضحاً عبّرت عنه المديرة العامة لليونيسكو، البلغارية إيرينا بوكوفا، في حوارها مع «الدوحة» بالقول: «قرار الولايات المتحدة الأميركية القاضي بتعليق منحها المالية ترك، سريعاً، أثراً سلبياً على قدرة المنظمة في مواصلة بعض نشاطاتها». وبغية تجاوز تداعيات الأزمة، سارعت إدارة المنظمة إلى اتخاذ بعض التدابير العاجلة: «بإعادة النظر في جدولة النشاطات، تخفيض النفقات، إلغاء أو تأجيل بعض الفعاليات، وتجميد التوظيف مؤقتاً» تضيف بوكوفا.

مع ذلك، فإن المنظمة ستحافظ على إيقاع نشاطاتها الأساسية، من خلال الاستغلال الأمثل للإمكانيات المتوافرة لديها، مع مواصلة مشاريعها في مجالات التربية والتنمية، ودعم حرية الصحافة، والحفاظ على التراث العالمي المادي، وغير المادي.

ليست المرة الأولى التي تتعرض فيها اليونيسكو لضغوطات أميركية. لكن، لأول مرة، يلتمس الرأي العام حقيقة تلاشي اللوبي الأميركي، وذلك ما يبرز من خلال انضمام فلسطين، ثم حملة التضامن الدولية وجبهة «المقاومة» الجديدة التي تشكلت داخل اليونيسكو، لمواجهة لوبيات البيت الأبيض. دول كثيرة قررت رفع منحها المالية لتجاوز الأزمة. وتواصل المديرة العامة حديثها: «سررنا كثيراً بالتشجيع الذي بلغنا. آلاف الأشخاص بعثوا لنا، من مختلف بقاع العالم، رسائل دعم ومساعدات عينية. كما أن بعض الدول الأعضاء رفعت سقف منحها، على غرار أندونيسيا، الغابون، تيمور الشرقية، الدانمارك والسويد. إضافة إلى دولة قطر التي وقفت إلى جانبنا. بفضل مبادرة الشيخة موزا لدعم برامج اليونيسكو التعليمية». كل هذه المساعدات الاستثنائية، التي جاءت في هذه المرحلة الحرجة، ستوجّه إلى الفئات المحرومة في الدول النامية، لإتاحة الفرصة أمامها للتعلم. ولتطوير مناهج التعليم في الدول الفقيرة.

تشرف إيرينا بوكوفا، في الوقت الحالي، بمعية مختلف رؤساء الدوائر في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، على وضع



فلسطين عضواً في اليونسكو.. حماية للتراث الفلسطيني وأكثر

الرتوشات الأخيرة، على ميزانية العام 2012، وتسطير أبرز المحاور الواجب التركيز عليها، لتحافظ المنظمة على دورها، من جهة، ولتتمكن من تجاوز انخفاض أرقام الميزانية العامة، من جهة أخرى. «المجلس التنفيذي لليونيسكو قرّر، على غير العادة، الاجتماع مبكراً، شهر فبراير/شباط المقبل، لدراسات الإجراءات الواجب اتخاذها والعمل بها، نظراً لتقلص الميزانية» تكشف بوكوفا، الشيء الأكيد أن الأزمة الرّاهنة التي تمر بها المنظمة لن تؤثر على نشاطاتها في فلسطين، وفي الأراضي المحتلة. وتبين المديرة العامة أهم المحاور التي ستراهن عليها خلال السنة الجديدة مصرّحة: «تنشط اليونيسكو في فلسطين بالتعاون مع شركاء؛ كحكومة فنلندا على سبيل المثال. تهتم المنظمة بدعم حرية التعبير، من خلال تنظيم ورشات تكوين لصالح الصحافيين، خصوصاً النساء منهم. حيث ساهمت شهر مارس/آذار المنصرم في مشروع إطلاق أول قناة إذاعية خاصة بالنساء، هي «نسا إف إم»، كما عملت لسنوات طويلة بالتعاون مع السّلطة الفلسطينية، على حماية التراث

ليست المرة الأولى التي تتعرض فيها اليونيسكو لضغوطات أميركية. لكن، لأول مرة، يلتمس الرأي العام حقيقة تلاشي اللوبي الأميركي

الثقافي. مثل الحفاظ على موروث قرية بتير (بالقرب من بيت لحم). والتخطيط لأول متحف إيكولوجي الذي ما يزال قيد الانجاز. كما تعمل أيضاً على إبراز مخزون الثقافة المحلية، من خلال تشييد بناية تقوم على المعمار المحلي، سيتم افتتاحها في المستقبل القريب، لتحتضن مركز الطفولة والأمومة. إضافة إلى مشروعات تعليمية في غزة، يشرف عليها مكتب اليونيسكو في رام الله، الذي يلقى دعماً واسعاً من الشيخة موزا».

المديرة العامة لليونيسكو إيرينا بوكوفا، التي التحقت بمنصبها الحالي في أكتوبر/تشرين الأول2009، تؤمن بأن التربية والتعليم هما قاعدتا احترام مواثيق حقوق الإنسان. لذلك، رغم كل ما يدور من ضغوطات أميركية، فإنها تبقى مصرّة على مواصلة العمل، والاستمرار في تنفيذ برامج اليونيسكو السّنوي.

رغم أن شهرتها تعود إلى حصولها على جائزة البوكر البريطانية للرواية عن روايتها اليتيمة «إله الأشياء الصغيرة» (1997) إلا أن أروندأتي روي معروفة في الهند والعالم لكونها تنشط ضد العولمة والإمبريالية وبناء السدود الضخمة في الهند، وكذلك ضد التسلح النووي وأخطار القنبلة النووية التي تتباهى كل من الهند والباكستان بامتلاكها. وقد كتبت روي عدداً من الكتب، التي لاقت رواجاً كبيراً في العالم الناطق بالإنجليزية، وكذلك في بلدها الهند، وكلها تدور حول السياسات الكونية والعولمة المتوحشة، والحرب على الإرهاب، وعودة الاستعمار الأمريكي لينتشر على الأقدام في بعض المستعمرات الغربية العتيقة.

الروائية والناشطة الهندية أرونداتي روي:

احتلوا وول ستريت لافلسطين

ترجمة: **فخري صالح**

في هذا الحوار اللامع الذي نشرته صحيفة الغارديان معها في 30 تشرين ثاني (نوفمبر) 2011 الماضي، وأجرته معها آرون غوبتا Arun Gupta، تتأمل روي ظاهرة حركة «احتلوا وول ستريت»، وتربطها بما يحدث في الهند والعالم وضرورة إيجاد خيال جديد يتجاوز الخيالين الرأسمالي والشيوعي.

لماذا رغبت بزيارة حركة «احتلوا وول ستريت»؟ وما هي الانطباعات التي خرجت بها من تلك الزيارة؟

- كيف يمكن لي أن لا أرغب في فعل ذلك؟ يبدو لي أنه متوقع من واحدة مثلي، قضت سنوات طويلة تفعل أشياء شبيهة على الصعيدين الثقافي والنظري، أن تفعل ما فعلته فتزور معتصمي وول ستريت. لكن رغم ذلك، فإنني لا أستطيع إنكار مشاعر الدهشة والاستغراب والبهجة التي انتابتني. أردت بوضوح، أن أتبين بنفسي المدى الذي بلغه هذا الفعل، وحجمه، ونسيجه، وطبيعته. ففي المرة الأولى التي ذهبت فيها إلى هناك، حيث رأيت كل تلك الخيام منصوبة، بدا لي الأمر أقرب إلى أن يكون نوعاً من الاعتصام منه إلى حركة احتجاج. لكن الأمر بدأ يتوضح فيما بعد ويعلن عن نفسه. كان بعض الناس يحتلون الأرض فيما ترك موضوع التنظيم والتفكير لأناس آخرين. وكما قلت، في حديثي أمام جمهور «جامعة الشعب» People's University، فإن ما يحدث هو بمثابة لغة سياسية جديدة تدخل الاستعمال لأول مرة في الولايات المتحدة، لغة كانت تعد فضائحية منذ فترة قصيرة للغاية.

هل تعتقدين أنه ينبغي لحركة (احتلوا) أن تعرّف نفسها باحتلال فضاء بعينه أم باحتلال فضاءات عديدة؟

- لا أظن أن الأمر يتعلق باحتلال أراضٍ وأماكن، بل يتعلق بالأحرى بإعادة إشعال الخيال السياسي. ولا أظن في الوقت نفسه أن الدولة ستسمح للناس باحتلال فضاء محدد، إلا إذا شعرت أن ذلك سيقود إلى نوع من الرضا عن النفس، وأن فاعلية الاحتجاج وطابعه الملحّ سوف يتبخران. إن حقيقة أن الناس في نيويورك، وفي أماكن أخرى، ضُربوا وأُخلوا من المكان، يدل على عصَبية المؤسسة الحاكمة وارتباكها. أظن أن الحركة سوف تتحول، أو أنها ينبغي أن تتحول، إلى حركة من الأفكار قابلة للتغير والتحول بسرعة، وكذلك إلى فعل، حيث يبقى عنصر



الإدهاش والمفاجأة سمة المحتجين. علينا أن نحافظ على طبيعة الكمين الثقافي والمظاهر الفيزيائية الملموسة التي تفاجئ الحكومة والشرطة. على الحركة أن تستمر في إعادة تخيل نفسها، لأن احتلال الأرض قد لا يكون مسموحاً به في دولة قوية وعنيفة مثل الولايات المتحدة.

احتلال الأماكن العامة يثير خيال الناس. ما سر هذا التأثير من وجهة نظرك؟

- أظن أن هناك عدم رضا، يرقد تحت الجلد، تعمل هذه الحركات على التعبير عنه بصورة مفاجئة. حركة (احتلوا) عثرت على أماكن حيث الناس يشعرون بالغضب ويمكن لهم أن يأتوا ويشاركوا. وهذا مهم للغاية، كما نعرف جميعاً، وضروري بالنسبة لأية حركة سياسية. الأماكن التي تواجدت فيها حركة «احتلوا» أصبحت مواضع يمكن أن تقيس فيها مستويات الغضب وعدم الرضا.

ذكرت أنهم معرضون للهجوم. هناك عشرات من مواقع الاحتجاج منع الوصول إليها، أو أنها أخليت، على الأقل بصورة مؤقتة، خلال الأسبوع الأخير. فما هي الوجهة التي ترين أن الحركة سوف تتخذها مستقبلاً؟

- لا أدري فيما إذا كنت الشخص الصحيح القادر على الإجابة على مثل هذا السؤال، خصوصاً أنني لا أقضي الكثير من الوقت في الولايات المتحدة. لكنني أتوقع أن تستمر الحركة في إعادة تحشيد نفسها في أشكال مختلفة من الغضب الذي أدى إليه القمع، ما يجعل الحركة تتوسع وتمتد إلى أماكن أخرى.

أخيراً، فإن الخطر الداهم الذي يتهدد الحركة هو أنها سوف تتزامن مع حملة انتخابات الرئاسة المقبلة. لقد رأيت ذلك يحدث في الحركة المناهضة للحرب هنا، وأنا أرى ذلك يحدث على الدوام في الهند.

في النهاية، فإن الطاقة والعمل كليهما يذهبان من أجل المشاركة في حملة انتخاب «الشخص الأفضل»، وهو في هذه الحالة باراك أوباما الذي يستمر في الحقيقة في نشر الحروب في أنحاء العالم جميعها. ويبدو لي أن الحملات الانتخابية تعمل على امتصاص طاقة الغضب كلها، والذكاء السياسي، وسط استعراض الفودفيل العظيم هنا، بحيث ننتهي أخيراً إلى الموضع الذي بدأنا منه.

مقالاتك، مثل: «تحقيق الصالح العام» و«السير مع الرفاق»، تركز عدستها على الشركات والجيش والدولة التي تحتل أراضي الناس في الهند. كيف يمكن مقارنة هذه الأشكال من الاحتلال ومقاومتها بحركة (احتلوا وول ستريت)؟

- آمل أن يكون الناس في حركة (احتلوا) واعين سياسياً بما فيه الكفاية أن تعرضهم للإقصاء والحذف من مشهد مراكمة الثروات الفاحشة في الولايات المتحدة، بأيدي عدد من الشركات والمؤسسات الضخمة، هو جزء من نظام الحذف والإقصاء نفسه، ومن الحرب التي تشن من قبل تلك الشركات في أماكن أخرى مثل الهند وإفريقيا والشرق الأوسط.

إننا نعلم تماماً، منذ حدوث الكساد الكبير، أن واحداً من السبل الأساسية التي عملت الولايات المتحدة من خلالها لتحفيز اقتصادها ونموه تمثل في تصنيع الأسلحة وتصدير الحرب إلى دول أخرى. ولهذا، وبغض النظر فيما إذا كانت هذه الحركة معنية بتحقيق العدالة للمحرومين في الولايات المتحدة، أو كانت حركة تهدف إلى مواجهة نظام التمويل الكوني الذي يعمل على إيجاد مستويات من الجوع والفقر إلى حد نعجز عن تخيله، فعلينا أن نقر بأهمية هذه الحركة.

كتبت عن حاجتنا إلى خيال مختلف عن ذاك الخاص بالرأسمالية. هل يمكن أن تحدثينا عن ذلك؟

- إننا عادة نستعمل، دون حيطة، مصطلح الرأسمالية، التي تكون فيها العلاقة حميمة بين رجال الأعمال وموظفي الدولة، أو الرأسمالية الليبرالية، لنتجنب في الحقيقة الحديث عن الرأسمالية ذاتها. لكننا عندما نشهد ما يحدث في الهند والولايات المتحدة حيث يتم تغليب النموذج الاقتصادي في الولايات المتحدة تحت مسمى «الديموقراطية»، ويتم فرضه على دول العالم جميعها، باستخدام القوة العسكرية إن لزم الأمر، قد أدى في الولايات المتحدة نفسها إلى امتلاك أربعمائة شخص ثروة تقارب نصف ثروات أمريكا كلها. هناك الآلاف يفقدون أعمالهم وبيوتهم، في الوقت الذي تقوم فيه الدولة بإنقاذ الشركات من خلال ضخ مليارات الدولارات في شرايينها. هناك مائة شخص في الهند يملكون ربع الناتج القومي الهندي. هناك خطأ فادح يحدث. ينبغي أن لا يسمح لأي شخص أو شركة بمراكمة ثروات غير محدودة، بمن فيهم الكتّاب ذائعو الصيت، مثلي، الذين تتدفق إلى حساباتهم أموال كثيرة كل يوم. ينبغي أن لا يكون المال مكافأتنا الوحيدة. فالشركات التي تراكم تلك الأرباح الضخمة يمكن أن تمتلك كل شيء: الإعلام، والجامعات، والمناجم، وصناعات الأسلحة، والمستشفيات وشركات التأمين الصحي، وشركات الأدوية، والمؤسسات غير الحكومية. إنها تستطيع شراء القضاة، والصحفيين، والسياسيين، ودور النشر، ومحطات التليفزيون، ومحلات بيع الكتب، وحتى الناشطين. هذا النوع من الاحتكار، والملكية العابرة للمؤسسات، ينبغي أن يتوقف. إن عملية الخصخصة الشاملة للعناية الصحية، والتعليم، والمصادر الطبيعية، والبنيات التحتية الضرورية كل ذلك هو شيء ملتو ومناقض لمهمة الدولة في وضع مصالح الناس والبيئة في بؤرة عملها وينبغي أن يتوقف. إن مراكمة الثروات غير المقيدة في أيدي الأفراد والشركات ينبغي أن تتوقف. كما أن وراثة الأبناء لآبائهم الأغنياء جداً ينبغي أن تتوقف كذلك. علينا أن نصادر أموال من صادروا أموال الناس ونعيد توزيعها.



هناك معركة خاصة بالخيال، معركة لإعادة تعريف معنى الحضارة، معنى السعادة

ما هو الخيال المختلف الذين تدعين إليه؟

- لقد صرح وزير الإسكان في الهند أنه يريد لسبعين في المائة من الشعب الهندي أن يسكنوا في المدن، ما يعني نقل حوالي خمسمائة مليون إنسان من أراضيهم وبيئاتهم. ولا يمكن تحقيق هذا دون تحويل الهند إلى دولة عسكرية. لكن في الغابات في وسط الهند، وفي المناطق الريفية، هناك حرب كبيرة يجري شنُّها. ملايين من البشر يطردون من أراضيهم من قبل شركات المناجم، وبسبب عمليات بناء الجسور، والعمليات الإنشائية للشركات، وهناك معركة كبرى تخاض ضد السكان. هؤلاء أناس لم يتم إقناعهم بالمشاركة والتواطؤ مع ثقافة المجتمع الاستهلاكي، من خلال إشاعة المفاهيم الغربية للحضارة والتقدم. إنهم يقاتلون من أجل الحفاظ على أرضهم وأماكن عيشهم، ويرفضون أن يتم نهبهم لكي يأتي واحد من بعيد و«يتقدم» على حسابهم. هناك الملايين في الهند ممن جرى تشريدهم داخل بلدهم، وهم الآن يضعون أجسادهم على السكة ويقاتلون من أجل استعادة حقوقهم. إنهم يُقتلون ويسجنون بالآلاف. هناك إذن معركة خاصة بالخيال، معركة لإعادة تعريف معنى الحضارة، معنى السعادة، معنى الرضا والشعور بتحقيق الذات. هذه المعركة تتطلب أن يرى العالم أنه في مرحلة من المراحل، وبعد أن يتم استنزاف موارد المياه والمعادن الباقية في المرتفعات الجبلية، سوف نواجه أزمة لا حل لها. ومن صنعوا تلك الأزمة، في المقام الأول، لن يكونوا هم القادرين على حلها. وهنا يتطلب الإصغاء باهتمام إلى من يملكون خيالاً مغايراً: خيالاً آتياً من أرض غير أرض الرأسمالية، أو الشيوعية. سوف نعترف متأخرين أن هؤلاء الناس، مثلهم مثل ملايين السكان الأصليين الذين يحاربون احتلال أراضيهم وتدمير بيئاتهم، أولئك الذين مازالوا يعرفون أسرار العيش المستدام ليسوا آثاراً من الماضي، بل هم أدلاؤنا إلى المستقبل.

في الولايات المتحدة، كما تعلمين، يبدو الخطاب السياسي مهووساً بالطبقة الوسطى، لكن حركة (احتلوا)، ولأول مرة منذ عقود، جعلت الفقراء والمشردين

في بؤرة الخطاب العام. هل يمكن أن تعلقي على ذلك؟

- إنه عكس ما يمكن أن تريه في الهند. ففي الهند ينتشر الفقر بصورة هائلة بحيث لا تستطيع الدولة السيطرة عليه. تستطيع ضرب الناس، ولكنها لا تستطيع منع الفقراء من التدفق في الطرقات، والمدن، والحدائق العامة، ومحطات القطارات. أما الفقراء هنا فلم يكونوا يُرون لأن نموذج النجاح هنا، الذي كان يُسوّق إلى العالم، يستدعي إخفاء الفقراء وعدم عرض الحالة التي يبدو عليها السود. فقط الناجحون من الشعب الأسود، لاعبو كرة السلة، والموسيقيون، وكوندوليزا رايس، وكولين باول. لكنني متأكدة أنه سيأتي الوقت الذي تصوغ فيه الحركة شيئاً أكثر من مجرد التعبير عن الغضب.

ككاتبة، كيف تنظرين إلى كلمة «احتلال»، التي استعادت معناها الإيجابي الآن بعد أن كانت على الدوام واحدة من أكثر الكلمات بشاعة في لغة السياسة؟

- ككاتبة، قلت، على الدوام، إنه من بين أشياء أخرى ينبغي استعادتها، إضافة إلى الثروات الضخمة البشعة لأصحاب المليارات، علينا استعادة اللغة. فقد استخدمت اللغة لتعني عكس ما تعنيه تماماً عندما يتحدثون عن الديموقراطية والحرية. لهذا فإنني أظن أننا عندما نقلب كلمة «احتلال» على رأسها فإن ذلك يعد شيئاً جيداً. لكنني أريد أن أقول إن ذلك يحتاج إلى مزيد من العمل. علينا أن نقول: «احتلوا وول ستريت، لا العراق»، «احتلوا وول ستريت، لا أفغانستان»، «احتلوا وول ستريت، لا فلسطين». علينا أن نضع الشيئين مقابل بعضهما، وإلا فإن الناس لن يعودوا قادرين على قراءة الإشارات.

كروائية، كتبت كثيراً عن دوافع الشخصيات وكيف تقوم بتأويل الواقع. وفي هذا البلد فإن كثيراً ممن التقيناهم من حركة احتلوا يبدون غير قادرين على توفيق رغباتهم بخصوص أوباما مع ما يمثله أوباما بالفعل. وكلما تحدثت لهم عن سجل أوباما قالوا لي: «آه، إن يديه مقيدتان؛ علينا أن نلوم الجمهوريين، فليست غلطته». لماذا في اعتقادك يكون رد فعل الناس على هذه الشاكلة، حتى ضمن حركة (احتلوا)؟

- حتى في الهند لدينا المشكلة نفسها. لدينا حزب يميني شرس، وشرير بصورة شديدة الوضوح، هو حزب باريتيا جاناتا (BJP)، ولدينا حزب المؤتمر الذي يفعل أشياء أسوأ، لكنه يفعلها تحت جنح الليل. إن الناس يشعرون أن الخيارات المتاحة أمامهم هي أن يصوتوا لهذا الحزب أو ذاك. النقطة التي أود أن أؤكد عليها، هي أنه بغض النظر عن الجهة التي تود التصويت لها، فإن ذلك لا ينبغي أن يستنفد الأوكسجين كله من الجدل والحوار السياسيين. إنه مسرح مصطنع مصمم بحيث يمكنهم من تصنيف الغضب وتعريفه وجعلك تشعرين أن هذا ما يفترض بك أن تفكري به وتتحدثي عنه، في الوقت الذي تكونين فيه في الحقيقة واقعة في أسر استعمال واحد من مسحوقي غسيل تصنعهما الشركة نفسها.

لم تعد الديموقراطية تعني ما يفترض أنها كانت تعنيه. لقد أعيدت إلى المشغل، وفُرِّغت كل مؤسساتها من الداخل، ثم إنهم قاموا بإعادتها إلينا بوصفها وسيلة تمثل حرية السوق، والمؤسسات والشركات الكبيرة. فهي وجدت لخدمة هذه الشركات والمؤسسات، وتدار من قبلها. وحتى لو صَوَّتنا فينبغي أن لا نصرف الكثير من الوقت والطاقة الثقافية على اختياراتنا، بل أن نبقي أعيننا مفتوحة على الكرة.

هذا يدل أيضاً على فشل الخيال؟

_ إنه نوع من السير داخل مصيدة مُعَدَّة بشكل جيد. لكن هذا يحدث في كل مكان، وسوف يستمر في الحدوث. إنني أعلم أنني إذا عدت إلى الهند، وحكم حزب باريتيا جاناتا الهند فسوف أواجه مشكلات أكبر بكثير من تلك التي تواجهني في زمن حكم حزب المؤتمر. لكن، وعلى الصعيد المنهجي، وفيما يتصل بالطريقة التي تحدث فيها الأشياء، ليس هناك اختلاف، لأنهم يتواطؤون فيما بينهم طيلة الوقت. ولذلك لن أضيّع حتى ثلاث دقائق من وقتي لأقول للناس: صوتوا لهذا الحزب أو ذاك.

هناك سؤال طلب مني كثيرون توجيهه لك: متى تنتهين من روايتك التالية؟

- ليس لدي جواب لهذا السؤال... ببساطة لا أعرف. الروايات شيء غريب، غير متبلور، وهش. ولذلك نستمر في التجول وخوذات الوقاية من الحوادث على رؤوسنا، ونحن نحمل آلاتنا الموسيقية معنا.

هل تلهمك حركة (احتلوا) كروائية؟

- دعينا نقل إنها تريحني. أشعر بطرق عديدة أنني كوفئت على ما عملته، إلى جانب مئات الأشخاص مثلي، حتى لو كان ذلك يبدو عقيماً أحياناً.



أحمد السوداني - العراق

2012 نهاية العالم
أم نهاية الطغيان ؟

2012/12/21 هو اليوم الذي سينتهي فيه العالم. هكذا تقول التنبؤات.

ومن يتأمل الرقم يجد ذلك الاستناد الأسطوري إلى سحر الأرقام الذي تعرفه كل الشعوب، هناك لعب على الرقم 12 ومقلوبه. أما إذا تغاضينا عن «الطوطمية» الرقمية فالنبوءة مؤيدة من سحر آخر هو تقويم المايا ومن العلم حيث يُتوقع دخول كوكب نايبرو إلى المجال المغناطيسي للأرض. ولأن الكوكب المعتدي يبلغ ضعف الأرض فإنه سوف يدمر الحياة عليها. وهكذا يقترب العلم بشكل منهل من الأسطورة لينسج النبوءة التي تلعب على مشاعر الخوف من الفناء.

هذه النهاية المقترحة للعالم، ليست النهاية الأولى. هناك العديد من النبوءات السابقة التي لم تتحقق، لكننا عشنا لنقرأ تاريخها، وكان أكبرها توقع نهاية العالم عام ألف ميلادية، وقد استثمر آباء الكنيسة هذه النبوءة في جمع ما استطاعوا من أموال لقاء صكوك الغفران التي تدافع المسيحيون لشرائها!

وليس بالعلم فقط أو بالخرافة فقط، وليس منهما معاً تولد أسطورة النهاية، هما مجرد القابلة التي يولد على يديها ذلك الرعب الذي تحركه السياسة والتجارة.

ونحن نستقبل العام الجديد تعدكم «الدوحة» ببقاء العالم، وإن كان لنا أن نطلق خرافة أخرى في شكل أمنية، فأمنيتنا أن ينتهي طغاة العالم في 2012.



هنود المايا وتقويمهم المتشائم

أصل الحكاية

مروة رزق - مصر

تعتمد معظم التكهنات التي تتحدث عن نهاية العالم ديسمبر 2012 على كتابات هنود المايا بأميركا الوسطى. وحضارة المايا هي واحدة من ثلاث حضارات كبرى - إلى جانب الإنكا والإزتك- سكن هنود المايا أميركا الوسطى قبل وصول كريستوفر كولومبوس إليها. وتمركزوا أساساً فيما يعرف حالياً بولايات تشايباس وكامبيتشي وتاباسكو ويوكاتان المكسيكية وما تسمى حالياً دول جواتيمالا وبليز وهندوراس والسلفادور.

عاشت حضارة المايا منذ عام 2000 ق. م إلى عام 1456 ميلادياً، ولكنها اندثرت بسبب الحروب بين القبائل والجفاف المتكرر والغزو الإسباني، ومع ذلك هناك عدة آلاف ينتمون إلى هذه الحضارة العريقة ما يزالون يعيشون في المكسيك وجواتيمالا إلى يومنا هذا....

أهم ما ميز ثقافة هنود المايا هو التقدم المنهل في الحساب والفلك. وأخذوا يتعمقون في هذين العلمين لمعرفة تأثير النجوم على مسار العالم. وكان «التقويم» أبرز ما حققوه في هذا المجال، إلى أن أصبح محور حياتهم كلها. وأضحوا يعتقدون أن كل ما يمر في الحياة من مواقف إنما يكون لهذا التقويم تأثير عليه.

وكان تقويم هنود المايا-الذي يراه المتخصصون أكثر دقة من التقويم الذي نستخدمه اليوم- مؤلفاً من 365 يوماً، مقسمة على 18 شهراً في كل منها 20 يوماً وشهر واحد من خمسة أيام. وتتحكم في هذا التقويم دورة الشمس والقمر. يبدأ هذا التقويم الذي يعرف باسم «Long Count» من يوم 13 أغسطس 3014 ق.م الذي اعتقدوا أنه بداية العالم وينتهي يوم 21 ديسمبر 2012 أي أن مدته 5125 سنة.

> اكتشف المايا أن النظام الشمسي يتحرك في شكل قطع ناقص مقترباً ومبتعداً عن مركز مجرة درب التبانة. ويستغرق 25600 سنة، وهو ما أسموه «اليوم الكوني»

كان هنود المايا يحسبون السنة الشمسية بدقة منهلة حيث حسبوها عام 2500 ق. م بأنها 365.2424 يوماً. وحالياً قامت الناسا بحسابها بأنها كانت 365.2421 يوماً، مع العلم أن الناسا مزودة بساعة ذرية في حين أن هنود المايا لم يكن معهم سوى ملاحظاتهم عن السماء التي يدونونها في مخطوطاتهم.

احتوت هذه المخطوطات على معارف وتاريخ وتنبؤات ولكن مع وصول الاستعمار الإسباني والتحول إلى المسيحية، اعتبر رجال الدين هذه الوثائق خطيرة، وحُرق معظمها. لم يتبق منها سوى أربع مخطوطات: واحدة في دريسدن تشرح تفاصيل التقويم ونظامه الرقمي، ومخطوطة بمدريد تشرح الأبراج الفلكية والنجوم، ومخطوطة باريس والمدون بها بعض الملحوظات التاريخية والمسائل التنبؤية، أما مخطوطة جوليير في المكسيك فثمة شكوك في مصداقيتها.

وكافة مدن هنود المايا كانت مشيدة

وفقاً للنظام الشمسي، وكان يتم تشييد المباني لتعكس ظواهر سماوية على الأرض، مثل هرم تشيتشن إتزا الشهير، وهو عبارة عن تقويم ثلاثي الأبعاد. نرى داخله هبوط كوكولكان (الإله خالق الكون)، وأفعى مكونة من الظلال تتشكل في زوايا الهرم أثناء الانقلاب الشمسي (21 أو 22 يونيو – 21 أو 22 ديسمبر من كل عام)، كرمز لهبوط الإله من السماء نحو الأرض.

اكتشف المايا من خلال دراساتهم أن النظام الشمسي يتحرك في شكل قطع ناقص مقترباً حيناً ومبتعداً حيناً آخر عن مركز مجرة درب التبانة. ويستغرق هذا الشكل ليكتمل 25600 سنة، وهو ما أسموه «اليوم الكوني».

قسموا حركة هذا الشكل بين ليل ونهار كل منها يدوم 12800 سنة، النصف الأقرب من مركز المجرة هو النهار، والنصف الأبعد هو الليل. وقارنوا بين هذا «اليوم الكوني» وبين الدورات التي تحدث على الأرض، فقسموه إلى خمس دورات كل منها تستغرق أقل من 5125 عاماً: مثل الصباح (عند المايا هو المخاض) والظهيرة (مرحلة النمو)، والمساء (بدء مرحلة الزوال)، المساء المتأخر (على الإنسانية أن تبني وعيها)، والفجر (بداية دورات خمس جديدة).

وينص التقويم على أنه هناك فترة من 20 عاماً تدعى «باكتون» ويتم فيها الانتقال من دورة إلى أخرى، وتشهد خلالها تغيرات كبيرة وتتعرض خلالها البشرية لعدة تطورات. وتؤكد تنبؤات هنود المايا أن النظام الشمسي خرج عام 1999 من آخر هذه الدورات كي يدخل في 21 ديسمبر 2012 في دورة جديدة هي (صباح الكون)، مما يدفعنا إلى الاعتقاد أننا سنشهد بداية مرحلة جديدة في 21 ديسمبر 2012 وألا نتوقع نهاية.

آخرون مثل الدكتور المكسيكي مانويل آريتا المتخصص في تقويم



روكني حاريناده - إيران

هنود المايا يرون أن هذا التقويم لم يكن عداً للأيام و حسب وإنما كان التنبؤ هو وظيفته الأساسية. يتحفظ كثيرون على هذا الاستنباط خاصةً مع الترقب الحالي واقتراب يوم 21 ديسمبر 2012 ونهاية التقويم.

وقد تنبأ هنود المايا بسبع نبوءات: أولها أن الشمس ستتلقى يوم 21 ديسمبر 2012 شعاعاً من مركز المجرة ثم تبدأ دورة جديدة، والنبوءة الثانية أنه مع كسوف الشمس الذي حدث يوم 11 أغسطس 1999 سوف تبدأ سلسلة من التحولات في الشمس ذات تأثير على البشر. وتُحدث النبوءتان الثالثة والرابعة عن الانحباس الحراري والتغير المناخي, والنبوءة الخامسة تكلمت عن إنه لو لم يروض البشر سلوكياتهم لتتسق مع إيقاع الطبيعة والمجرة بحلول عام 2012، سوف نشهد انهيار كافة الأنظمة التي قامت عليها حضارتنا، أما السادسة فتوقعت ظهور مذنب يتسبب في تحولات كبيرة على كوكبنا. والسابعة نصت على أنه انطلاقاً من إرادة تبغي الانسجام والسلام الداخلي، يمكننا أن ننمي حواساً جديدة ونتكامل مع نظام المجرة، وبهذه الطريقة سوف نولد في عصر جديد «عصر النور».

مثلما يحدث هذه الأيام من حديث متكرر حول نهاية وشيكة للعالم سجل العام 1000 حديثاً مشابهاً، فقبله بسنوات، واعتماداً على سفر الرؤية في الإنجيل، زادت التفسيرات التي وضعت رأس سنة العام 1000 موعداً أخيراً للحياة وبعده تقوم القيامة، وفي عشية هذا اليوم تجمع حشد كبير في روما ينتظر النهاية المحتومة. وعندما حلّ منتصف الليل لم يحدث أي شيء، وصرف البابا سيلفسترو الحشد بعد أن باركه كالمعتاد.

نهايات أشهَرُها في عام 1000

نبوءة نقلت العالم إلى عصر التنوير

د. حسين محمود - مصر

على كل الأحوال يقسم مؤرخو الأدب والفكر جميعهم العصور الوسطى (سميت بهذا الاسم لتوسطها بين العصور القديمة الكلاسيكية والعصور الحديثة التي بدأت بها النهضة الإنسانية) إلى عصرين رئيسيين: العصور الوسطى العليا (الأولى) والعصور الوسطى الدنيا (المتأخرة)، والأولى تبدأ عام 476 بسقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية (روما)، والثانية تبدأ بعد العام 1000. والفارق بينهما أن العصور الوسطى العليا هي عصور ظلام والعصور الدنيا هي عصور نور، وبينهما ليلة واحدة فارقة بين نهاية عالم وبداية عالم جديد، هي ليلة بداية العام 1000.

ورغم وفرة الوثائق ذات الطابع الأدبي لهذا الحدث إلا أن علماء التاريخ يعتبرونه أسطورة لا دليل عليها، فهم يرون أن الحياة في العام 1000 كانت تسير كالمعتاد، ما بين بيع وشراء، وعدم تسجيل إقبال غير عادي على كتابة الوصية، وممارسة الأنشطة العادية دون انتظار لنهاية عالم وشيكة. كما أن أوروبا في ذلك الوقت لم يكن لديها تقويم مشترك، فرأس السنة كان يقع بين يوم الميلاد المجيد ويوم 25 مارس السابق والتالي، وكانت أوروبا نفسها مقسمة سياسياً، بين شرق مسيحي بالكامل ومجموعات من اليهود ووجود إسلامي في إسبانيا.

لكن تاريخ الأدب وتاريخ الفكر يضع هذا العام كعلامة فارقة بين عصرين: عصر الظلام، وبداية عصر النور، فقبله سيادة الدين والكنيسة على مقدرات الأمور، وبعده سيادة العقل حتى على علوم الدين. قبله كان الأدب الديني هو الأدب الوحيد المطروح على الساحة، وبعده بدأت عصور أدبية أخرى تُوِّجت بعصر النزعة الإنسانية الذي استعاد التراث الإنساني الإغريقي والروماني، والذي ظل طيلة العصور الوسطى تراثاً «كافراً» لا تنبغي دراسته.

نهضة الألفية أو نهضة العام 1000 هو مصطلح تم نحته لكي يعبر عن مرحلة تاريخية في العصور الوسطى الدنيا، وقد تميزت بنزعة نحو التجديد الديني والتطور الاقتصادي والتغير الاجتماعي مما دفع بعض الدارسين في تسميته «عصر نهضة العصور الوسطى»، وهو يتميز عن عصر النهضة المعروف في القرن الخامس عشر والذي يتخذ من اكتشاف القارة الأميركية بداية له.

للكاتب البريخت دورير بحث بعنوان «فرسان نهاية العالم الأربعة: الحرب والجوع والموت والمرض»، وفيه يؤكد ما لم يذهب إليه المؤرخون، من أن موجة من الرعب لفت شعوب الغرب، لم يكن مصدرها العلم، وإنما تفسير لكلمات للمسيح يقول فيها «ألف وليس أكثر من ألف»، أو ما ورد في سفر الرؤية أو رؤيا يوحنا اللاهوتي: «ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده. فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة. وطرحه في الهاوية وأغلق عليه وختم عليه، لكي لا يضل الأمم في ما بعد حتى تتم الألف سنة وبعد ذلك لا بد أن يحل زمان يسير». وفسروا هنا أن الألف عام التي يظل فيها الشيطان مقيداً هي التي تلي صلب المسيح، ومن ثم تبدأ نهاية العالم بعد مرور الألف سنة المذكورة في الإنجيل.

وسرى هذا التفسير مسرى النار في الهشيم، وسجل العديد من الكتاب اللاتين هذا الخوف من نهاية العالم قبل العام 1000، واعتبروا الإصحاح الإنجيلي نبوءة، وانتظروا تحققها ونهاية البشرية. والراهب البنديكتي

وكان هـذا النوع مـن الخوف منتشـراً جـداً، ومعه الخوف مـن العقاب الإلهي ومن الشـيطان ومن الجحيم. ومع هذه المخاوف اجتمعت الشعوذة والدجل من كل نوع. فـكان هناك إيمـان بالتنجيم والسـحر ووجـود الأشـباح والأرواح الشريرة.

ورغم هذه الحالة العامة التي يغلب عليها الخوف، وعكس ما يريد المؤرخون إثباته، سـجلت تلك الفترة (365 يوماً قبل حلول العام 1000) حوادث انتحار جماعيـة، والتبـرع بثـروات طائلـة، وانتشـار الأنبياء المزيفين، والسـحرة والقساوسـة المتطرفين، وتحولت هذه السـنة الأخيرة من الألفيـة الأولى إلى كابـوس مزعج، سـيطر علـى الناس التي كانت تعاني من الجهل والأمية ولا تستطيع فهم حقيقة الأمور، بل أدى ذلك إلى غلو بعض القساوسة في طلب المال نظيـر منح الخائفين مـن عقاب الآخرة صـكاً بالغفـران. وكان للرهبـان دور خاص تسجله بعض الوثائق في نشر الذعر من نهاية العالم، ويتم تفسير ذلك عـادة بأنهم كانوا يراكمـون ثروات من الهبات والتبرعات، ولم تكن نهاية العالم التي يبشـرون بها تعني شيئاً بالنسبة لهم. ولـم يضـع نهاية لهـذه الترهات سـوى جهـود رجـال الدين المسـيحي المسـتنيرين مثـل البابـا جريجوريـو والبابا سيلفسترو، وهم الذين أكدوا أن من يرى في العـام 1000 نهاية إنما هم أصحاب العقول الضعيفة.

ليـس هذا وحسـب، بل إنـه عندما مر العام 1000 بسـلام اختـرع رهبان آخـرون تاريخاً آخر لنهايـة العالم هو عام 1033 مستشـهدين بأن العام الألف لا يحتسب بميلاد المسيح وإنما بتاريخ صلبه. وهكذا اسـتمر رجـال الدين في إصـدار تفسـير تلو الآخـر، على مدى العقود والقرون التالية.

هـل كان العالـم في العـام 1000 واعيـاً بمشـاكله الحقيقيـة؟ وهل كان واعيـاً بـأن عليه أن يبدأ عصـراً جديداً بأفكار جديدة؟



نادية عياري - تونس

راول جلابر، والذي ولد في بوروجونيا عـام 985، أثبت أنه كانت هناك ظواهر كثيرة تعلن مقدم هذه اللحظة المأساوية الكارثيـة، منهـا الحـروب والشـقاق وسـقوط أجـرام سـماوية وأوبئـة.. وكثير من الكتاب اللاحقين رأى في هذه الشهادات انعكاساً واضحاً لحالة نفسية للأوروبيين الذين عاشـوا حـول العام 1000، والتـي صورتهـا أيضاً لوحات فنيـة، وإجمـالاً يمكن تكويـن صورة ذهنيـة تكونت عن الإنسـان العادي في أوروبا، وهـذا لا يمنع من وجود نماذج أخرى لا تؤمن بالخرافة، وتأخذ بالعقل، أو لا تؤمـن بالأديـان مطلقـاً، والذين مارسـوا حياتهم العاديـة دون انتظار لهذا الشبح المجهول. طبقاً لهذه الصورة الذهنية فإن الليلة السـابقة للعام 1000 صـورت الناس متكأكئين في الكنائس، ومنهم من يبكي ومنهم من يصلي مخافة ألا يشرق غد يوم جديد. الراهب الفرنسي أبون دي فلوري ذكر في وثيقة له تعود لعام 998 أنه سـمع في قداس بكنيسة بباريس قساً يتكلم عن نهاية العالم.

كانت الطبقات الأكثر فقراً في العصور الوسطى العليا يعيشـون نهباً للخوف فعلاً، ربما ليس من نهاية العالم، وإنما خوف مـن الجوع لانتشـار المجاعات، وكان السـبب في هـذه المجاعـات قلة المحصول الناشـئة عن الحـروب التي تمنع الحصاد أو تمنع الزرع من أصله، أو تداهم الحقـول المزروعة. والحروب أخذت أشـكالاً عدة، منها حروب الدول، ومنها القرصنة والنهب والسلب في غيبة قوة الدولـة بعد سـقوط الإمبراطورية الرومانيـة. كان مبعـث الخـوف أيضاً انتشـار أمراض لـم تكـن معروفة ولم يكن لها عـلاج. وكان الرعب من المرض غالباً بسبب انتشار أوبئة الطاعون التي كانـت تقضي على قرى بأكملها. كل هذه المخاوف أدت إلـى الخوف من الموت،

الخيال والأسطورة في ثقافات الشعوب

ملح الحضارة

| **شرف الدين شكري** - الجزائر

منذ بزوغ فجر البشرية الأولى على هذه المعمورة، بعد ملايين من السنين التي شهدت حياةً أخرى غير هذه التي نحياها اليوم لكائنات أُخر، وما ظهر عبر الدراسات الأنثروبولوجية العتيدة التي حفرت في مسالك الحيوات المختلفة، جعلت العلوم في حدّ ذاتها تختلف فيما بينها حول تحديد تاريخٍ بعينه لبداية الإنسان الأول على وجه الأرض: فآدم الدراسات الأنثروبولوجية، أقدم من آدم الدّيانات السّماوية، وآدم بعض المعتقدات الوثنية، أقدم من آدم الدراسات الأنثروبولوجية التي سرعان ما تكتشف تأخُّر اطّلاعها ومعرفتها ببعض التصورات والرؤى الغريبة حقّاً لدى بعض الشعوب البدائية!..

منذ بزوغ تلك الأفجار الأولى، والإنسان بصدد شحذ همّة رؤيته على أشكال العالم التي تخيطُ ذاكرته، وتجبِره على إعطاء تفسيرات لها لوضع رابط بينه وبينها، عبر الحلم تارة وعبر الحقيقة تارة أخرى، عبر نهج سلوك معيّن، فيه من الشقّ النفساني الكثير، ومن الشقّ العقلاني الشيء الكثير أيضاً بعد تطوُّر الرؤى والأشكال والعلاقات الرابطة بينها، فغدا الإنسان تباعاً لتلك العلاقات بمثابة الممهّد الرئيس لنموّ المعرفة البشرية وارتقائها من مرحلة إلى أخرى، حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم من تطوُّر افتراضي، بعدما كان قبل عشرات الآلاف من السنين، يعيش مرحلة التصوّر الميتافيزيقي، كما أشار إلى ذلك «تاريخ تطوُّر العلوم»..

إنّ ثنائية مهمّة جداً، ربطت تاريخ تطوّر العلوم والمعارف، وشكّلت ديناموا الحركة في عمق ذلك التطوُّر ذاته. هذه الثنائية تشكلت من قطبي (الوسط/ الفكرة – Milieu/Pensée) دوماً، وتنازعت على ريادة التمثيل Représentation، وامتدّت إلى ثقافات الشعوب، كي تصبح اليوم، ليس فقط حربَ مداخلَ أو تصوّراتٍ منهجية، وإنما حرب بناء ثقافات بعينها ومأسَسة حضارات. فقبلَ أن تقوم حضارات الشُّعوب، قامت التصوّرات على اختلاف درجة الوعي فيها وفي مفعّليها الاجتماعيين، وربطت تلك الشعوب إلى أشكال منجزاتٍ وموفوراتِ الحياةِ القائمة، فنبت التفاعل بين الفكرة والوسط، وتشكلت تباعاً، الأشكالُ الحضارية المختلفة، وبالتالي، الدساتيرُ والنواميسُ والمخطوطات المتعدّدة والكتب السماوية والمنطوقات المدوّنة وغير المدوّنة.. إلخ، كي تتشكل تلك اللوائح البشرية الكثيرة التي وَخَطَتْ تاريخ المسار الإنساني وجعلت منه أثراً قائماً بعد عين متأمّلة.

وبين هذه الفكرة وتلك، وبين تداول تمثيل وآخر، اجتهدت المجتمعات في إنشاء تصوُّراتها التنشيئية Socialisation، مستعينة في ذلك الاجتهاد بما أصبح يعرف اليوم بالمخيال الجماعي Imaginaire collectif الذي يشكّلُ البنية الذهنية الاجتماعية التي تساهمُ في تسيير حياتنا وتغذّيها مشكّلة بذلك ثقافَتنا المحلية، ومن ثمّةَ حضارتنا التي تختلف عن حضارات المجتمعات الأخرى في درجة إسهامها حسب استعدادات مميزاتها الوسطية التي تحمل ضمن ما تحمله، درجةَ قابلية التّماهي والتجانس مع الآخر.

في ثقافتنا العربية ربّما، لم يُقابلنا هذا المصطلح جليّاً: المخيال، إلاّ في العشرية الأخيرة من القرن المنصرم، حيث كانت معاول الحداثيين التي بدأت تشتغل منذ نهاية السبعينات بفضل أعمال الجابري وأركون ونصر حامدٍ أبي زيد وأدونيس، وفرج فودة.. إلخ من طليعة ممثّلي الكتلة السوسيولوجية النقدية للعقل العربي، التي يقف على رأسها ربّما، بشكل ديكارتي، الدكتور طه حسين منذ العشرية الثالثة لنفس القرن، وحين أشرنا إلى تلك العشرية، فإننا أيضاً نشير الآن، إلى أن مخيالنا العربي، الذي لم يراجع نفسه بعقلانية دقيقة كما فعلت الحضارة الغربية عبر تراث كانط، كان مربوطاً إلى الخيال والأوهام التي تعود إلى مرحلة الميتافيزيقا أكثر منها إلى المراحل المتطوّرة – حتى اللاهوتية منها، كما عاشها ابن رشد أو الغزالي، اللذان يمثّلان ربما أفضلَ الذهنيات النقدية للدراسات اللاهوتية في التاريخ الإسلامي.

وبما أن المخيال، يجمع كل أنواع التصوّرات، السّانجة منها وحتى اليانعة، فإن الخيال اللصيق بثقافة





روكني حاريزاده - إيران

أي مجتمع، من شأنه أن يمنح المعنى بدوره لتلك التصوُّرات، كي يتفاعل مع المنطق الأسطوري بدوره، منتجاً بذلك لنوع من الاحتكاك الدينامي الدّاخلي، أو الحرارة الداخلية التي تحتدم تارة، وتهدأ تارة أخرى، وهي تجاهد من أجل فبركة المعنى المكتمل الأخير، كحوصلة بنيوية نهائية.

وبين الخيال والأسطورة، تربض أيضاً معايير الأحكام العلمية التي تختلف فيما بينها في درجة تقبُّلها لمكانة الخيال والأسطورة في حياة الإنسان الحديث، والتي يصل جانبها المتطرّف أحياناً حدَّ نَفْيِ كليهما، واعتبارهما مجرّد عوائق إبستيمولوجية، كما فعل بعض أنصار الوضعية أو حتى الاتجاه الماركسي. وبما أن اتجاه إعادة تقييم القيمة، بدأ يأخذ مكانته في الحضارة الغربية، بعد الأزمات النفسية والمادية التي ضربت سواحل العقل الغربي، وخلّفت جبالاً من الهزائم الإنسانية التي لم تفلح فيها الرؤية العالمية في مداواة جراحات إنسانها، مما دفع بالعنصر البشري إلى الانضمام إلى نوع مجتمعي جديد، ضمن شبكة جديدة، وفلسفة عالمية جديدة، هو المجتمع الافتراضي، الذي يعتبر تجميعاً مميزاً لأفراد عالم العزلة أو الانعزال، كي يتشكل بذلك مخيالاً جديداً.

ويبدو من خلال التجمع الشبكي العالمي للبشرية اليوم، أن المؤهلات النفسية والعقلانية التي تحرّك هذا المجتمع، وبخاصة على مستوى فئته الشابة التي تعتبر بمثابة الإسفنج الممتص الكبير للأفكار في مرحلتها الخامّة، أصبحت تصنّعُ بشكل ثقافي ضخم، لعلم الغرب بأن التطوّر المادي الذي لا يصنع التماهي فكرياً، ولا يقدّمُ البديل الموضوعي الذي يغذّي متطلبات الوضعيات الجديدة التي تأتي من المطالب الّلحوحة في مرحلة الافتقاد، هو تطوُّرٌ كفيل بصناعة الاغتراب. ولذلك فإن صناعة الثقافة اليوم، هي صناعة مستقبلية للبدائل الموضوعية لمجتمع المستقبَل. ومهما قيل ويقال عن هذا المجتمع الكبير الذي يُشيع لنوع من الأنسية، فإن «تناحر» الهويات أو «اقتتالها» حسب تعبير أمين معلوف، يظلُّ أمراً قائماً في الصميم، ويتطلّبُ دوماً تجهيزاً مبدئياً لهذا التماهي الذي يبدو غير مراقب من خلال قشرته الخارجية، ولكنه قمّة في الخضوع إلى كل أنواع الرقابة والاستشراف لمساراته.

أصبح العلم اليوم، بمثابة الدّين الذي يقدّم نفسه للجمهور بألف قناع، ويتماهى في كل مرّة مثلما كنّا نشاهد ذلك منذ ربع قرن في أفلام الكوسموس المتنبّئة مع الوضعيات، حسب جسد المتخيّل، كي يحلّ كبديل موضوعي لكل الحاجيات البشرية، الروحية منها والمادية. ولذلك فإن الحضارة البشرية العولمية اليوم، هي حضارة العلم بامتياز، وفي رواية أخرى، وضمن تصورات منهجية مغايرة، أنّ ديانة الإنسان الحديث، هي العلم لا غير.

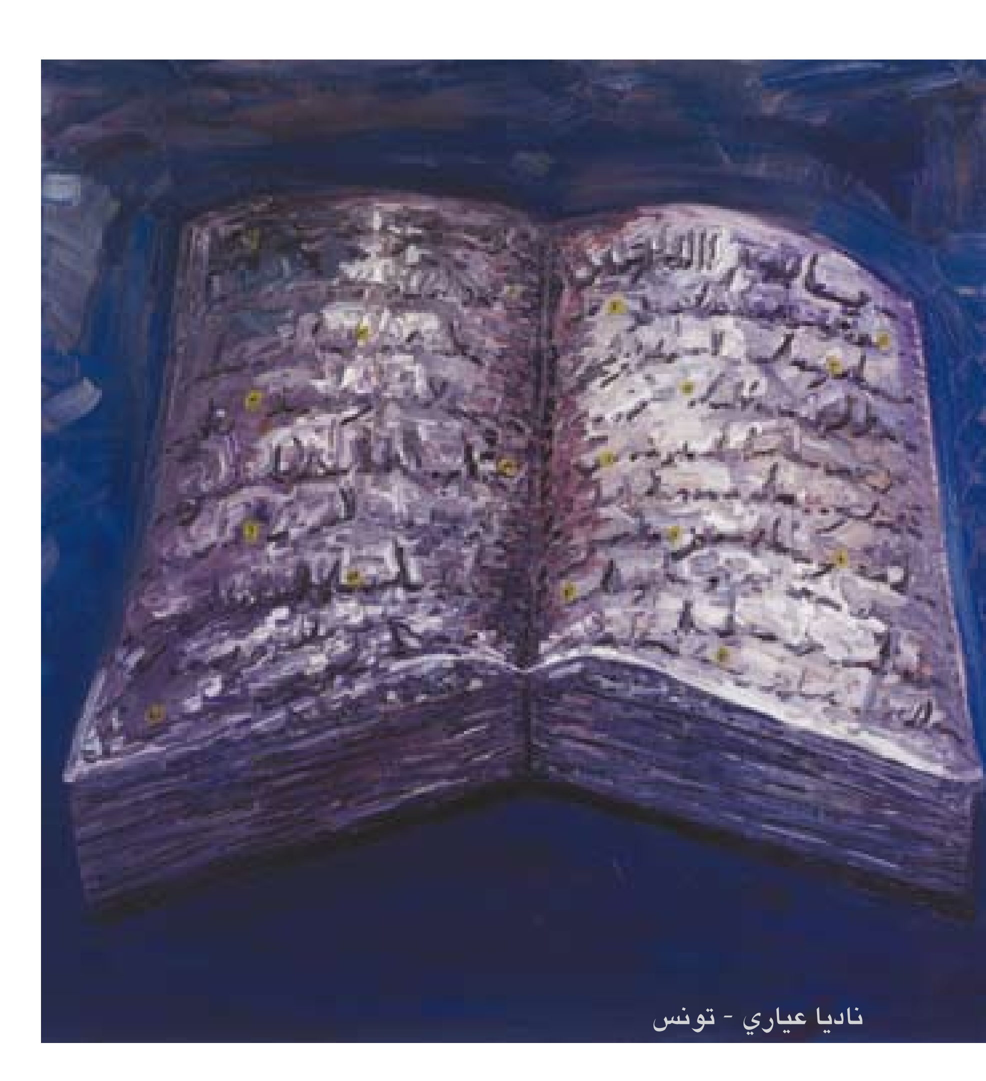
من هنا، تغدو المركّبات الذهنية التي تشكل مخيالنا، بما يحتوي عليه من خيال قد يصرَّفُ إلى أفعالِ المستقبل كما قد يصرّفُ إلى أفعال الماضي، ومن أساطير، تُصرَّفُ فقط إلى أفعال ماضية تارة، أو إلى أفعال أبدية لا تفنى، مثلما هو الحال عليه في ثقافتنا الإسلامية، رغم تعذُّر الإقرار والفهم في أحايين كثيرة بأسطورية النصّ المقدّس، لعدم جاهزية العقلية المحلية للتعامل بالأدوات المنهجية الحديثة، واعتبار النصّ المقدّس ذا بنية خاصة جدّاً، لا تخضع لنحت الدراسات اللاهوتية الوضعية، كما حاول أركون أن يوضّحه ضمن النسق التاريخي.. قلت، تغدو تلك المركّبات بمخيالها، واهناً كان أم قوياً، بمثابة المدخل الإجباري إلى حضارة الإنسان الحديث، ونغدو تباعاً لذلك، ملزمين بتربية هذا المخيال على مداخل منهجية نقدية قوية، تحفظ الجانب الخيالي في ثقافتنا، والجانب الأسطوري أيضاً، ولكنّها بالمقابل، تهيِّئُه لكي يحتمل صدَماتَ صدام الحضارات الذي لم يتغيّر في نسقه الداخلي كثيراً عمّا رآه هنتنغتن، حتى بعد نهاية التاريخ التي تنبّأ بها نيتشه وفوكو وأنتونان أرتو، قبل فوكوياما.

وإذا كان الإنسان يعيش حقاً دونما تاريخ مثالي/متعالٍ/اختزاليّ آت، يمحو المصدر، ولا يقرّ بشموليته، فإن الذاكرة الجماعية، لا يمكن لها أن تُختزَلَ رغم كل شيء في التصوّرات المستقبلية، وتتناسى أن الخيال أو الأسطورة، في ثقافات الشعوب، هو ملح الطعام الذي يمنح لأي حضارة طعمَها اللّذيذ في مجلّد تاريخ البشرية، شرط عدم تجاوز الكمية اللازمة طبعاً!

نهاية الأزمنة
في الأديان التوحيدية الثلاثة

تلتقي الكتب المقدّسة في اليهودية والمسيحية والإسلام حول رؤية شبه واحدة إزاء قضية نهاية العالم. وتجمع هذه الكتب السماوية على أنّ الله العلي القدير وضع نهاية لهذه الدنيا التي خلقها. وقد أخفى عن عباده وقت القيامة، لكنه وضع لها علامات تدلّ على قرب مجيئها. هنا قراءة في مفهوم القيامة كما أجمعت عليه اليهودية والمسيحية والإسلام، انطلاقاً من مقال نشر في مجلة «عالم الأديان» (لو موند دي روليجيون) في عددها الأخير.

عبده وازن -بيروت



ناديا عياري - تونس

كتب الأديب والشاعر الفرنسي بول فاليري في القرن الماضي: «نحن أولو الحضارات، بتنا نعرف اليوم أننا بائدون». هنا هو الدرس الذي يلقّننا إياه التاريخ: حتّى أكثر الإمبراطوريات عظمةً، على غرار إمبراطورية الآزتيك أو الإمبراطورية الرومانية، لم تستطع الصمود في وجه الزمن. أما الديانات التوحيدية فقد كرّست هذه المقولة الجازمة في أوجها: ليست الحضارات وحدها الفانية، بل العالم بحدّ ذاته آيل إلى الزوال. وفي تعاليمها أن التاريخ سيتوقّف يوماً. وتدعو الكتب المقدّسة، في اليهودية والمسيحية والإسلام، الإنسان إلى الاستعداد إلى نهاية الأزمنة المحتّمة. ولم يكفّ المفسرون و«أصحاب الرؤى» المستنورون يوماً عن إطلاق التكهنات حول قدوم هذا اليوم، ولكن من دون جدوى. فنهاية العالم، تماماً كما فعل خلقه، تخرج عن سيطرة الإنسان.

ولأن الكون بأسره خُلق من العدم في يوم من الأيام، على يد إله قدير وعظيم، فهو سيعود يوماً إلى العدم بإرادة هذا الإله نفسه. وهكذا، أرسى العهد القديم من الكتاب المقدّس، وهو النبع الذي استقى منه الجميع مفهوماً جديداً للزمن، فأصبح هذا الأخير متسلسلاً ومحدّداً ببداية ونهاية، بعد أن كان دورياً على غرار نظام الطبيعة، يشهد فترات تدهور تلي العصور الذهبية، في دوّامة لا تنتهي أبداً، وهو مفهوم كان سائداً في غالبية الديانات القديمة، كما في البوذية والهندوسية.

إلا أن الإيمان بنهاية العالم لا يبدو أنه سبق تحديده كمفهوم، إذ إن النصوص الأقدم في اليهودية لا تأتي على ذكره. بل أتى هذا الاعتقاد ثمرة نضج بطيء ظهر في مطلع القرن الثامن قبل الميلاد، عند كتابة المزامير، واستمرّ في عهد الأنبياء (أشعيا وإرميا وحزقيال، والأنبياء الاثني عشر الصغار)، وبلغ ذروته في سفر دانيال (الذي كُتب في القرن الثاني الميلادي)، والذي ذكر للمرة الأولى فكرة «نهاية العالم». وسوف تُلهم هذه الرؤى المرعبة نصوصاً ذات صلة بسفر الرؤيا، وهي كانت رائجة بشكل خاص

في القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الأول للميلاد، ولعلّ أشهر نصوصها هو سفر أخنوخ، النسخة المعاصرة لسفر دانيال. وسيكون لهذه الرؤى تأثير على كلمة المسيح، الذي يقتبس مرات عدّة عن النبي دانيال ليبشر بـ «رجسة الخراب» التي تسبق النهاية. وفضلاً عن الأناجيل، فإن انتظار يوم الآخرة بارز في نص رؤيا يوحنا، الذي أثارت قراءته تفسيرات مخيفة بعيدة عن معناه الأساسي. وبدوره، أعاد الإسلام، على غرار سَلَفَيْه الدينين التوحيديين: اليهودية والمسيحية، الحديث عن نهاية العالم، وهو أحد المواضيع الجوهرية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. فاليوم الآخر أو يوم الحساب أو يوم الجزاء والدين في الإسلام هو ركن من أركان الإيمان. فالله كما يشير الدارسون شاء أن يوجد هذه الدنيا لمدة معينة ثم ينهيها في وقت لا يعلمه إلا الله سبحانه، ولكن قبل اقتراب انتهاء الدنيا ستظهر علامات صغرى مثل انشقاق القمر وموت النبي محمد صلى الله عليه وسلم وضياع الأمانة وكثرة القتل وعودة جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً وانحسار نهر الفرات عن جبل من ذهب، وغيرها من مئات العلامات التي ظهر بعضها وبقي بعضها الآخر لم يظهر.

ومن العلامات الكبرى التي تدل على قرب يوم الحساب: خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وغيرها من العلامات التي من أهمها وآخرها أن تطلع الشمس من مغربها وليس من مشرقها المعتاد. اما الهلاك الأكبر فيبدأ عندما ينفخ أحد الملائكة في الصور الذي يشبه قرن الحيوان، فيموت بسبب صوته كل البشر الموجودين في آخر الزمان، ثم بعد فترة من الزمن ينفخ في الصور مرة أخرى، ويحيي الله الناس من قبورهم مرة أخرى. يقوم الناس من قبورهم عراة حفاة، ثم تنزل الملائكة صفّاً صفّاً ثم يأتي الله لفصل القضاء فتنشق السماء وتنطفئ الشمس، وتتناثر النجوم، وتتفجر البحار، وتصير الأرض ممتدة مستوية، فيبرز كل الناس ولا يتخفى منهم أحد. ويُنادى على كل إنسان باسمه، فيحضر بين يدي الله لأجل أن يحاسبه الله وحده من دون ترجمان، ولذا في ذلك اليوم سيضع الله ميزان الأعمال، وتنشر الصحف التي فيها أعمال الإنسان من خير أو شر وكل صغيرة وكبيرة، فمن كان في الدنيا يعمل الحسنات وعاش حياته مؤمناً صالحاً فسوف يستلم صحيفته بيمينه ثم يدخل الجنة، ومن كان في دنياه يعمل السيئات وعاش كافراً فسوف يستلم صحيفته بشماله ثم يدخل النار.

«النجوم تسقط من السماء»

ليس بمفاجئ، في الكتابات الدينية التوحيدية، أن يجري مسار هذا الحدث الدرامي في كلّ من الديانات بحسب حبكة متشابهة بعض الشيء، تتخلّلها مراحل عدّة متتالية. والحال أن نهاية الأزمنة سوف تبدأ بسلسلة من العلامات أو الإشارات التمهيدية، بدت ضئيلة نسبياً في اليهودية، وازدادت في المسيحية، وتكاثرت في الإسلام على وجه الخصوص، ومنها الظواهر الكونية، وغيرها من الهزات الأرضية، التي ذكرها على حدّ سواء المسيح («تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء»، متّى 24، 29) والدين الإسلامي («وستشرق الشمس من مغربها»، حديث شريف).

إن عودة الشعب اليهودي إلى أرض جدوده، والتي تضع حدّاً لتيهه مرّات عدّة، طبقاً لنبوءة حزقيال (25، 37)، تبشّر بالنهايات التي ينتظرها اليهود والمسيحيون. إلا أن هذه العودة والاستقرار في أرض الوطن لن يكونا سهلين، إذ سوف يتبعهما صراع بين قوى الخير وقوى الشرّ (يأجوج ومأجوج)، أي صراع الدول ضدّ إسرائيل. ويأتي سفر الرؤيا على ذكر هذه المعارك المانوية (الخير والشر)، التي يجمع خلالها الملوك جيشاً لتحدّي الله «في مكانة هرمجدون» (16، 16)، في حين تهجم جحافل يأجوج ومأجوج بعنف في المعركة الثانية من معركة الآخرة (8، 20)... ويستمرّون بالدمار حيث يتمثّلون في مجيء البرابرة الذين يدمّرون العالم المتحضّر. وفي إنجيل (مرقس 7، 13)، حذّر يسوع المسيح قائلاً، «فإذا سمعتم بحروب وبأخبار حروب فلا ترتاعوا، لأنها لا بد أن تكون، ولكن ليس المنتهى بعد». فقوى الشرّ لن تستكين. وفي المسيحية والإسلام، ثمة صورة مجازية مماثلة تدلّ إليها، وهي صورة «الوحش» (سفر الرؤيا 19) أو «الدابّة» (القرآن سورة الشورى، الآية29، وسورة النمل الآية 82)، وهذان الوحش والدابة ينشران الكفر.

رجاء الخلاص

تأتي بعض النصوص على ذكر فترة سلام تلي هذا العهد المظلم (سفر الرؤيا 20)، ولكن الانحلال الأخلاقي والارتداد عن الدين سيتضاعفان في النهاية، تحت تأثير «الأنبياء الكذبة» الذين حذّر منهم المسيح، أو «الدجال» المذكور في أحاديث عدّة. فالمسيح الدجّال هو الذي يسود. ومن ثمّ، ستندلع معارك جديدة، أكثر ضراوةً، وتنتهي بحسب القرآن الكريم بفناء كلّ المخلوقات. إلا أن نهاية الفوضى قريبة، فمجيء عدو الله بامتياز هنا يتبعه مجيء شخص آخر انتظرته الكتب المقدّسة الثلاثة، ليأتي معه الرجاء بالخلاص. هذا الشخص عند اليهود هو المسيح المنتظر، وعند المسيحيين هو المسيح بمجيئه الثاني، وعند المسلمين هو المهدي.

الإيمان بالمسيح المخلّص أساسي في عقيدة شعب إسرائيل، ويشكّل مجيئه المرحلة الأخيرة من نهاية الأزمنة. أحياناً، يشار إليه على أنه خادم سقيم «محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن»، (أشعيا 53، 3). ولكن، مع مرور الوقت، سيشار إليه أكثر فأكثر في الخيال الجماعي، على أنه شخص مكلّل بالغار، على صورة «ابن الإنسان» الذي وصفه دانيال عندما قال: «أنعم عليه بسلطان ومجد وملكوت لتتعبد له كل الشعوب والأمم من كل لسان. سلطانه سلطان أبدي لا يفنى، وملكه لا ينقرض.» (7، 14). ولعلّ تفسير سفر دانيال سيقود غالبية اليهود إلى عدم

الاعتراف بيسوع المسيح الذي تحدّثت عنه الكتابات. فالمسيح لا يموت، وإن مات فليس كما يموت المستعبدون، على الصليب.

أما المسيحيون فلهم تحليل آخر لهذا الحدث المؤلم ألا وهو صلب يسوع المسيح. لا شكّ أن الله سمح بأن يموت ابنه معلّقاً على خشبة، شأنه شأن اللصوص، ولكنه أعطاه الحياة مجدداً وبزخم أكبر في اليوم الثالث. إن قيامة يسوع المسيح الفريدة وغير المنتظرة أتت لتثبيت إيمانهم: إنه حقاً المسيح. وبالتالي، إنه المسيح نفسه الذي يجب أن يجيء في نهاية الأزمنة لإكمال المهمّة التي بدأها في مجيئه الأول على الأرض: الكشف عن ملكوت الله. ومجيء المسيح الثاني، كما أعلنه هو، «في سحاب بقوة كثيرة ومجد» (مرقس 13، 26) له اسم في اللغة اليونانية وهو «باروسيا» أي «المجيء» أو «الظهور الإلهي».

يسوع أو عيسى هو شخصية أساسية في الديانة المسيحية، ويضطلع أيضاً بدور هام في المعتقدات الإسلامية ذات الصلة بالآخرة. في الواقع، ورد في أكثر من حديث أنه سيعود في الأزمنة الغابرة ليقضي على المسيح الدجال، ويكون «الحاكم العادل والإمام الصالح» (حديث 186). إلا أن هذه الصورة عن يسوع، لا تمت بصلة إلى صورته في المسيحية، حيث سيعود في مجيء ثانٍ «ليدين الأحياء والأموات» كما ورد في قانون الإيمان المسيحي. بالنسبة إلى الإسلام، يلعب يسوع دور الخليفة الذي يكفل وحدة المؤمنين. وإذا كان القرآن الكريم يطلق عليه لقب المسيح، فقد خسر المعنى القوي المرفق به في اليهودية لمصلحة لقب المهدي.

وعلى أي حال، إن مجيء هذا الشخص المخلّص سواء أكان المسيح المنتظر، أو يسوع المسيح في مجيئه الثاني، أو المهدي، يتبعه حتماً حدث لا مثيل له: قيامة البشرية. فالأرواح المعذّبة الضالّة منذ آلاف السنين في الجحيم المظلم كما يصفه العهد القديم، ستعود إلى الحياة، جسداً وروحاً. وفي هذا الصدد، قال دانيال (12، 2)، «كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون». وأكّد يسوع المسيح أن ابن الإنسان «سيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت عند مجيئه الثاني ليجمع مختاريه من الأربع رياح من أقصاء السموات إلى أقصائها» (متى 24، 31). وجاء في سورة الزمر (الآية 68) «ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ». هذه القيامة العامة ليست بنهاية في حدّ ذاتها، بل هي تعلن عن تأليه الحدث: إنه يوم الدينونة.

اليوم الآخر

إنه يوم أساسي، تبعاته ثقيلة جداً على كلّ سكان الأرض، وهو يعرف بيوم السخط عند اليهود. إنه يوم مرعب، حسبما تذكره نصوص النبوءات، «يوم ضيق وشدّة يوم خراب ودمار يوم ظلام وقتام يوم سحاب وضباب»، (صفنيا 1، 15). وأخيراً، سيتم تحرير الشعب اليهودي. أما يوم الدينونة الذي يذكره بولس في رسالته إلى أهل رومية (2، 5) فهو بالخطورة عينها إذ إنه سوف «تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة». في الإسلام، يمكن أن يمتدّ هذا اليوم إلى ما لا نهاية، إلى خمسين ألف سنة (سورة المعارج، الآية4).

الأبرار والأشرار

سيكون حكم الله قاطعاً، إذ يميّز بين الصالحين والطالحين، ويكون للأولين الخلاص، وللتالين اللعنة. ويحدد الأنبياء اليهود أن الخلاص سيعطى إلى «نائحي صهيون» (أشعيا 61، 3) وإلى الذين يخافون الله (ملاخي 3، 3-2)، أي إلى الذين اتبعوا ناموس موسى. غير أن مسألة المكان المخصص لغير اليهود شهدت الكثير من النقاش بين المفسرين اليهود، ويعتقد العديد من الحكماء أن الحياة الأبدية ستمنح إلى «الأبرار من كلّ الشعوب». ويبدو أن يسوع المسيح لا يرهن الخلاص سوى بالأعمال فقط، وبنوع خاص، بالمحبة التي يثبتها الفرد، أو لا يثبتها، خلال حياته (متى 25، 46-31). وإذا كانت الأعمال تكتسي أهمية لافتة في المفهوم الإسلامي للخلاص، فإنّ إيمان المؤمن يؤدي دوراً مصيرياً يترك المجال للاعتقاد أن وحدهم المسلمين يمكنهم الوصول إلى الحياة الأبدية: فيسوع المسيح، إن أصبح مسلماً، سيلوم المسيحيين على تأليههم له، وسيندد باليهود (سورة المائدة، الآية 116).

وبعد نهاية الأزمنة، سيأتي العالم المقبل عند اليهود، حيث يذهب الأبرار إلى جنة عدن السمائية. وبفضل الوجود الإلهي في هذه الحديقة، حيث تمرّ أربعة أنهر (اللبن والخمر والبلسان والعسل)، تعيش الملائكة ذات الأصوات الساحرة وتنمو الأشجار الذكية العبير. إنه لوصف شاعري يذكّرنا بالجنّة في الدين الإسلامي، حيث لا حدود للسعادة. إن الجنّة التي وعد بها يسوع المسيح لا توصف بالصور لأنها ليست جنّة ملموسة، بل حالة روحية يشعر فيها الأبرار بالسعادة التامة عبر تأملهم بالله (رسالة إلى أهل كورنثوس 13، 12).

أما الأشرار، فمصيرهم وخيم في جهنّم. وتعود تسمية «جهنّم» إلى وادي «جيهنوم» المريع في جنوب القدس، حيث كان الوثنيون في القدم يرمون الأولاد ليكونوا أضحيةً لآلهتهم... وإذا كان المعتقد اليهودي غير موحد في ما يخصّ وجود المكان الجهنّمي (بعض العلماء اليهود أكّدوا عدم وجود جهنّم في العالم المقبل)، فالقرآن حاسم في هذا الموضوع، سينهب الأشرار للاحتراق في نار جهنّم، هي نفسها النار المذكورة في سفر رؤيا يوحنا (20، 14 - 15).

اليوم، أصبح مصير كل الكائنات البشرية مرتبطاً بعضه ببعض إلى الأبد. بالنسبة إلى بعضهم، سيكون النعيم الأبدي. وبالنسبة إلى البعض الآخر، العقاب الدائم. وتحدد سورة هود (الآية 106): «فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ». وفي الخلاصة أن نهاية العالم كما تراها الأديان التوحيدية الثلاثة ليست بالضرورة نهاية كل شيء، بل هي الدخول إلى عصر جديد تماماً، حيث لا قيمة للمكان وللزمان.



ستفانو بيني

نهاية الدنيا

وُلِدَ جدي فلاحاً، وكان يردد أن نهاية الدنيا هي شـيء يخص الأغنيـاء، ويكفي الفقراء الوصول إلى نهاية الأسـبوع. ربما لـم يعد الأمر هكذا: فوسـائل الإعلام، بدءاً بالوسـائل الجادة وانتهاء بالوسـائل هوليودية الطابع، زرعت تلك الفكرة عن نهاية العالم في رؤوس البشر أجمعين.

لنبحث الآن جميع افتراضات نهاية العالم الأكثر انتشاراً ولنقرر ما نفضله منها.

حدو ث كارثة نووية. هذا السـيناريو فَقَدَ مصداقيته بعد نهاية الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ولكن العديد من البلدان تمتلك القنبلة الذرية، وهناك شيء أكثر فتكاً من القنبلة النووية وهو الغباء العسكري. ولكن حتى في حالة هطول القنابل النووية فلن ينتهي العالم كله، لأن الأميركيين، وربمـا ليسـوا وحدهـم، لديهم بالفعـل خطـة. مجموعة من المركبـات الفضائية التي تحمل مـن هم أكثر ثروة وأكثر ذكاء على كوكب الأرض في مدار حول الأرض لمدة ثلاثين عاماً حتى ينتهي سـقوط الإشـعاع ويصبح ممكناً الهبـوط مرة أخرى. صعوبات هذا الهروب بديهية. إن اختيار الأكثر ثراء أمر سهل، ولكن من سـوف يقرر مـن هم الأذكياء؟ المخابـرات المركزية الأميركية، أم برنامج مسابقات تليفزيونية، أم معلمة مدرسة فـي الأباما؟ إضافة إلى هذا، من تراه يقبل بقضاء ثلاثين عاماً في الفضاء يأكل هامبورجر «بايت» ويشاهد برامج تليفزيونية قديمة؟ الموت أفضل من هذا. فيما يتعلق بنا نحن - الإيطاليين- فلن نستطيع أن ننقذ أنفسـنا. ليس لدينا أموال لبناء مركبات فضائية من الكبر بحيث تسـع دوري كرة القدم، وهو الشـيء الوحيد المتوافر توافراً حقيقياً في بلدنا.

الغزو مـن الفضاء هو الافتـراض الأكثر تأثيـراً. تقول إحدى الإحصائيات إن العالم يشـهد كل يوم عشرة آلاف طبق طائر. كما يعلن ألفا شخص كل يوم أنهم تحدثوا مع كائنات فضائية، واثنـان تزوجا منهـا بطقوس فلكيـة مدارية. ولكـن ما الذي يضطـر مخلوقات أكثر ذكاء تكنولوجيـاً منا للتورط في خلق مشكلة لأنفسهم بغزو الأرض؟ ما الذي يمكن أن يجنوه من هذا؟ فإذا أهملنا الفرضيـة الهوليودية لكائنات الفضاء الإنسـانية تبقى فرضية واحدة: البحث عن الخامات الأولية. ولكن مناجم الخامات الأولية تم استغلالها واستنفادها، ولن يفيد في شيء الترحـال من أجـل حمولة صغيرة. ويسـتحق البترول وحده حديثاً، ولكن غزو بلد من أجل البترول ليس شـيئاً جديداً، ولا نحتاج إلى كائن فضائي لعمله.

الخـوف الحقيقي الوحيد هـو أن تحتاج الكائنـات الفضائية لخامـات أولية هامة لهـا وعادية لنا. لنفتـرض أن الكائنات الفضائية لديها سـفن فضـاء تعمل بغاز الأغنام. أسـتراليا هي البلد التـي بها أعلى تركيز من فسـاء الأغنام في الهواء، وبالتالي فقد تتعرض للغزو. ولكن هذا الاحتمال بعيد.

لنفكر إذاً في فرضية سـقوط جرم سماوي ضخم علينا. طبقاً لعالم الفضاء الكبير هوكنج فإن هذه الاحتمالية هي بالتحديد واحد على 6 مليار، ومن ثم نستطيع أن نطمئن حتى ولو كان المثل يقول إن «الحظ أعمى ولكن النحس قوي النظر».

مـن بين فرضيات نهاية العالم الأخرى ما طرحه بعض علماء الحيوان، بأن أنواعاً أخرى مثل الفئران أو الصراصير تقرر أن البشـر يدمرون الأرض وأنهم يريدون الاستيلاء عليها من أجل إنقاذها. الفئران أكثر عدداً من البشر بمائة ضعف. ولكن طالما لم نر فأراً يخرج من جحره وهو يمسك مدفعاً رشاشاً في يده، فإن هذا الخطر ما يزال بعيداً.

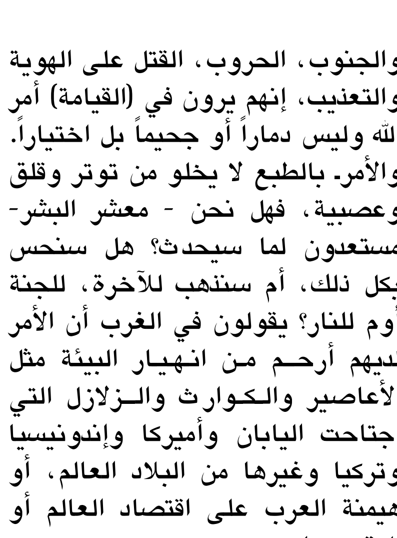
يبقى الاحتمال الأخير، وهو الأكثر مصداقية ومعقولية: نهاية كوكـب الأرض لتغير المناخ. هنا لا يقدم العلماء بيانات مبهمة مثـل رؤية كائنات فضائية أو عدوانيـة الفئران، وإنما أرقاماً دقيقـة ويمكن مراجعـة دقتهـا. إذا ما واصلنـا ذبح الأرض بتلويـث الغـلاف الجوي والمحيطات، سـوف تكـون هناك كارثـة كونية عاجلاً أو آجلاً. تتحـدث بلاد العالم عن هذا في المؤتمـرات الكبرى، ومن يتكلم أكثر عـن هذا هي البلاد التي تسمم الكوكب أكثر. الاتفاق ممكن ولكنه صعب. تستمر روسيا في تلويث أرضها بالنفايات المشعة، والولايات المتحدة تنيب وتثقب الجليد في القطب الشـمالي بحثاً عن البترول والغازات النـادرة، والصيـن توجه إلى السـماء مدافـع آلاف المداخن الصناعية، والسـفن اليابانية تفرغ البحـر من جميع كائناته السمكية.

هذه المـرة المخاوف حقيقية. وتفسّـر لمـاذا تخرج صناعة السـينما على الدوام أفلاماً ينتهي فيهـا العالم، أو يتم إنقاذه في اللحظة الأخيرة بواسـطة ممثل جميل التسـريحة. يعجب الناس أن تشـاهد من فـوق مقعد وثير نهايـة العالم مصورة تصويراً جيداً ومحبوكة حبكاً درامياً محكماً كما لو أنه يتحدث عن كوكب آخر، وليس عن كوكب الأرض.

نهاية العالم برتوش خاص وأبطال منقذين هي نهاية مثيرة، ولكـن النهاية الحقيقة للعالم سـوف تكون مختلفة. لسـبب بسيط: لأنها عندما ستقع لن نخرج من دار السينما.



وكأنها رغبة في الفناء، التلاشي، ظاهرة، كما كانت قبل حلول عام 2000 وغيرها من الظواهر التي يبتكرها المنجمون ويصدقها الناس، وكما يقال إن يوم 21 ديسمبر/كانون الأول 2012 هو تاريخ نهاية 5.125 دورة سنوية.



الفلكي.. أم مريض البارانويا؟

من الذي يقرر؟

د. خليل فاضل - مصر

لماذا يهتم الناس بحدث لم يحدث؟ بل لماذا حتى المثقفون وبعض الصفوة متأكدون بل وعلى يقين أن نهاية العالم ستكون في عام 2012، وليس هذا نوعاً من الميتافور أو السياسة لكن هم يصدقون فعلاً هذا الأمر، إنهم يعتقدون أننا نعيش نقضي الوقت ونتطور إلى ما لا نهاية، إذن فلابد أن تكون هناك نهاية.

التوقعات لا تنحصر في الأذهان والرؤى، لكنها تعدّت حدود ذلك إلى تصور القيامة في فيديوهات وصور تنتشر على مواقع اليوتيوب وغيرها.

في حوار لعدد من الصحافيين الأميركان مع رسامين ومثقفين ومختصين بعلم الفلك وما وراء الطبيعة تحدثوا عما يسمى «الأزمان التي على الحافة» بمعنى عدم اليقين في حضارتنا الإنسانية، لأنهم يروا أن وعينا كبشر مهزوز ومتأرجح، يشوبه الشك وعدم الوضوح.

أهم تلك العلامات هو ذلك التحول السريع في العلوم والتكنولوجيا، مما جعل العالم قرية صغيرة، تربطها ببعضها البعض شبكات وأقمار ورؤى خفيفة كثيرة، ظهرت بنى تحتية كثيرة في التكوين الاجتماعي، نظم جديدة وقيم جديدة أهمها (المرونة) بكل أبعادها: الاجتماعية، والإنسانية، العلمية والعسكرية، والسياسية بالطبع، (الفهم المتبادل)، (الكفاية الذاتية) مما يسمح بعدم تمركز القوة في يد دولة كالولايات المتحدة أو غيرها، ويترك للشعوب والناس في تجمعاتهم الحضارية المختلفة، حرية التصرف في مصيرهم ومستقبلهم.

هناك أمور طبيعية لابد من ملاحظتها على الكون مثل تغيرات المناخ، انقراض بعض الأنواع، سقوط أنظمة مالية كانت تتربع على عرش العالم.

لكن هل للإنسان بكل ما أوتي من علم وقوة وجبروت في مجالات شتى، أن يدرك المستقبل البعيد جداً من خلال حاضرنا الذي نعيشه الآن؟.

هل يبحث الانسان عن حلّ لمشكلات البشرية الكثيرة؟ بعضها ليست له حلول مرتقبة أو محتملة! من الناحية الدينية (الله، الرب، القادر على حلّ كل مشكلات الإنسان) ولهذا فإن الناس يتصورون أن الله سمعهم وسيستجيب إلى دعائهم بحلّ مشكلات الفقر والبطالة، الشمال والجنوب، الحروب، القتل على الهوية والتعذيب، إنهم يرون في (القيامة) أمر الله وليس دماراً أو جحيماً بل اختياراً. والأمر. بالطبع لا يخلو من توتر وقلق وعصبية، فهل نحن - معشر البشر- مستعدون لما سيحدث؟ هل سنحس بكل ذلك، أم سنذهب للآخرة، للجنة أوم للنار؟ يقولون في الغرب أن الأمر لديهم أرحم من انهيار البيئة مثل الأعاصير والكوارث والزلازل التي اجتاحت اليابان وأميركا وإندونيسيا وتركيا وغيرها من البلاد العالم، أو هيمنة العرب على اقتصاد العالم أو الرقص على هرمجدون.

وهرمجدون كلمة جاءت من العبرية (هارت – مجدون) أو جبل مجدو، بحسب المفهوم التوارتي هي المعركة الفاصلة بين الخير والشر أو بين الله والشيطان وتكون على إثرها نهاية العالم، وتقع هضبة «مجيدو» في منطقة فلسطين على بعد 90 كم من شمال القدس و30 كم جنوب شرق مدينة حيفا وكانت مسرحاً لحروب ضارية في الماضي، وهي عقيدة مسيحية ويهودية مشتركة تؤمن بمجيء يوم يحدث فيه صدام بين قوى الخير وقوى الشر، وسوف تقوم تلك المعركة في وادي مجدو، وينخرط فيها مليون جندي لخوض حرب نهائية.

وجدير بالذكر أنه في عام 1984 أجرت مؤسسة يانكلوفينيش استفتاء ظهر منه أن 39 % من الشعب الأميركي، أي حوالي 85 مليون يعتقدون بحديث الإنجيل عن تدمير الأرض بالنار قبل قيام الساعة، بحرب نووية فاصلة.

وعند المسلمين فإن هناك إيمان بمعركة كبرى في آخر الزمان تقع بين المسلمين والكفار دون الإشارة إلى اسم هرمجدون تحديداً وينتهي الأمر بانتصار المسلمين في المعركة.

يأتي هنا الحديث عما يسمى بـ (البارانويا) أو الإحساس بالظلم والاضطهاد وهو شعور مرضي في أعمق معانيه وخفيف يستخدم ثقافياً للحساسية في أخف صورة، بمعنى وجود منظومة ضلالية، (تحديداً


أحمد السوداني - العراق

الموقف والنشاط البارانويي) ، بمعنى عمق متميز في طبيعة البشر تطور الإنسان من ناحية أخرى، وهنا في حد ذاته يتطلب ضرورة اعتمادنا النسبي على معتقدات خاطئة قاهرة تدعم وجودنا مرحلياً وهنا تقريباً ما حدث بشأن مسألة النبوءة 2012. أما طبيعة حياتنا المعاصرة فهي تسمح - بل وتنمي -أن يعيش الإنسان وحيداً، لا بمعنى التكامل، بل بمعنى العزلة الحقيقية، فكلما زادت عزلة الإنسان الجوهرية عن التواصل الإنساني الحقيقي، بمعنى افتقاره إلى الرسائل الحميمية ذات المعنى من إنسان آخر، وبالتالي عجزه عن إرسال مثل هذه الرسائل، أقول كلما تزايدت هذه العزلة احتاج الإنسان أكثر وأكثر إلى أن يدعم كيانه الداخلي.

بمعتقد ثابت منظوم، يتغذى منه غذاء داخلياً خاصاً ويستند عليه ضد أي ارتباك مهدد بالتناثر بسبب اختلال المعايير والقيم (Anomic Suicide) الأنومية، اللامعيارية (anomie)وهي كلمة فرنسية أصلها لاتيني وهي الحالة المقابلة (العكس) للتضامن الاجتماعي، فإذا كان التماسك الاجتماعي يشير إلى نوع من التكامل الأيديولوجي (الفكري) الجماعي، فإن الأنومية هي حالة الفوضى وانعدام الأمن وفقدان المعايير والنفور والبغضاء بين أفراد المجتمع وهو في حد ذاته ينقسم إلى أربعة مجموعات:

(أ) الخلل المزمن والحاد في الاقتصاد: يتهيأ لي أنه لا بد أن العالم يمر بما مررنا به من حالات اقتصادية غريبة، إذن فهناك سبل وهناك احتياجات وهناك مليارات هاربة، وفلوس وجشع وطمع ولصوص وإذا اجتمع كل ذلك توافرت الظروف وتجهزت التربة الصالحة للموت: انتحار أو حسرة كمداً أو أسفاً أو انتهاء العالم والحياة تماماً .. أو هروباً من واقع اقتصادي جحيمي متخبط ليس له مثيل!!

إذن فهناك عدم انتظام وعدم توازن، خلل في الحركة الفوضوية مثل الناس السائرين في الشارع الغربي أو الشرقي، العربي أو الأميركي بصرف النظر، بعضهم يهيم على وجهه، والآخر له وجهة محدودة، وهناك من يركب عجلة، وآخرون يهرولون إلى المجهول، وتسرع السيارات الفارهة، ويمر المشاة، ويلعب الأطفال: حركة عشوائية. لكن الكل تعوَّدَ (تقريباً) على انتظام الخلل.

في الاقتصاد (الأنومي) الحادّ تفشل مؤسسات الدولة: الدينية، الاجتماعية،والسياسية في التنظيم وملء الفراغ فتمتد الفجوة لتلتهم المكسورين غلابة كانوا أو مليونيرات، أما الحال الأنومي الاقتصادي المزمن، وهو ما وصل إليه العالم بدون شك وبلا تردد فهو يعني انخفاض القدرة على التنظيم الاجتماعي لفترة طويلة (وكأنها حالة قلق مستمرة في الشركات الصغيرة والمؤسسات الكبيرة) في كل شيء قلق عام يدعو إلى تصور الفناء الشامل.

إذن فلا بد للتخلص من هذا الإحساس المقيت كما في حالات (الفصامين) يؤدي بالضرورة إلى وضع تصور لنهاية العالم كنهاية لهذا الإحساس والاعتقاد بصورة قدرية سهلة.

من ناحية أخرى فإن فكرة (نهاية العالم) وفكرة (تصديقها) أن نستعد دينياً،إنسانياً أخلاقياً، روحياً.

سيكون هناك ترقب لكل شيء يتعلق بالنهاية، إذن فعلينا أن ننتظر، فهل هي نهاية العالم؟ من يقرر؟ المريض أو المصاب بضلالة أو بارانويا، أم عالم الفلك، أم من لديه استعداد لتصديق كل ذلك بسبب درجة استيعابه، نمط شخصيته، احتمال اضطرابها، أم أنها هيستريا الجموع؟

كتب رأي فيللارد في أخبار الاكتشافات (عشرة أسباب – لماذا لن ينتهي العالم في 2012) ذكر فيه أن هذا الأمر (صناعة، دعاية، إعلام، دراسات، جامعات، محاضرات تغذي الفكرة وتضعها على المحك).

ما يعنينا كأطباء نفسيين وعلماء أن نعالج مرضى موسوسين قهريين لدرجة العذاب حول العبادات والوجود والكون والديانات والطقوس والإشارات بل وبفكرة نهاية العالم – القدر، فيصيب البعض توتر شديد واكتئاب وحسرة.

يبقى الموضوع ليس تنبؤاً ولا مجرد هيستريا جماعية لكنه (موضوع للتسلية) يجعل الكثيرين يترقبون بداية وليس نهاية ربما لعالم جديد يختفي فيه الظلم واستغلال الإنسان للإنسان.

التقى العلم مع الأسطورة لتأكيد النبوءة، واشتعلت مواقع الأنترنت بالجدل بين المؤمنين بأن نهاية العالم الآن وبين المتمسكين بالحياة.

حقيقة أم مزاح ثقيل؟

| مونا ليزا فريحة - بيروت

تتنافس مواقع التنبؤات على الأنترنت على إعلان مسلسل المآسي التي ستحصل هذا العام، عام 2012 الذي دخلناه للتو، ولكن خلف كل التوقعات التي تثير الرعب في النفوس، ثمة ما يبعث أملاً غريباً بنهاية حقبة وبداية أخرى تحمل معها الخير والسلام.

إذا صدقت التوقعات (أو بعضها) المتراكمة على صفحات الشبكة العنكبوتية، فلن تكون هذه السنة كغيرها من السنوات: انقلاب القطبين، وشروق الشمس من الغرب، وتدافع كواكب. ولئن تتفق هذه التنبؤات على تاريخ واحد، فإنها تختلف من ناحية آليات تدمير الأرض، وتتنوع بين اصطدام الكوكب الأزرق، بالكوكب الافتراضي «نيبيرو»، واضطرابات في الطاقة المغناطيسية وصولاً إلى سيناريوات أكثر فظاعة، بما فيها دمار أوسع يشمل كل الكوارث الطبيعية الممكنة.

منذ القرن الثامن عشر، بدأ العلماء يولون اهتماماً بسنة 2012، بعد ترجمة نقوش عن روزنامة شعب المايا الذي بنى حضارة قديمة وعظيمة في أميركا اللاتينية وكان يتبع تقويماً ينتهي في ديسمبر- كانون الأول 2012. ويشير هذا التاريخ إلى نهاية دورة الحياة لدى هذه الحضارة التي تمتد إلى 5126 سنة.

إلا أن الاهتمام الحديث بهذه الظاهرة بدأ في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي مع انتشار شائعة تتحدث عن كوكب غامض في المجموعة الشمسية اكتشفه السومريون قديماً وأطلقوا عليه اسم «نيبيرو». يدور هذا الكوكب حول الشمس دورة كاملة كل 3600 سنة، وتقول الأسطورة إنه سيمر بين الشمس والأرض سنة 2012، وأنه يتسم بقوة مغناطيسية كبيرة ستتسبب زلازل وفيضانات هائلة وتغييرات مفاجئة تقضي على أكثر سكان الكرة الأرضية.

وعزز هذه المعلومات اكتشاف «ناسا» كوكباً غامضاً سَمَّته الكوكب «أكس» وقال كثيرون إنه الكوكب نيبيرو الذي اكتشفه السومريون.

والتقت هذه المعلومات مع تقويم المايا التي كانت من أهم الحضارات الإنسانية التي اشتهرت بحساباتها الفلكية الدقيقة. ولم تنته القصة عند هذا الحد. فقد أعلنت «الناسا» مطلع عام 2009 عن إعصار شمسي قوي سيحصل سنة 2012، وقد يتسبب بأضرار تقدر بمليارات الدولارات.

ومع بدء العد العكسي للموعد المفترض، اشتعلت بورصة التوقعات لاسيما على الأنترنت، وحمي وطيس التنبؤات وانكب مستشرفو أحداث 2012 على نبش آثار أميركا الوسطى وروحانيات العصر الجديد وقصص المخلوقات الفضائية والعلوم، في خليط من الأفكار والتصورات الغامضة الذي ينتهي إلى أن شيئاً كبيراً وخطيراً حقاً سيحصل في 21 ديسمبر- كانون الأول 2012. وخصصت وكالة الفضاء الاميركية «ناسا» صفحة على موقعها على الانترنت للرد على التساؤلات التي أثارتها هذه الزوبعة.

بالتأكيد ليس مثل هذه الظواهر بالجديد تماماً، إذ سبق أن شهد التاريخ عبر العصور موجات من التنبؤات المتعلقة بنهاية العالم، ولكن ثمة أمر استثنائي بلا شك يحصل حالياً مع السمة الفريدة لعصر الأنترنت الذي تجد فيه الأفكار الغريبة والبعيدة من المألوف جمهوراً واسعاً وتتخذ أبعاداً أكبر وأكثر تنوعاً.

ويقول دانيال فويشيك البروفسور في جامعة أوريغون ومؤلف كتاب «نهاية العالم كما نعرفها: إيمان، قضاء وقدر ونهاية العالم في أميركا»: «إن ظاهرة 2012 هي أمر جديد على نطاق واسع.. إنه بمثابة أمر مروع، على نقيض موجات التنبؤات السابقة. ومع أنه يرصد فيها أوجه شبه كثيرة مع المخاوف التي سادت من الألفية الثانية، يرى أنها مميزة، وتذهب أبعد من كونها مجموعة من المعتقدات التنبؤية الجديدة والقديمة. إضافة إلى أنها مسلية... أشعر أن كثيرين ممن يهتمون بالسنة 2012 يفعلون ذلك لأن الأمر مُسَلٍّ وغريب، ويشكل زاوية رؤيوية جديدة وبديلة».

ويستغرب آلان سيرو مؤلف كتاب «نهاية العالم لن تحصل» الذي يشكل تحقيقاً مضاداً للتنبؤات السائدة، هذا الكم الهائل من السيناريوات، ويقول: «في الفوضى التي سادت من قبل، كانت تستحضر كارثة واحدة في

كل مـرة، ولكن هذه المـرة اختلطت كل الأمور ووصلنا إلى فوضى عارمة».

وتشرح لور غراسـياس الصحافية ومؤلفـة كتـاب «الخـوف الكبيـر مـن 2012» أن «ظاهـرة 2012 باتـت جزءاً مـن الانترنت.بواسـطة هذه الوسـيلة خصوصاً تطورت هذه الظاهرة واتخذت هـذا الحجـم». وتقول:«فـي كل مواقع الأنترنـت والكتـب المخصصـة لسـنة 2012، نجـد هذا التأكيد القاطع نفسـه الـذي يفيـد أن الأيديولوجيات والأديان والفلسفات الأكثر تنوعاً تتقاطع لتحديد 2012 موعداً لنهاية العالم».

هذا التقاطع يقابله «بازار» واسع من الأفكار في ما يتعلق بآليات هذه النهاية وتبعاتها. وبالطبـع، ثمة تنبؤات تُجدد أفكاراً قديمة، وتحديداً انطلاقاً من أعمال جوزيه أرغول، مؤلف كتاب عن النهاية المبرمجـة التي تتحدث عنهـا روزنامة المايا.

لا يمكن لمن يبحر في مواقع الشبكة العنكبوتية المخصصة للتنبؤات، إلا أن يجد نفسه معنياً مباشرة بهذه الظاهرة، وسـط مئات آلاف الرسائل التي تظهر، في طريقـة عجيبة، خوف أصحابها من الموت، أو محاولات لدحض تقويم المايا وصولاً إلى إبراز آخرين النظرية القائلة إن المغني جاستن بيبر سيكون المسيح الدجال.

وفـي المقابـل، يحمـل صحافيون وكتّاب وعلماء خبراتهم إلى هذه المواقع لتكذيب الشائعات. وتبرز في هذا المجال مبـادرة بعض خبـراء وكالـة الفضاء الأميركية «ناسـا» الذين أعدوا شـريط فيديـو أوردوه على موقـع «يوتيوب» وشـرحوا فيـه أن لا كوكب يسـتجيب لاسـم (نيبيـرو) مَـرَّ حتـى الآن أمـام تلسكوباتهم.

ولكن ماذا يقول تحديداً مؤيدو نظرية نهاية العالم؟

تتطرق مقالات على مواقع التنبؤات على الأنترنـت إلى الأحـداث المرتقبة. وبالرجـوع إلـى الكتابـات الباطنيـة (الايزوتيريكيـة) الرئيسـية يتوقـع الكتّاب عيد ميلاد مضطرباً سنة 2012، تواكبه كوارث كبيرة سـببها خصوصاً توقـف ملغّز لتطور كوكبنا.ولا تسـهب هـذه النظريـة فـي شـرح الظـروف، مكتفية بالحديث عن عواصف شمسـية وانفجارات بركانية أو أمواج جليدية.

في أحـد المواقـع، ترتسـم إحدى الكوارث على شـكل «طوفان من الطاقة الضوئيـة يتدفـق علـى الأرض بهدف رفع مسـتوى الوعي ودفعنا في اتجاه مرحلة من الروحانية العالمية، أي البعد الخامس».

وفـي موقـع آخـر، يشـرح مقال عنوانه «العالم لن ينتهي سـنة 2012» أن الانتقـال من البعد الثالث إلى البعد الرابـع حصل من دون مشـاكل، وأن لا سبب يدعو إلى الخوف من هذا الانتقال الجديد.

وفي موقع يندرج في نطاق نظريات جوزيـه أرغيل، يبدو ديسـمبر- كانون الاول 2012 بمثابة موعد «الانفتاح على الجحيم». ويقول إنـه يمكن في البداية التفكيـر في زلـزال حقيقـي، ولكن هذا الجحيـم ليس فـي الواقـع إلا جزيئات صغيرة غير مؤذية تتسكع في داخلنا، ومن أجل الانفتاح عليها، ينصح ببساطة «التنشق» ثم «الزفير».

ومـع أن دور الأنترنـت واضـح ورئيسـي في نشـر هـذه الشـائعات المخيفـة حينـاً والمضحكـة أحياناً، لا يمكن تحميل الشبكة العنكبوتية وحدها مسـؤولية هـذه النظريـات الباطنية. فالانتشار الواسـع للمخاوف والأخبار السـيئة ليـس أمـراً جديـداً، إذ كانـت المناشير والخطب والتقاويم والرسائل تتيـح للشـائعات الانتشـار والانتقال قبل اكتشـاف الأنترنت.ومع أن سرعة انتشـار المعلومـات وترجمتها هي من خصوصيـات الأنترنت، فهي تؤدي إلى تغير بسيط في المستوى لا في المبدأ،إذ لا يكفي نشـر معلومات على موقع لكي تنتشـر، وإنما هـي تحتاج أيضـاً إلى أن تتناقلها وسـائل الإعـلام التقليدية كالإذاعـة والتليفزيـون والصحف التي تبقى ناقلات أساسية.



خالد حافظ - مصر

يبدو أن الحديث المتكرر عن نهاية العالم ناتج عن شعور بالعجز أمام تعاظم قدرة الإنسان العلمية في مقابل عجز آخر يقابله في قدرته على السيطرة على أخلاقياته واتزانه، مما يجعل المعادلة تميل إلى جانب «الإنسان السوبر» الذي لا يدخر موضعاً ولا وسيلة ليزداد تمكيناً وثراء على حساب الإنسان الآخر المقهور، الذي يمثل ثلثي سكان المعمورة أو يزيد.

ديموقراطية يوم القيامة

ونهاية عالم الاستبداد

عبد العزيز الخاطر - قطر

عدم الاتزان يجعل من توقع نهاية وزوال العالم أمراً لا يغيب عن بال الطرفين: الأول «السوبر» لزوال الآخر المقابل وبالتالي ضموره وتآكله، والآخر «المقهور» لاعتقاده وإيمانه بعدم استمرار الظلم وسرعة زوال الظالمين. التجليات السياسية لمثل هذه التصورات لنهاية العالم تتجدد باستمرار، وكلما ازدادت وتيرة العلم وجنوحه عانى الإنسان من استبداد المعرفة وتضيقها على مساحة الخيال اللازمة لاحتمال الحياة وحصر «الأمل» في زاوية تتلاشى باستمرار باستحضار الغد قبل أوانه والقيامة ومشاهدها قبل أن تحين، هذا ما يفعله العلم اليوم عندما يجنح به السياسيون أو يستثمرونه تعبيراً عن رغبة الإنسان الأعلى بتعبير



«نيتشه» للوقوف على قمة العالم وهو يتهاوى تحت قدميه. وثمة ملاحظات هنا لابد من الإشارة إليها نحو تحديد الدوافع السياسية للحديث المستمر عن نهاية العالم وتأكيد العديد أن هذا العام 2012 والذي هو على الأبواب سيكون عام النهاية المتوقعة للعالم، وبذلك ستنقطع الألفية من بعد وتتوقف الرزنامة، وسيرحل التاريخ إلى مكان آخر غير هذا العالم وسكانه.

أولاً: سبق للمفكر الاميركي الياباني الأصل أن أشار إلى نهاية التاريخ بانتصار النموذج الديموقراطي الرأسمالي الغربي قبل ما يقارب العقدين، وفي ذلك إشارة سياسية واضحة على تفوق الإنسان الغربي وسيادته على التاريخ وبذلك انتهاء لمسيرة الإنسان ونضاله في هذا العالم، وهو ما أثبت الوقت عدم مصداقيته حينما انزلقت هذه الديموقراطية «القيامية» - كما اعتبرها فوكوياما - إلى العديد من المزالق اللاإنسانية ابتداء بحصار الشعوب وانتهاء بغزوها وقتل وتشريد مئات الألوف. من هنا ندرك الرسالة السياسية الأولى من فكرة نهاية العالم ومغزاها الأساسي، استعباد وإذلال الشعوب تحت مسمى وشعار خلاصة التاريخ ووصول العالم إلى نهايته، ومن ثم تبرير أسلوب إدراك ذلك ووسائل تحققه.

ثانياً: عندما وصل المحافظون الجدد إلى سدة الحكم في البيت الأبيض، وسيطروا بالتالي على الإدارة الاميركية برئاسة الرئيس السابق بوش الابن والذي جرى إيهامه بأنه المختار إلهياً لتحقيق نهاية العالم الإنجيلية سياسياً، وذلك عن طريق الانتصار لإسرائيل وللشعب اليهودي حتى تتحقق عودة المسيح للأرض ليختتم التاريخ وينتهي العالم، لذلك وضع العالم بين خيارين لا ثالث لهما «إما معنا أو ضدنا»، وعن طريق هذا التصور وهذه الأداة السياسية المتمثلة في إدارة بوش، تم غزو العراق والسيطرة على خيراته وكذلك أفغانستان، ووجدت الشركات الأميركية في ذلك مرتعاً خصباً للعمل والاتجار على حساب الشعوب الضعيفة وبمباركة دينية أخروية قيامية يقودها في الأساس طموحان: سياسي، واقتصادي بالدرجة الأولى.

ثالثاً: في عالمنا العربي الاتجاه يأخذ شكلاً آخر يربط بين التخلص من الاستبداد ونهاية العالم أو أوان القيامة، وبذلك يصبح الاستبداد خياراً لازماً لاستمرار الحياة، وزواله يعني نهاية العالم.

استمعت للتو إلى الرئيس اليمني علي عبدالله صالح بعد توقيعه في السعودية وثيقة انتقال السلطة لنائبه، حينما هاجم الثورات العربية قائلاً: «إنها ليست من طبائع شعوبنا»، وفي ذاكرة العربي التقليدي إذا حصل شيء غريب لم يتعود عليه قال بقرب نهاية العالم والقيامة، فمجيء الحرية في عالم أرخى الاستبداد عليه سدوله دهراً طويلاً يجعل من التحول السياسي سبباً في بروز مثل هذه الفكرة في الذهنية العربية، بينما الذهنية الإسلامية الدينية تجعل من انتصار الإسلام وسيادته، وهو انتصار ديني سياسي بالطبع، مؤشراً على نهاية العالم أو بداية النهاية، ولعل هناك العديد من الأحاديث وربما الآيات القرآنية التي تفسر في هذا الاتجاه.

على كل حال، يبدو مشهد الثورات العربية المطالبة بالحرية وبامتلاك زمام السياسة والسلطة مشهداً أخروياً أو مدركاً لنهاية العالم: أصنام بشرية تتساقط، جماهير غفيرة في تجمعات هائلة تنشد العدالة والإنصاف وتطالب بهما، طريقها في ذلك الإمساك بزمام السياسة، فالدافع هنا سياسي اجتماعي في نفس الوقت، فهي تعلن نهاية عالم الظلم والطغيان وقيامة الاستبداد وزوال مؤشراته وأزلامه.

> في عالمنا العربي ترتبط (نهاية العالم) بالتخلص من الاستبداد وبذلك يصبح الاستبداد خياراً لازماً لاستمرار الحياة

ثمة اختلاف في الدوافع السياسية لدى الطرفين في الحديث عن نهاية العالم، فالغرب يتحدث عنها لأنه امتلك المادة وسيطر عليها بحيث أغوته ودفعت بإنسانه نحو التشكك في جدوى بقائه واستمرار حلمه في الأفضل، فلم يعد هناك غدٌ ينتظر وقد تحقق اليوم جُلّ ما كان يحلم به ويتمناه، هذا من جانب، أما من الجانب الآخر فثمة شعور ديني مختلط للصهيونية دور كبير في إذكائه، بأن ربطت نهاية العالم المنشودة في أذهان الغرب أو داخل دوائر التأثير فيه بسيادة إسرائيل وشعبها المختار كمقدمة لتمظهر المسيح ومجيئه ليملأ الدنيا عدلاً، حيث إن الصراع العربي- الإسرائيلي قائم ومستمر، فثمة فرصة دائماً يجري التكرار حول اقتناصها وهي تمكين إسرائيل حتى تتحقق النبوءة الإنجيلية الصهيونية المفتعلة. في حين أن هذه السنة تبدو في عالمنا العربي وكأنها تجليات لنهاية العالم المرتقبة في هذا العام الذي نشهد بدايته هذه الأيام، والذي يطل برأسه من النافذة ليعلن نهاية العالم كما توقع العديد، حيث الثورات لاتزال تشتعل والرؤوس لاتزال تتطاير والشهداء مواكب متصلة ومهرجان الدم قائم على مدار الساعة.

لأول مرة تدفعنا السياسة بعيداً عن الدين في تصورنا لنهاية العالم، كونها الحركة نحو الحرية والكرامة والفعل الميداني، حيث كنا دائماً في انتظار إشاراتها لتظهر وتبدو كما تصورها الشروحات الدينية دونما مبادرة من جانبنا.

اليوم شعوبنا تعلن نهاية العالم الذي عهدناه، نعم أنا أحد الذين يتوقعون نهاية «عالمنا» هذا العام 2012، عالم الاستبداد والطغيان حيث لم نخبر عالماً آخر غيره حتى الآن.

سحابة النهايات

| د. أحمد مصطفى العتيق - القاهرة

في لعبة الاحتمالات حول نهاية العالم، وفي ظل أشكال عدة متصورة لهذه النهاية، ينفتح باب الرهانات على مصراعيه، بين الرؤية الكوارثية للبعض، واليقين المطمئن للآخرين. ليس من السهل أن يحزم المرء أمره، فغالباً ما تتعارض على الأرجح، آراء الخبراء، مما يضاعف من حيرة الرأي الذي يسعى للتحقق من هذه النذر أو أن يتحرر من مخاوفه. فإن يتبدد كوكبنا هباء بفعل اصطدامه بأحد النيازك، أو أن يتفكك ويتحلل بفعل تزايد خطر آثار الضغط أو من انكماش حتمي لطبقة الأوزون، كل هذه الأمور لا تدل في شيء على نظرة عقلية.. فهل يظل الخوف في المطلق، ماثلاً؟

والنظرية البيئية الحديثة هي أحدث تجليات فكرة النهاية والاضمحلال، وتنطلق حركة البيئة من مجموعة أصول، وتظهر في صور التشاؤمية التاريخية والتشاؤمية الثقافية، وتستند في ذلك إلى الانهيار التاريخي الذي حدث لكثير من الحضارات السابقة. وهي بذلك تبقي على مخاوف القرن التاسع عشر من التكنولوجيا والانحلال، بالإضافة إلى عدم الثقة الشديد بالنفس.

ومن جانب آخر، تعتمد على الافتراض بأن التلوث واستنزاف الموارد والتغير المناخي وأشكال التدمير المختلفة التي تحدث للبيئة. كلها مشكلات وعلامات المرحلة النهائية للعالم. في السبعينيات من القرن العشرين، حصلت البيئة على جرعة قوية من التشاؤمية الثقافية مستمدة من مصادر، كانت قد أصبحت مألوفة: «هيربرت ماركيوز»، «مارتن هيدجر»، «ميشيل فوكو». وخاصة عندما تنبأ «فوكو» بأن صورة الإنسان سوف تمحى. إن الغالبية العظمى من البشر يعيشون الآن في ظروف أقل من أن توصف بأنها إنسانية. ننظر إلى كثافة المدن الكبرى والأحياء الفقيرة وقلة المساحات الخالية، والهواء والوقت، والشوارع الكئيبة والأضواء الشاحبة التي تخلط الليل بالنهار. نفكر في المصانع اللاإنسانية وفي اغترابنا عن الطبيعة. الحياة في بيئة كهذه تتقدم إلى الأمام أم تتقدم إلى النهاية؟. الأرض مهددة بالدمار على نطاق العالم كله: الجفاف، والسيول، والأشعة فوق البنفسجية والضباب الممتزج بالدخان، والسرطان، والمجاعة وكلها نتاج لفرسان نهاية العالم الثلاثة: ارتفاع درجة حرارة الأرض، استنفاد الأوزون، الشتاء النووي. ومن الممكن ألا تحدث صدمة مفاجئة، ولكن سوف يستمر التدهور الجاري، الذي ستعتاد عليه الشعوب، وكأنه سُم تدريجي، بسبب الإهمال الاجتماعي والبيئي. وفي هذه الحالة الأخيرة فإن قضية البيئة ستأخذ سيناريوهات أخرى، فالمتخصصون في التنوع الحيوي هم الأكثر حذراً من العواقب المترتبة على ضياع التنوع الحيوي لأن من وجهة نظرهم سوف تحدث كوارث: غزو تقوم به أنواع أخرى، استحالة التحكم في الأمراض، ظهور أمراض جديدة، حتى بالنسبة للنباتات، خسارة في إنتاجية الأنظمة البيئية.

ويرى علماء البيئة أن تدمير الأنظمة البيئية سوف يفتح المجال لكائنات ضارة لن يكبح جماحها الأعداء التقليديون ويمكن آنئذ أن نتوقع أوبئة كبرى. ولا ينبغي أن نفهم بصورة مختلفة الخوف الذي أثارته إنفلونزا الطيور وإنفلونزا الخنازير لدى المتخصصين في الصحة العامة، وأحد هؤلاء مارتن ماكس الأستاذ بمدرسة لندن للصحة والطب المداري، حيث يقول بخصوص التهديد بالعدوى: «لا أستطيع على المدى الطويل استبعاد فرضية أن يظهر كائن عضوي مجهول ويؤدي إلى اختفاء الإنسان المفكر».

وفي فيلم الإثارة «يوم ما بعد غد» الذي أنتجته هوليوود، تجتاح العالم على حين غرة كارثة مناخية. بحجم العصر الجليدي. يهرب ملايين السكان من أميركا الشمالية إلى المكسيك المشمسة، في حين تتربص الذئاب بالقلة الباقية من الناس الرابضين في مدينة نيويورك التي ضربها جو جاف متجمد. كما تدمر الأعاصير القمعية ولاية كاليفورنيا، وتدك حبات البرد العملاقة مدينة طوكيو. والسؤال: هل يمكن أن تحدث قريباً تغيرات مناخية ساحقة مفاجئة؟ أم أن استوديوهات هوليوود بالغت كثيراً في فيلمها؟ يبدو أن الإجابة عن كلا السؤالين هي نعم. فمعظم الخبراء



يتفقون على أن ما من داع للخوف من حدوث عصر جليدي مكتمل في العقود القادمة. إلا أن تغيرات مناخية كبيرة مفاجئة قد حدثت فعلاً عدة مرات في الماضي، ويمكن أن تحدث مرة أخرى، وفي الواقع ربما يكون حدوثها أمراً لا مناص منه. والواقع أنه لم تصدر تنبؤات ذات مصداقية عن تغيرات مفاجئة للمناخ ولا يتوقع ذلك في المستقبل القريب، لأن التغيرات السريعة للمناخ، بطبيعتها يصعب التنبؤ بها أكثر من التنبؤ باحترار الأرض أو بالتغيرات التدريجية الأخرى. لكن الفرضية المطروحة في هذا الصدد مؤداها أن التغير المفاجئ والسريع الذي يهدد الكون يحدث عندما تدفع قوة بطيئة ومستديمة، مثل احترار الأرض، أحد المكونات الحرجة لمنظومة المناخ إلى ما بعد نقطة اللاعودة (نقطة الانقلاب Tripping point) ومن ثم فإن، وفقاً للتشاؤمية البيئية، هذه التغيرات البيئية البطيئة يمكن أن يكون لها فعل تراكمي لإحداث تغيرات سريعة ومفاجئة تهدد هذا الكون وتنذر بنهاية العالم ولكن متى؟ وأين؟ وكيف؟..

إن انتشار هذه الرؤية لنهاية العالم اتسع على نحو واضح حاملاً في طياته آليات النهاية البطيئة: خطر المواد المسببة للسرطان التي تنتجها الصناعة، النفايات النرية السامة، نقص الأوزون، ارتفاع درجة حرارة الأرض.. ذلك كله ليس مجرد أخطار حقيقية على الصحة والسلامة، ولكنها نتائج أنماط وافتراضات ثقافية سابقة، يجب أن يعاد التفكير بشأنها أو تلافيها مثل الأسلحة النووية التي تمثل تفسخاً ثقافياً يضعنا على حافة تدمير الذات وينذر بنهاية عالم كان الأفضل أن يبقى.

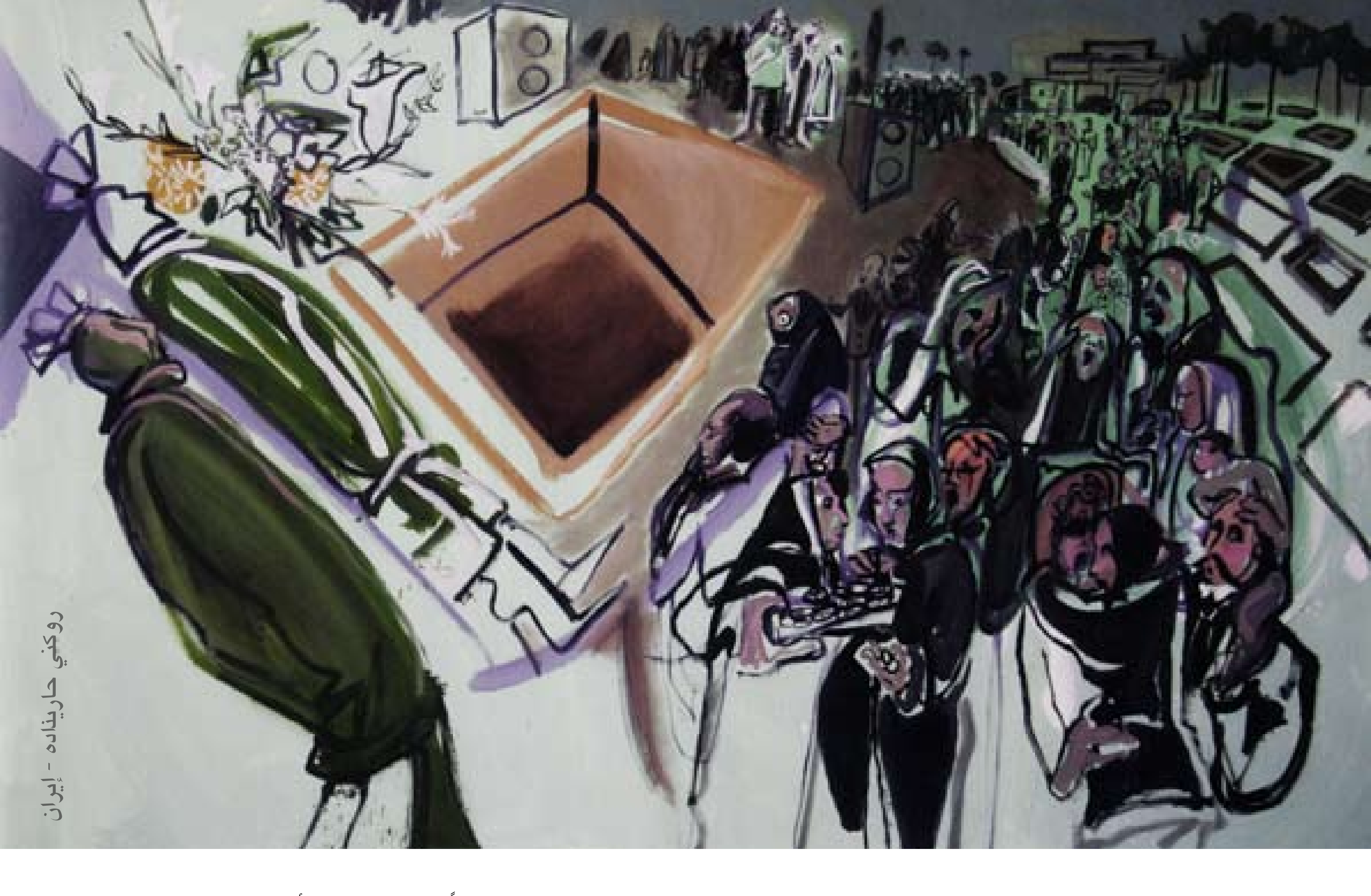
ولكن ماذا بعد....؟

إن علاقات البشر بالبيئة الطبيعية وبالتغير المناخي تحديداً (بوصفه العنصر الرئيسي) على المدى القصير هي علاقات تظل تتقلب دائماً، لكن إهمال أمر المناخ يعني إهمالاً لإحدى الخلفيات الدينامية المؤثرة للخبرة البشرية وتوفر لنا الآلاف الخمسة عشر من الأعوام الماضية أمثلة كثيرة لتغيرات المناخ التي لعبت دوراً تاريخياً رئيسياً: «الجفافات الكبرى» في جنوب شرق آسيا التي نتج عنها التعجيل بتجارب زراعة الأعشاب البرية والجفاف المتوسع لـ «الصحراء الكبرى»، الذي جلب رعاة الماشية إلى وادي النيل ومعهم أفكارهم المبدعة. ثم تأثيرات الموجات المتوسعة لفترة «دفء العصور الوسطى» التي كانت لها تأثيرات مختلفة جداً في أوروبا والأميركتين.. هذه نماذج وأمثلة قليلة لتغيرات مناخية بقيت زمناً طويلاً وبقيت معها ميكانيزمات تكيفية تعمل بكفاءة عالية سواء عند البشر أو عند الأنظمة البيئية.

وفي النهاية، فإن كل جدل حول «نهاية العالم» ينبغي أن يغذي إدراك البشر بأنه سوف يكون عاراً على الإنسان أن تكون نهايته المحتومة على يديه سواء انقرض بهدوء أو بفعل مفاجئ نتيجة تدميره المحموم لبيئته، نهبه لكوكبه بل وكل إسهاماته البطيئة التي تفوق قدرته وقدرة الأنظمة البيئية على التكيف.

إن الله - سبحانه وتعالى- منح الإنسان والنظم البيئية آلية دقيقة للتكيف.. وماذا بعد لو زاد الاعتداء على هذه الآلية فتعطلت ميكانيزمات التكيف.

قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» (34) (سورة لقمان).



وزة نهاية العالم!

| محمد المخزنجي- مصر

تفاقم الذعر العام في مصر من أنفلونزا الطيور في شهر فبراير/شباط منذ خمس سنوات. ومع أن الندوة التي كنت أحضرها في إحدى قاعات فندق الواحة بطريق القاهرة الاسكندرية الصحراوي كانت عن «العلاج بالتصور الإبداعي» وكانت مرتبة سلفاً وقبل أن تبرز على السطح هذه الحمى العالمية الوافدة، إلا أن الندوة تحولت إلى سجال عن الوباء المُنتظر بعد أن وجهت سيدة جميلة إلى الحضور سؤالاً عما إذا كان «التصور الإبداعي» يمكن أن يساهم في الوقاية من العدوى بهذه الحمى أم لا.

كانت الإجابة اجتهادية وغير قاطعة، وانفرط عقد الندوة فتحولت إلى تفريغ لحالة الهلع الجماعي بتبادل الطمأنات والمخاوف، وتسللتُ مع صديق لي منصرفين من القاعة ومُغادرين الفندق، وما إن خرجنا إلى الطريق الذي كان خالياً في نحو الثانية ظهراً، حتى توقفنا كأنما بالتخاطر، مقررين أن نستمتع ببعض التمشي في دفء شمس شتوية عطوف، بدت صغيرة جداً في السماء الغائمة، ولطيفة الشعاع على الأرض.

بعد أن تمشينا كفاية في اتجاه ميدان الرماية بدأنا في استيقاف تاكسي، وبعد عشر محاولات فاشلة اكتشفنا أننا ينبغي أن نغير قواعد الانتقاء، فقد كنا لا نستوقف غير السيارات التي تبدو جيدة، وكان سائقوها ما إن نتفوه بوجهتينا «ميدان المساحة وبعده الزمالك» حتى يشوح واحدهم بيده ساخطاً ويطير بسيارته مبتعداً. فانتبهنا إلى أن هذه ساعة ذروة مرورية وأن الحيّين اللذين نطلب التوجه إليهما يُعتبَران من أحكم مصايد الزحام في هذه الساعة التي تتوافق مع خروج عشرات المدارس المتكاثرة فيهما، وأدركنا أنه لن يلتقطنا إلا سائق بائس في تاكسي يشبهه في البؤس.

وجدنا نفسينا أخيراً داخل هيكل رميم لسيارة لم يكن فيها من كيان السيارات غير هدير أجش لموتور متحشرج، أما السائق فكان بتعبير يكاد يكون حرفياً «مومياء حية» في أسمال بالية، وقد تمليته عن قرب وأنا أجلس إلى جواره على المقعد الأمامي بينما جلس صديقي على المقعد الخلفي. ولم تكن هذه مقاعد سيارة بأي معنى، فقد كانت كراسي خشبية واطئة من ذلك النوع المتواضع المنتشر في غُرز ومقاهي القرى والعشوائيات، وكانت مغطاة بقطع من أكلمة قطنية بالية متسخة.

كان الرجل شديد النحافة رث الثياب بدرجة مؤلمة، غامق البشرة بدُكنة ترابية معتمة مشوبة بالخضرة، مما يشي بأنه كان معطوب الكبد تماماً وكذلك الكليتين، وكانت عيناه الغائرتان كما عيني ميت

توحيـان بأنه أقرب مـا يكون من الموت في أي لحظة، وقد ملأني هنا بالقلق بينما كانت «السـيارة» المضعضعـة المخلعة تقعقـع وتتقافـز وتنحـرف بحـدة في الطريق الذي كان مُهمَلاً سـيء الرصف. وحتى أتغلب على قلقي استدرت لمحادثة صديقي في الخلف.

استدرجَنا الحديث إلى «سيناريوهات الكارثـة» فـي ضوء ما كان منتشراً من إشـاعات عن تحور الفيـروس واحتمال تحول الوباء إلى جائحة، حيث ستتراكم الجثـث في الشـوارع لأنها سـتكون من الكثرة بحيـث يتعذر تدبير مـن يدفنها، لأن جمـوع النـاس سـتفر بعيـداً عـن المـدن، وعندما يشـمل الفـرار العاملين فـي المستشـفيات والخدمـة المدنيـة والشـرطة لن تكون هناك فرصة لإنقاذ أي مصـاب بالوباء، وسـتنقطع المياه والكهرباء ولن تجد الحرائق من يطفئها، ومع انحسـار الوباء الذي يفقد فيروسه ضراوتـه مع ارتفاع درجـة الحرارة في الربيـع، سـتخضر الأشـجار فـي مدن خاليـة من البشـر، لاتحلق في سـمائها سوى الغربان، ولا تجوب شوارعها غير الكلاب الضالة والجرذان التي ستتوحش متضخمـة بوفـرة الغذاء المتـاح لها من جثث البشر والطيور!

كنا قـد وصلنـا فـي تلك التسـرية السـوداء إلى مرحلة احتمال أن تنتشـر الجائحة عبر القـارات وتعصف بالعالم كلـه، فتنقـرض البشـرية ويُقفِر كوكب الأرض، ولـم ننتبه إلا والسـيارة تهدئ مـن سـرعتها وتحيد محاذيـة الرصيف ثـم تتوقف، وبملامح ميت يسـتيقظ من موته التفت السـائق نحونا سـائلاً فيما يشبه الرجاء «اللي بتقولوه دا صحيح يا أساتذة.. يعني الدنيا خلاص؟». وسمعت صوتـي يجيبه نابسـاً بوجـل: «ممكن، احتمال». وإذا بالرجل يستقيم في جلسته ويرفـع يديه ووجهه متضرعـاً «ياريت. يارب. ياريت».

عادت السيارة إلى الحركة فيما التزمتُ أنا وصديقي الصمـت، بينما كان الرجل يتمتـم في خفـوت كأنما يُسـرّ بتمتمته لنفسه: «خلينا نرتاح بقى. خلينا نرتاح» رددها أكثـر من مرة ثم انضم بسـكوته لسكوتنا. لكن ما إن دخلنا ميدان الرماية حتى ندت عنّي وعن صديقي صيحة عدم تصديق مشتركة «مش معقول»!

رأينا الميـدان يضطرب بحشـود من البشـر لابسـي كمامات مختلفة، بعضها مجرد مزق من قمـاش الملابس القديمة، يحملـون دواجـن ميتـة أومُحتضـرة يتجهون بها مسـرعين إلى فضاء ملاعب الجولف التابعة لفندق أوبروي في سفح الهرم الأكبر. وكان الميدان يموج بأسراب من الدجـاج والبـط والأوز الطليقة كلها والمتخبطة في حركتها. وفهمنا أن الناس الهلعيـن قد أتوا بدواجنهـم من المناطق العشـوائية والريفية القريبة ليتخلصوا منها في المكان الفاخر الذي لم يكن يعني لهم فـي هذه الفوضى غيـر أرض فضاء متسعة.

تحـول محيـط الفنـدق التاريخـي وسـفح الهـرم الأكبر إلى مكـب للطيور المنـذرة بالوبـاء، وكانـت الدواجن التي لم تفقد عافيتها تتسـرب خارجة من هذا المكـب وتفيـض على الميـدان في هياج وتلاطُم. وعندما مر سرب من أوز شارد أمام سـيارتنا فوجئنا بهـا تتوقف، وإذا بالسـائق الموميـاء قد دبت فيـه عافية بارقـة فهبط مـن السـيارة وراح يطارد الأوز الذي يفر أمامه صائحاً مرفرفاً، ثم ارتمى الرجل على أقرب وزة، ونهض بها أسيرة في حضنه!

تابعناه بانشـداه وهو يسـتدير بهمة ويودع الوزة في شـنطة السـيارة، ثم ركب وحرك بأصابعه العظمية المسودة عصـا (الفيتيـس) لننطلـق، فيمـا راح يتحـدث ضاحكاً دون أن يلتفت كأنه عاد يكلم نفسه: «بقالي أربعين سنة ما دقتش الوز. وولادي ما يعرفهوش من أساسه. نعملها مشـوية في الفرن والنار بتموّت أجدعها مرض. نتبسـط شوية في عمرنا وآهو احنا ميتين ميتين»، وكان انشراحه لا يتناسـب مع ضحكته الميكانيكة التي كسّـرت الجلد المعتم اليابـس حول فمه وتحت عينيه. ضحكة ميت حي!

ضحكة مرعبة لم أنسها أبداً، وهاهي تعـود إلـى ذاكرتـي بكامـل رعبها مع تكـرار الحديـث عـن نهاية العالـم يوم 2012/12/21، فأعيـد التقليـب في هذا الشأن ماراً على كثير من المصادر العلمية التي تنفي إمكانية حدو ث ذلك، وأبرزها إجابـات كبير علماء وكالة ناسـا «دافيد موريسون» على أبرز الأسئلة المثارة بهذا الخصوص، حيث نفى تماماً صحة كل ما راج أنه سيكون سـبباً في انتهاء الحياة على الأرض فـي هذا اليـوم، فلا وجود لكوكب سـاحق الجاذبية اسمه «نيبيرو» سـيقتحم مجـال الأرض، ولا اصطفافاً مدمراً لكواكب المجموعة الشمسـية على خط واحد في مركز مجرّتنا، ولا اصطداماً بنيـزك عمـلاق، ولا انفجـاراً شمسـياً هائلاً سيخترق بشـواظه غلافنا الجوي ويلعقنا. فالمسـألة كلها ليست إلا إشاعة مبنية على شـطحة لكاتب خيال علمي، وتأويل متعسـف يربط بين نهاية تقويم شـعوب المايا فـي هذا اليـوم وهاجس نهاية العالم.

الذي أميل إليه في كل ذلك ليس النفي ولا الاثبـات، بـل الارتياح فيمـا يوافق العقل والعلـم ويتسـق مع الـروح في مسـألة «إنما علمها عند الله» و«لا تأتيكم إلا بغتة». لكن الذي يدهشـني أن هاجس نهايـة العالم ارتبط دائمـاً بضربة تأتي للأرض من الفضـاء، بينما النهاية يمكن أن تكون تحت أقدامنا، فلسنا نحيا حرفياً إلا على ألواح «تكتونية» رقيقة تعوم على بحر مـن صهارة ملتهبة تلتف حول نواة قاسـية جحيمية الحرارة في مركز كوكب هـش نعبث بـه ونتجبر عليـه، ويتكبر بعضنـا على بعض إلـى درجة التجويع والترويع واستباحة الحياة والدم.

التنبـؤ بنهايـة العالم لا يمكـن أبداً أن يكـون فـي مقـدور البشـر الذين لا يسـتطيعون بأقصـى معارفهـم وأعتى حواسـيبهم العملاقة التيقن من تنبؤات المناخ، لمجرد أن ترف فراشـة بجناحها رفـة فـي جنـوب إفريقيـا فتتوالد من تضاعفها عاصفة في الصين أو البرتغال أو القطب الشـمالي أو حيث لا يعلم أحد. أمـا نهايـة الإنسـانية في هـذا العالم، فليسـت في حاجة إلى تنبـؤ، وارجعوا إلى تلك الوزة!

في «نهاية العالم الآن» أحد أهم أفلام المخرج الكبير فرانسيس فورد كوبولا، يتصادم البشر بصورة مروعة تغذيها أطماع السيطرة ونزعة الاستحواذ الشرهة لدى البعض والتي تُضيّع الإنسان وقيمه في أتون معارك دموية رهيبة يصبح خلالها الإنســان مجرد شيء وأداة لقوى شريرة أعماها هوس التسلط والهيمنة.

نهاية العالم

أرصدة في جيوب المحتالين

| **أحمد السيد النجار**- مصر

في الفيلم تتصدر مشاهد الدمار والموت ومن ورائها تتغذى غيلان التربُّح من النار والدم والمعارك، أي الصناعات العسكرية وشياطين الحروب في الولايات المتحدة الأميركية بالذات. ووراء خرافات «نهاية العالم الآن» التي تم إطلاقها عام 2011، تختلط مخاوف الإنسان الضئيل للغاية في كون عملاق لا تعدو كرتنا الأرضية أن تكون مجرد ذرة غير مرئية فيه، مع الولع الغريزي تقريباً لاستطلاع المستقبل الذي ولد المشعوذين والمنجمين إلى جانب علوم الفلك، مع تقديرات علمية قد تصيب وقد تخطئ، وعقول نهمة للتربُّح من مآسي البشر ومخاوفهم.

وقد ارتكزت صرخات نهاية العالم في عام 2011 على تقديرات تشير إلى أن أحد المذنبات العملاقة الذي يبلغ حجمه أضعاف حجم الأرض سوف يدخل على المسار بين الأرض والشمس بحيث يصبح الثلاثة على خط مستقيم فيحجب الشمس كلية لمدة ثلاثة أيام ويتسبب في زلزال هائل قوته من 14 - 16درجة على مقياس ريختر ليدمِّر الأرض وينهي الحياة على الكوكب المأهول، أي أمنا الأرض. ومن باب «الدقة» حددت تلك الخرافة غير العلمية يوم 2011/9/26، موعداً للحدث الرهيب. ومضى الموعد والكرة الأرضية صامدة بيابستها وبحارها وحياة البشر والحيوان والزرع تمضي في مسارها المعتاد الذي لا يخلو من كسوف قصير أو زلزال هنا أو هناك مع موجات مدّ بحري عالية ومدمرة أو متوسطة أو حتى منخفضة.

وبعد مضي الموعد تم ابتكار مواعيد أخرى لدمار العالم وفناء الجنس البشري في شهر ديسمبر من عام 2011، أو في عام 2012، استناداً إلى خرافات مصدرها حضارة «المايا» القديمة في المكسيك، رغم تأكيد علماء الآثار والأجناس القديمة على عدم صحة أو ارتباط تلك التوقعات السوداوية بحضارة المايا القديمة، حتى بالرغم من كل ما هو معروف عن تلك الحضارة من خوف رهيب من قوى الطبيعة وآلهتها القديمة والذي جعل منها واحدة من الحضارات التي ظلت تقدم أضحيات بشرية لاسترضاء الآلهة بصورة دموية ومرعبة إلى أبعد الحدود.

وبدا الأمر عبثياً، وكأن بعض البشر يبحثون في سراديب أرواحهم البائسة والوحيدة والمفعمة بالمعاناة عن كوارث تنهي العالم والوجود الإنساني. وطالما كان ذلك بعيداً عن العلم الحقيقي، فإنه يبدو أقرب إلى حالة صرعية يحركها هاجس الخلود الضائع أكثر من أي شيء آخر!

وإذا كان الجنس البشري في كل الحضارات تقريباً وبالذات في الحضارات التي نهضت على أراضي بلداننا العربية، قد تملكه هاجس الخلود على الصعيد الفردي أو على صعيد الجنس البشري في مجموعه كأعلى رتبة بين كل الكائنات المعروفة لنا، فإن ملحمة جلجامش العراقية (السومرية)، التي تحكي قصة بحث ذلك الإنسان عن الخلود على غرار جده (أوتونبشتم) الذي نجا من الطوفان بفلكه الذي بناه وسط استهجان قومه، والذي أنقذ على متنه الجنس البشري ومختلف الأنواع من الفناء، تنتهي بحكمة بالغة العمق ألقتها آلهة العراق القديم في وجه جلجامش: الإنسان فانٍ لا محالة، وخلود «أوتو نبشتم» هو استثناء لن يتكرر، وعلى الإنسان أن يجد لنفسه مسرة في الرفقة الطيبة والمسكن الجميل والملبس النظيف والمأكل الشهي، لكنه أبداً لن يكون خالداً، فالخلود قدر الآلهة وحدها.

وفي نفس السياق آمن المصريون القدماء بالخلود ليس من خلال حياة مستمرة ودائمة لأنها لم تتحقق وما كانوا يستطيعون إثبات وجود أو إمكانية تحقيق خلود من هذا النوع، بل كان الخلود الذي سعوا إليه ونظروا له دينياً هو من خلال البعث بعد الموت لمن عمل عملاً صالحاً في حياته، وأبدعوا نظريات للخلق والموت والبعث، وجعلوا من «عوزير» الذي يُكتب عادة «أوزوريس» وهو إله الزرع والنماء، إله عالم الموت الذي يحاسب الموتى ويفتح باب الخلود الأبدي للصالحين منهم، بينما تفنى أرواح الأشرار وتلقى في الجحيم. وبقدر ما كان ذلك تجسيداً للرغبة الهائلة في تحقيق الخلود، فإنه كان بصورة أو بأخرى تعزيزاً لكل القيم الإيجابية المتعلقة باحترام الحقوق والأرواح وعدم ارتكاب جرائم القتل أو السرقة أو الغدر



أو النميمة والوشاية أو الزنا أو تلويث مياه النيل وسد قنواته ومنع جريانها إلى أرض مصر وزرعها...

باختصار حَوَّل المصريون القدماء هاجس الخلود لديهم إلى جائزة كبرى لا يحصل عليها بالبعث بعد الموت، إلا من أنجز عملاً طيباً في الأرض لدفع البشر المهووسين في كل زمان ومكان بالخلود إلى السلوك الحميد ومكارم الأخلاق.

وبعيداً عن الأساطير وعن ملابسات إطلاق صرخات نهاية العالم في عام 2011، هناك ما يمكن تسميتهم بصيادي اللحظات، الذين يعرفون كيف يقتنصون لحظات الخوف والهلع ليصنعوا من ورائها ثروات كبيرة بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

ويعتبر انتعاش كل أعمال السحر والشعوذة وقراءة الطالع، أمراً بديهياً في مثل هذه الحالات من التوجس بشأن نهاية العالم. والغريب أن الجمهور الذي يسعى لقراءة الطالع لدى المنجمين والمشعوذين، لم يعد هو الجمهور التقليدي القديم من الجهلة، بل هو من الساسة والفنانين والرياضيين، وبعضهم على درجة عالية من العلم والثقافة، بما يعني أن سيطرة الخوف من المستقبل، تلغي أو تعطل إعمال العقل كأساس للسلوك الرشيد، وتترك أصحابها نهباً للدجالين والمشعوذين من مستغلي ضعاف القلوب والنفوس.

ومن المنطقي أيضاً أن تتزايد الأمراض النفسية المرتبطة بالخوف الهيستيري من المستقبل بما ينعش صناعات الأدوية ومؤسسات العلاج النفسي المرتبطة بهذه الحالات، كما أن الأعمال الفنية التي تعالج مثل هذه الأساطير والخزعبلات وتعطيها غطاء «علمياً»، تحظى أيضاً بجمهور كبير من المتعطشين للاستغراق في حالة يخافونها ويستبقون أحداثها من خلال العالم الافتراضي في السينما، بما يكفل لتلك الأعمال تحقيق النجاح المالي من جهة، ورضاء السلطة السياسية من جهة أخرى، طالما أن تلك الأعمال بعيدة عن معالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الحياتية، التي تعتبرها السلطة تحريضاً ضدها.

وقد يبدو الأمر غريباً أن تؤثر مثل تلك الأوهام على الأنشطة الاقتصادية، لكن ذلك ما يحدث بالفعل، بالذات في أسواق العملات والأسهم والمعادن النفيسة. ففي أسواق الأسهم تبدو الشركات التي يتم تداول أسهمها عرضة لكارثة الدمار التي يتم «التبشير» بها، ولأن كل فرد يكون لديه أمل أن يكون من الناجين من الكارثة، فالأفضل له في هذه الحالة أن يسحب أمواله من البورصات بما يؤدي إلى اضطرابات وتراجعات في أسعار الأسهم المدرجة فيها، ويضعها في وعاء آمن مثل المعادن النفيسة كالذهب والفضة والبلاتين والمجوهرات المصنوعة منها أو من غيرها من الأحجار الكريمة، أو في الأراضي بما يؤدي لتصاعد المضاربة عليها وارتفاع أسعارها بصورة مبالغ فيها وبعيدة عن تكلفتها أو قيمتها الاستعمالية الحقيقية. وربما تكون الأفكار الخاصة بنهاية العالم في عام 2011، قد ساهمت ولو بجزء ضئيل في ارتفاع أسعار المعادن النفيسة إلى مستويات قياسية لم تبلغها من قبل ليقترب الذهب من حاجز الـ 2000 دولار للأوقية. كذلك فإن مخاوف الفرد من أن تحل بالعالم كارثة دمار وأمله في أن ينجو، يمكن أن تدفعه إلى الاحتفاظ بأمواله في صورة سيولة مالية بالعملة التي يثق في قوة الدولة التي تنتمي إليها ومنعتها من الكارثة. وهذا الأمر يُخرج قسماً من الأموال من أوعية الادخار والاستثمار ومن عملية التنمية كلياً، لتتحول تلك الأموال إلى مخزون راكد في صورة معادن نفيسة وأموال مكتنزة. كما أنه من المنطقي في مثل هذه الحالات أن يرتفع الإقبال على الاستثمار في شراء سندات وأذون الخزانة للدول القوية التي يتوقع المهووسون أنها ستصمد للكارثة. لكن تلك التأثيرات تكون محددة بحجم من تسيطر عليهم أوهام كارثة نهاية العالم. أما العقلاء فإنهم يعملون لدنياهم كأنهم يعيشون أبداً، ويعملون صالحاً كأنهم يموتون غداً، أو يتعلمون ويعملون بدأب لبناء حياتهم ومستقبلهم، ويجدون لأنفسهم مسرة وبهجة ويستمتعون بحياتهم دون إيذاء لأحد أو جور على حقوق عامة أو خاصة، وليأتِ الموت وقتما شاء، فإنه حقيقة مؤكدة وقدر للإنسان لا راد له!

التبشير بجهنم

| **سمير الحجاوي** - قطر


روكني حاريناده - إيران

«ما لم يستطع الرب أن يفعله نعمله نحن».. هذه العبارة نطق بها الرئيس الأميركي الأسبق رونالد ريغان، في إشارة لمعركة هرمجدون الفاصلة بين الخير والشر، وهي المعركة التي تعني نهاية التاريخ حسب الرؤية الألفية للعهدين القديم والجديد.

ما كان لمثل هذه العبارة أن تحتل مكانة بارزة في التاريخ الإنساني لولا أن من نطق بها كان رئيس أقوى دولة في العالم ولديه ما يكفي من الأسلحة النووية لتدمير الكرة الأرضية عدة مرات، وهي عبارة لا تنم عن إلحاد، بل تعبر عن إيمان بما جاء في «الكتاب المقدس» من نصوص حول نهاية العالم، لكن المشكلة الوحيدة التي كان يعاني منها ريغان هي أن القدر بطيء، فهو أراد أن ينهي العالم سريعاً، ورغب في أن يكون واحداً من فرسان معركة هرمجدون الفاصلة التي يقتل فيها كل الكفار، وهو ما عَبَّر عنه عندما كان مرشحاً للرئاسة عام 1980 بقوله: «إن نهاية العالم قد تكون في متناول أيدينا.. وإن هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذي سيشهد هرمجدون»، كما كتبت غريس هالسل في كتابها «النبوءة والسياسة.. الإنجيليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية»، فقد كان يريد لهذه الحرب الفاصلة أن تتحقق على يديه أو كما قال ريغان: «يوم هرمجدون لم يعد بعيداً.. كل شيء أصبح في مكانه لا يمكن أن يطول الأمر الآن» واستشهد بنص الكتاب المقدس في حزقيال «إن النار والكبريت ستمطر على أعداء شعب الله ولا بد أن هذا يعني أن الأسلحة النووية ستدمرهم..» فقد كان تواقاً لصب النار والكبريت والقنابل النووية على أعداء شعب الله.

في الولايات المتحدة يؤثر الدين على القرار السياسي كما لا يحدث في أي بلد في العالم، رغم علمانية نظام الحكم، فالأميركيون هم من أكثر الشعوب تديناً، وهناك ما يطلق عليه في الولايات المتحدة «الأحزمة الإنجيلية»، وهي الولايات الجنوبية، المسكونة بالإيمان الكتابي والتي تعتبر «خزاناً عقائدياً وأيديولوجياً وسياسياً» لليمين الديني، بل إن بعض الأرقام تشير إلى أن 80 مليون أميركي من أصل 300 مليون يعتبرون من المتدينين، وهؤلاء يشكلون أكثر من ربع الشعب الأميركي، وهم الحلقة الحالية لأسلافهم الذين «فروا من الاضطهاد الديني في إنكلترا ليستقروا في برية أميركا ويعتقدون أنهم يقومون بالدور الأخير في التاريخ البشري» كما يقول مايكل نورثكوث في كتابه «الملاك يوجه العاصفة». ويعتبرون أن أميركا هي «كنعان الجديدة، وعلى هذه الأرض الأميركية ستقوم الألفية التي يسود فيها السلام»، وأنهم شعب الله المختار لإنشاء «إسرائيل الجديدة» في أميركا، و«لقد تغلغل معنى الشعب الإلهي المختار في الخيال الأميركي واتخذ مسميات مختلفة مثل «أسلوب الحياة الأميركي، والحلم الأميركي، والقدر المبين، والاستثنائية الأميركية» كما يقول نورثكوث. وهو الشعب الذي يعيش في «البلدة فوق التل»، والتي تعني إنهم أصحاب الحضارة والخير



وفي خطابه بمناسبة توليه منصب الرئاسة عام 2001 أعرب عن اعتقاده «أن الله يدعوه ويدعو أميركا لقيادة العالم في معركة حددها الله سلفاً».. وهي معركة رؤيوية أشار إليها سفر الرؤيا في الكتاب المقدس بين قوى الخير وقوى الشر لتشكيل العالم وفق القيم الأميركية وهي قيم الحرية والديموقراطية والسوق الحر، ولم يتردد بوش بالإعلان عن أنه «سيواجه العقائد الفاسدة بتصميم وقوة وسنتحدث إلى كل الأمم في سبيل القيم التي أدت إلى ميلاد أمتنا»، كما يقول كتاب سفر الرؤيا الأميركي، الذي يستطرد «هذه السياسات ليست بالضبط نتاج أيديولوجيا حديثة ففيها روح ألفية عميقة، تمتد جذورها إلى نشوء اعتقاد الأميركيين في أنهم امة مخلصة قضى الله وقَدَّر أن تقود العالم إلى نهاية التاريخ.. فبوش اعتقد بحماس شديد أن أميركا هي أصدق أنموذج على ظهر الأرض للقيم المقدسة، الحرية والديموقراطية.. وعلى هذا يبدو من المعقول جداً أن ينهب إلى الحرب لفرض قيمَتَي الحرية والديموقراطية، وبتعبير آخر تحول الحلم الأميركي إلى حرب عالمية مع أولئك الذين يقال إنهم يعارضون المصالح الأميركية والقيم الأميركية، وكانت تلك الاتجاهات التي تنم بوضوح عن الرغبة في تكوين إمبراطورية، ولقد استخدمت هذه النخبة فكرة الألفية لتخفي تأسيسها لإمبراطورية يكون فيها الكثيرون في خدمة القوة، أما الثروة فتكون للقلة، وتحولت أيديولوجيا الرؤيا النبوئية أداة تغطي حقيقة العدوان الإمبراطوري داخل أميركا وخارجها.

وقد حرصت الولايات المتحدة منذ نشأتها، وباعتبارها مجتمعاً عسكرياً صميماً على التمثل دائماً بالمدنيين وفي نفس الوقت على تصدير نزعته العسكرية التقليدية لوكلائه النظاميين في هذا العالم وبدا واضحاً أن بعض القصص الكتابية «التوراة والإنجيل» وشن الحروب على الآخرين بوحي من الرب، في محاولة لإنزال المسيح من السماء استعجالاً للمعركة الفاصلة.. وإذا كان الرئيس رونالد ريغان «مهووساً» بالألفية، وحاول أن يتمتع بشرف خوض المعركة، ولو حتى بدون المسيح نفسه، فإن الرئيس جورج بوش الابن كان هو الآخر «مسكوناً» بالأيديولوجية الألفية والرؤيوية، واعترف أنه يعتقد أن الله استدعاه ليخدم وطنه في لحظة أزمة كبيرة، وقال: «أشعر كما لو أن الله يريدني أن أكون رئيساً».

السياسة الأميركية تتكون من عقائد سياسية تدور حول: متى، وأين يجب التدخل في بلاد الشعوب الأخرى؟

والنور، وإن كل الأمم الأخرى يجب أن تسعى إليهم للتحضر.

هذا المنطلق للأفكار المؤسسة للمهاجرين الفارين «البروتستانت» من أوروبا إلى الأرض الجديدة أو كنعان الجديدة «أميركا»، أثر على سيرورة البناء الفكري والاجتماعي والسياسي للولايات المتحدة، وخلق حالة من التداخل بين النظام السياسي الأرضي وبين العقائد السماوية، وتحول النظام السياسي البشري، أو النظام الحاكم إلى آلة لتنفيذ «مشيئة الرب» حسب ما ورد في أسفار العهدين القديم والجديد «التوراة والإنجيل»، وكان من المدهش أن الأسفار التي تتحدث عن نهاية التاريخ وتدمير العالم كان لها تأثير كبير على الساسة الأميركيين قبل وبعد إنشاء الولايات المتحدة الأميركية، ولا يكاد يخلو سجل أي رئيس أميركي من اقتباسات دينية تؤيد أن أميركا هي منارة الحضارة العالمية وأنها «بلدة فوق التل» وصولاً إلى الفصول الأكثر إثارة وهي «دمار العالم في هرمجدون»،

أسـهمت في معانـاة أعـداد لا تحصى من المواطنيــن المحلييــن الأصليين.. وشـجعت فعلياً كل إشـكال الاستعمار العسكري المنبعث من أوروبا عن طريق تزويــده زعمــاً بالشــرعية الســماوية للمسـتعمرين الغربيين في حماسـتهم لـزرع مراكز تقدم في قلب الظلام.. ومن هنا تعتبر الحرب على أفغانسـتان التي أطلق عليها «الحرب على الإرهاب» حرباً بين قـوى الخير وقوى الشـر، واعتبر بوش الابن أنه يقود حرباً صليبية ضد الساعين لإقامة «إمبراطورية الشيطان» من إندونيسـيا إلى المغرب، في إشارة إلــى العالم الإسـلامي، وقد اسـتخدم بوش الابن مصطلح «حــرب صليبية» للتعبير عن سياسته، فبوش ومؤيديه مــن المحافظين الجـدد اعتنقوا عناصر متصلــة بالعقيــدة الألفيــة، خاصــة محورية إسرائيل في «نهاية التاريخ»، وبالإضافة إلى أفغانسـتان وما أطلقوا عليه «الحرب على الإرهاب» جاء الهجوم علــى العــراق لإعادة تشكيل الشــرق الأوســط ليكون آمناً بالنسـبة لـ «الأمة الإسـرائيلية»، كمـا يقـرر نورثكوت، وهــم ينطلقــون مــن أعمــاق قصــص التوراة والتاريخ والأساطير، كما كتب جــون كولي فــي كتابــه «التحالف ضد بابــل»، فجورج بوش الابن نظر، وقدم العراق كبقعة لصناعة الشـر اسـتناداً إلى نصوص العهد القديم التي تسـوق أن بابل «العراق» مركز للشرور والفساد والظلام و«دولة معادية لله»، وأن تدمير بابل ضروري لنهاية العالم والتاريخ، فهــي الضلــع الثالث من أضــلاع إنهاء التاريخ وهي إقامة دولة إسـرائيل في فلسطين وتدمير بابل «العراق» ومعركة هرمجدون، وهي معركة الإبادة الأخيرة للكفار وأعـداء الرب، التي سـيقودها المسيح الذي سينزل من السماء.

وكشــف الصحافي الفرنســي كلود موريس في كتابه «لا أصدق ما أسـمع» أن الرئيس الفرنسي جاك شيراك شعر بالفزع ولم يصدق أذنيه عندما اتصل به بوش قبل الحرب على العراق عام 2003 لإقناعه بالتراجع عن معارضته الشرسة للحرب مؤكداً له أن هذه الحرب تستهدف القضاء علــى يأجوج ومأجــوج اللذين يعملان على تشـكيل جيش إسلامي من المتطرفين في الشــرق الأوسط لتدمير إسـرائيل والغــرب، وقال له: «اسـمع يــا صديقي الرئيـس: لقد أخـذتُ على عاتقي تخليص العالم من الدول المارقة والشريرة وسأعمل على خوض معركة «هرمجدون» بكل ما أوتيت من قوة، من أجل القضاء علــى «يأجوج ومأجوج»، وأن شيراك ازداد فزعاً عندما كرر بوش من جديد اسـم يأجوج ومأجوج في أحد مؤتمراته الصحافية التــي كان يتناول فيها سياسته حيال دول «محور الشر»، وكان ريغان قد سـبق بوش في الحديث عــن يأجــوج ومأجوج وتنقــل (كريس هالســل) في كتابها «النبوءة والسياسة» أن ريغــان كان علــى اسـتعداد لإنفاق مليــارات الــدولارات اسـتعداداً لحرب نوويــة مع يأجــوج ومأجوج وخوض معركة هرمجدون لإعادة المسيح ثانية من السماء إلى الأرض.

إنه انجذاب للموت والدمار والخراب يجعل العنف مكوناً من مكونات الهوية يزرع الأحقاد التي يمكن أن تنتشر كالنار في الهشـيم ويغذي النزاعات والأعمال الوحشـية في العالم كما يقول (امارتيا صن) في كتابه «الهوية والعنف».

لقد وقف الرئيس رونالد ريغان أمام جمع من يهــود نيويــورك ليقول: «إن إسـرائيل هي الديموقراطيــة الوحيدة التي يمكننا الاعتماد عليها في بقعة من العالم قد تشـهد مأساة هرمجدون! وإنه لمن المثير هنا الربط بين الديموقراطية وبيــن الدمار الشـامل المطلوب كمدخل لظهور السيد المسيح ثانيةً»!

> **قُدِّم العراق كبقعة لصناعة الشر استناداً إلى نصوص العهد القديم التي تُسَوِّق أن بابل «العراق» مركز للشرور**

وكما ذكــرت هالسـل فــإن ريغان كان يواصــل الحديث عــن هرمجدون، وقال للإنجيلــي جيم بيكر فــي مقابلة تليفزيونيــة: «إننا قد نكون الجيل الذي سيشــهد هرمجــدون»، وذكــر المؤلف الإنجيلــي (دوغ ويل) إنه سـمع ريغان يردد مراراً «إن نهاية العالم قد تكون في متناول يدنا»، وكشف المبشر الإنجيلي جيــري فولويل، أن ريغــان أبلغه: «إن تدمير العالم قد يحدث «سريعاً جداً» وإن التاريخ سيصل إلى ذروته».

هذا الهــوس القيامي الألفي للرئيس الأميركي أقلق الباحثيــن والأكاديميين وســارع معهد الأبحاث المســيحي إلى بحث هَوَس ريغان بمعركة هرمجدون، وعَبَّر عن قلقه من هذا التوجه وأعلن أن إيمان رئيــس الولايات المتحدة بأن الله قضى بنشـوب حرب نووية من شـأنه أن يرسـم علامات استفهام مثيرة، فهل سـيكون متروياً وعاقلاً خلال أي أزمة نووية؟ أم أنه سـيكون متهافتاً للضغط على الزر، وهو يشـعر في قرارة نفسه أنه يساعد الله في مخططاته التوراتية - الإنجيلية المقررة مسبقاً لنهاية الزمن؟.. وهي أسئلة تحمل في طياتها الكثير من المخاوف.

إنه الهوس بالنهايــات وهو هوس خطير عندما يمتلــك المهووس مفاتيح القوة وأزرار إطلاق الصواريخ النووية لإبادة الإنسانية من أجل إنزال الرب من الســماء، وتصوير هذا الــرب على أنه عاجز وغير قادر على النزول، وبالتالي لا بد من مساعدته على ما لا يستطيع أن يفعله كما قال الرئيس ريغان.. وذلك لا يكون إلا بتدمير الأرض وإفناء البشرية وهي أيديولوجية مجنونة جرت المآسي والويلات على البشــرية ولا تزال تفعل فعلهــا حتــى الآن، لأنهــا أيديولوجية مهووســة بـ «إحماء التاريخ» والتبشير بجهنم وبأمطار النار والكبريت.



إيزابيلا كاميرا

نهاية العالم في مدن الملح

يعود الحديث عام 2012 أيضاً عن نهاية كوكبنا، وهذه المرة تأتي النبوءة من تقويم المايا، الذي يضع يوم 21 ديسمبر من العام القادم موعداً تتوقف فيها أرضنا المحبوبة عن الوجود، وهو ما أطلق العنان لخيال العديد من الكتّاب في العالم والذين أسسوا نظرياتهم على مجموعة كبيرة من العلامات القادمة من العالم الغرائبي وليس من العلم.

في إيطاليا أيضاً حدث ازدهار لمطبوعات تعالج هذا الموضوع المثير والغامض، والأهم من هنا أنه موضوع متكرر، خاصة إذا عرفنا أنه في العام 1000 كان الموضوع نفسه مطروحاً على الإنسانية بإلحاح، ولكن لحسن الحظ ما زلنا موجودين هنا، لنشهد على أن كل ذلك كان مجرد ترهات، وأن هذه التوقعات المأساوية لم تحقق أبداً.

اليوم، وبفضل التليفزيون والإنترنت ينتشر الخبر ويكبر في غضون ثوان معدودة، ويزيد بشكل يثير الدوار عدد من المؤلفين يريدون لنا أن نعيش في حالة هلع انتظاراً لتحقق نبوءات أتباع «العصر الجديد» أو الأساطير الكمبودية، أو حتى النبوءات التي تنبأ بها الأيرلندي، مالاتشيا، في القرن الثاني عشر، ونوستردموس في القرن السادس عشر.

كل يوم، في المدونات على شبكة الإنترنت، يكتب الكثير من الناس، وهم في حالة ذعر من النهاية الوشيكة، ويتمنون أن تكون هذه التوقعات من أعمال الخيال وألا تصبح وقائع حقيقية من وقائع الأيام التي نعيشها.

ومن الكتب التي أثارت الكثير من الاهتمام في إيطاليا رواية «نهاية العالم المشوه» للكاتب ماورو كورونا، والمنشورة عام 2010، ويتنبأ فيها بنهاية العالم عام 2012.

المؤلف شخصية خاصة، محب للطبيعة، منطو على نفسه، وحيد، يحب الطبيعة وغارق فيها، وسط غابات إيطاليا والشمال، بين الأشجار، والحيوانات الذين يكن لها حباً خاصاً، ويمكن وصفه دائماً بأنه «منثور في الغابات»، على طريقته الخاصة.

وهو في الواقع، ينتقد الحداثة علناً لأنها، وفقا لما ذكره، سوف تؤدي إلى تدمير أرضنا الجميلة العزيزة، لأن الإنسان، في سعيه المحموم نحو التقدم، دمر إلى الأبد حياة جميع البشر.

تبدأ الرواية بسيطة الحبكة، بكارثة مفاجئة. تجري الأحداث في بلد من بلاد الشمال، في عز الشتاء، عندما يكون الشتاء قارساً بحق، والريح ثلجية. وذات يوم جميل يستيقظ الناس ليكتشفوا أنه لم يعد هناك بترول، أو فحم ولا حتى كهرباء بطبيعة الحال. فجأة، وجدوا أنفسهم غارقين في حياة أخرى حيث تعيش المدن الآن في ظلام دامس، وقد أصبحت صحارى صامتة، حيث يصمت كل شيء. الحداثة، بضجيجها الذي يبعث على الصمم، وأضواؤها الوامضة التي تزعج العيون، اختفت في لحظة. بالنسبة للبشر كان الخلاص الوحيد هو العودة إلى الأصول، إلى حكمة الأجداد الذين تعلموا من الطبيعة البقاء على قيد الحياة. القوي فقط هو من ينجو في هذا العالم الجديد وهو ليس بجديد تماماً، نظراً لأن الخلاص من وجهة نظر هذا المؤلف هو ببساطة العودة إلى العصر الحجري. إن التشويه الذي يراه المؤلف في الحياة الحديثة لا يتعلق فقط بالكوارث الطبيعية، ولكن في البحث المتوجس عن إطالة عمر الإنسان، وجنون الربح، والسرعة الرهيبة للأشياء، وباقي الأخطاء والتشوهات التي نعيشها في العصر الحديث. هي إذا رواية خيال علمي، ولكنها أيضاً تنضح بالواقع.

ولكن حتى لا ننظر إلى البعيد نجد أيضاً في الأدب العربي أن هناك الكتاب الذين أدانوا تدمير الطبيعة للاستغلال المحموم للبترول ومصادر الطاقة، يكفي تذكر «مدن الملح» الرواية الشهيرة لعبد الرحمن منيف، والتي، لحسن الحظ، لا تنطوي على وضع حد للعالم، ولكن مجرد تحذير للبشرية من الأضرار الناجمة عن تحديث تسارع جداً.

كثيرون هم الكتاب في إيطاليا الذين يعتمدون في رواياتهم على الاقتناع أو الخوف من أن يوم القيامة «على الأبواب»، في نوع من «الخيال العلمي الكارثي»، الذي يغلب عليه التشاؤم.

فالكاتب أنطونيو سكوراتي كتب رواية بعنوان «الطفل الذي كان يحلم بنهاية العالم»(دار نشر بومبياني 2009)، تحكي عن طفل جميل أشقر عيناه واسعتان زرقاوان مهووس كل ليلة بنهاية العالم ودائم الحلم بيوم القيامة. يحاول الكاتب في هذه الرواية تحليل عالم الطفل الذي يخضع لعنف قاس، ويواجه على نحو مكشوف أزمة المؤسسات الإيطالية من الجامعة وحتى عالم السياسة، ومن الكنيسة إلى الأسرة، والتي تدخلنا في صراع مع أشباح، هي في الواقع مخاوف يتم بثها منذ الطفولة وتستمر معنا حتى في الكبر.

ماذا تفعل إذا كانت القيامة غداً؟

وصايا يوم الرّحيل

نهاية العالم القريبة فكرة يؤمن بها البعض ويرفضها البعض الآخر. تبدو مغرية ودراميّة في آن معاً. نهاية الأفراد هي حتمية متعارف عليها، ولكن «نهاية العالم» ما تزال تبعث على التساؤل. بين التأويل الدّيني وترسبات موروث البيئة الشفوية، يقرأ العرب نهاية العالم وفق زوايا مختلفة.

«الدوحة» التقت مثقفين وأناساً عاديين، وطرحت عليهم السؤال التالي: «ماذا ستفعل لو علمت أن نهاية العالم غداً؟». تباينت الرّدود وتعدّدت الآراء.

| استطلاع : **مراسلو الدوحة**

الروائي عبد الوهاب الأسواني يؤمن بأنه لا يعلم الغيب إلا الله، لكنه يتوجس خيفة من الموضوع، ويردّ على السؤال: «سأجمع أحبابي وأحفادي وأهلي كلهم وأذهب إلى النيل، ونجلس للعبادة في انتظار اليوم المعلوم. نشتري كمية كبيرة من الغلال (ذرة، قمح وشعير) لكي نطعم العصافير والحمام وبعض الطيور التي أصبحت ضالة».

نهايتنا نحن

«تختلف نهاية العالم الأميركية، كما تظهرها هوليود، عن نهاية العالم عند دانتي التي تتطلب المرور بالجحيم، ومن بعده المطهر، ومن ثم الارتقاء إلى الفردوس. نهاية العالم الأميركية تتطلب ديكورات ضخمة، لمدن حداثية ومابعد حداثية تنهار دون شفقة» يقول أحمد زغلول الشيطي. مع ذلك، فهو يرى نهاية أخرى للعالم لدى المصريين تختلف عن أطروحة دانتي، وعن رؤية المخرج ستيفن سبيلبرغ: «إنه يوم القيامة، يوم النفخ في الصور، وانقضاء الحياة الدنيا، حيث ليس للإنسان إلا ما سعى، وإن سعيه سيرى». ويضيف: «إن شهد العالم نهايته في 2012 كما تجري التوقعات الرائجة، أتصور أن يتجمع المصريون في ميدان التحرير، دون خشية من فض تجمعهم بغازات الأعصاب، وبالقنابل المسيلة للدموع وبالرصاص المطاطي والخرطوش، فأنا أتوقع أن تأتي نهاية العالم خالية من مشاهد القمع».

الراحة من حراسة الغد

الشاعر جمال القصاص يرى أنه لا بأس أن ينتهي العالم غداً. «لا بأس أن أتصور أنه غداً سيختفي الساسة وسماسرة الثورات، وأنه لن تتحرش بي الأسئلة الحائرة: ما الحلم؟ ما الرغبة؟ ما الحب؟ ما الإنسان؟ حينها سيمكنني أن أنام بجسدي كله، أن أعفي هذه الروح الممزقة من مهمة الحراسة الثقيلة لغد لن يأتي. جميل ألا أكلم إنسياً، أو ينهرني أحد من تحت القناع: ابتسم من فضلك أنت في فرح، أو يباغتني ابني صارخاً: الوقت تأخر يا أبي لن نستطيع اللحاق بالحفل.. جميل أن أتخبّى في هذا البياض». ويواصل: «لا بأس أن أقفز في الهواء واستلقي على قفاي من الضحك وأصرخ: ألم أقل لكم إن هذا العالم أكذوبة والحرية مرضٌ يصعب الاستشفاءُ منه!».

مأدبة النسيان

«نحن ضعفاء وعاجزون ونحب الحياة، حتى ولو كانت صعبة.. نفضل أن نعيش». هكذا تستقبل فرح ن. (32 عاماً) فرضيات نهاية العالم. عندما سئل معظم المستفتاة آراؤهم في بيروت، عمّا يفعلونه في اليوم الأخير من الحياة على كوكب الأرض، انحازوا إلى الإجابة عن سؤال آخر: «ماذا أفعل لو أنني سأموت غداً؟». إن نهاية الكوكب لا تعني للفرد، في لحظة المواجهة العارية مع النهاية، إلا موت الذات التي تترك هذا الكوكب.

ستدخّن ميساء ز. (34 عاماً) سيجارة، وتجد لنفسها موقعاً يشرف على مشهد جميل، وتتفرج عليه. أما إبراهيم د. (طالب هندسة في الجامعة الأميركية - 22 عاماً) فقد اختار أن يمشي إلى خارج العاصمة بيروت، إلى أن يأتيه «تاني نهار»، أي غدُ النهاية. وكذلك سيفعل سامي ش. (31 عاماً – صحافي)، لكنه لن يخرج من بيروت بالضرورة، وإنما سيتفرج على النهاية، من الشارع.


أحمد السوداني - العراق

يسرى ن. (19 عاماً، تقيم في باريس حالياً)، لن تقدم على فعل استثنائي، وإنما ستحتسي كوباً من النبيذ، وتستمع إلى الموسيقى. مايا ش. (30 عاماً، مصممة غرافيكية) ستفعل مثلها، لكن برفقة أصدقاء لها، لأنها لا تريد أن تكون وحيدةً عندما يحين موعد النهاية. أما سلام (40 عاماً) فستخبر الناس الذين تحبهم بأنها تحبهم، ثم تدعو أولادها وأحباءها إلى جلسة، فيها طعام وسجائر وكحول، «ورح موت سكرانة» تعلّق. أما لين (23 عاماً) فستنتحر.

رشا (25 عاماً) سترتكب «جريمة قتل» بحق كل من ترى ضرورة قتلهم في لبنان، «وبسبح شوي بعد الجريمة، ويمكن يخلص العالم أنا والبحر». يوافق هلال (30 عاماً، روائي) على أن «الواحد يقتل واحد. وفيك كمان، بعد ما تقتلي حدن، تقعدي ع الشط تنطري العالم ليخلص. دايماً بحس انو البحر رح يفضى بس العالم يخلص، وبيهمني شوف كيف. خدي معك كتاب ضخم، ولا مرة خلصتيه أو قدرتي تخلصيه أو تبلشي فيه. اقرئيه وانطري البحر ليفضى».

من جهتها، رشا الفلسطينية ابنة الخامسة وثلاثين ربيعاً، تقول: «سأجمع كلّ الناس اللي بحبّهم في مكان واحد بحبّه كثير هو القاهرة.. ومنسهر هناك للصبح، موسيقى وأغاني وكحول. وبس أموت بكرا، يبعثوني بتابوت على متن قارب من شط إسكندرية لشط عكّا». أما وسام ف. (20 عاماً – عامل في متجر لبيع الملابس) فلن يقدم على أي فعل استثنائي.. يقول: «لا شيء.. أكمل حياتي بشكل عادي». وكأنها لن تنتهي غداً.

إذعان للحظة

غالبية السودانيين لم يفكروا فيما سيفعلونه إذا علموا بأن نهاية العالم ستكون غداً. كثير منهم متشائم ويقول إنها ساعات معدودة لا ينفع فيها شيء. حيث رفض الأستاذ عادل مهدي

(50سـنـة) الفكرة جملة وتفصيلاً بقوله إن نهايـة العالم من الأمـور التي تدخل في علم الغيب، وأشـار لهـا القرآن في قولـه تعالى: (يسـألونك عن السـاعة أيان مرسـاها، قل إنما علمها عند ربي). وأضاف: «إذا كانت بالفعل نهاية العالم غداً فأول ما سـأفعله هو مسـامحة كل مـن خاصمنـي، والإكثار مـن الصلاة والاسـتغفار، وقراءة القـرآن، وأذرف الدمـع على كل الذكريـات الجميلة التي عشـتها، مـردداً بيت الشـاعر إيليا أبو ماضي:

إن نفساً لم يشرق الحب فيها
هي نفس لا تدري ما معناها
أنا بالحب قد عرفت نفسي
وبالحب قد عرفت الله

أما مهدي نور الدين (55 سنة)فيؤكد في رد طريف أنه يتمنى أن تكون نهاية العالم يوم السـبت، وليس الجمعة الذي يصادف عطلته الأسبوعية وفيها يطهو الملوخية، ويستمع إلى فواصل غنائية، وموسيقية. وإذا علم بنهاية العالم قبل أربع وعشـرين سـاعة فإنه سيمارس نفس الطقوس لتكون خاتمة لحياته.

وتقول حنـان الطيب (30 عاماً) إنها لن تخرج من منزلها، وسـتظل في حالة صـلاة دائمـة، ودعاء ممتد بـأن يغفر الله لها وللمسـلمين، وهـو ذات الاتجاه الذي ذهبت إليه الصحافيتان رنا عوض وشريفة بريمة، بقولهما إنهما ستتعلقان بآخـر خيـوط الأمل.وسـتتصلان بكل الناس لطلب مسامحتهما.

أما هنـادي الهـادي (ربـة منزل)، فتؤكد أنه لا سـبيل لعمل شيء في مهلة يـوم واحد لذلك سـيكون الأمـر بمثابة تأكيـد للقـول المأثـور (رفعـت الأقلام وجفت الصحـف)، وليس هناك من مفر إذ يصبح المعيار (العمل الصالح) فقط. أمـا عوض بابكر (لاعب كـرة قدم) فقال إنه سيسترجع شريط حياته للنظر إلى ما قدمه من إيجابيات وسلبيات، ويلجأ إلى الله بأن تكون خاتمته سعيدة.

مـن جانبـه، يقـول الأسـتاذ عمر إسماعيل (60 عاماً) إنه لن يستطيع فعل شيء غير أن ينأى بنفسه في ركن قصي مظلم، وينتظر ما سـيحدث، مشيراً إلى أن حكمة الكون ألاّ يعلم الإنسـان بقيام السـاعة. وأشـار عماد الحـلاوي (40 عاماً) إلى أنه سينتظر المفاجأة، خاصة أن السـودانيين بطبعهم يستعدون لكل المناسبات في اللحظات الأخيرة، لذلك فهو سـينتظر حتى اللحظـات الأخيرة ليرى ما سـيفعل، وسيكون الأمر عادياً حسب قوله. المصور الفوتوغرافي كرار أحمد (65 عاماً) أشـار إلى أنه سـيظل يصلي ويسـتغفر الله، ويسـجد سجدة واحـدة حتى نهاية العالم. وفي سـؤال للطفـل عمـر محمـد علي (6 سـنوات) تشـاغل عن الإجابة بموضوع آخر لكنه بعد تفكير أجـاب: «لا أدري ماذا أفعل، وكل الناس سـتموت، لكن هل سـيدنا إسرافيل سيموت أيضاً؟!».

اليوم الأبيض

حملنا السؤال البسـيط في صيغته إلى أناس من مختلـف الأعمار والفئات الاجتماعيـة، فـي الجزائـر، وتباينت ردودهـم بيـن التلعثم وعـدم المبالاة. عبـد العالي خالد، وهـو صاحب مقهى انترنت، تسمرت نظراته نحونا ثم ابتسم قائـلاً: «لم يخطر ببالي هـذا، ولم أفكر بنهايـة العالم، لكـن إذا كان الأمر جدياً فأول مـا يمكن أن أقوم بـه هو التقرب أكثر لله والصلاة له كثيراً واسـتغفاره، لأنني سـأكون متأكداً حينها أن لا حياة دنيوية وأن الآخـرة على الأبواب». أما بشـير مروان (تاجر) فيجيـب بنوع من الجديـة: «لم أفكـر بهذا، لكـن إذ كانت نهايـة العالم فعلاً فهـذا يعني أن لا أمل فـي حيـاة الأرض وأن الوقـت أضيق مما نتصور، لهذا أول ما سـأقوم بفعله هو الصلاة لله وطلـب المغفرة، وأيضاً القيام بإخراج أمانة كنت قد دفنتها تحت الأرض منذ أكثر من 18 سـنة». حاولنا معرفة نوع هـذه الأمانـة التي يتحدث عنهـا بشـير، لكنه رفض بشـدة وقال: «هذه الأمانة سـر بيني وبين الله. أعتقد أن كل الناس لهم أسرارهم الخاصة التي لا يبوحون بها إلـى أي أحد حتى أقرب المقربين وأن الله وحـده يعلم بها». في حين جاء رد فؤاد غلاب، صاحب مخدع للاتصالات: «أول ما سـأقوم بفعله هو شـراء قطعـة كفن لي، ونزع ملابسـي وارتـداء هذا الكفـن، أو بمعنى آخر لف هذا الكفن حول جسـمي والجلوس على الأريكة في البيت لانتظار ساعة النهاية. أريد أن أذهب وأنا موشح بالبياض».

لكـن مـا سـيفعله صالـح خلاف (صيدلـي) فيـه الكثيـر مـن العاطفـة والعشـق، حيث قـال: «لو قيـل لي إن غداً سـتحل نهايـة العالم حقـاً، فأول شـيء سأفعله هو الذهاب إلى خطيبتي واحتضانها إلى أن تحـل نهاية العالم، نعم سأذهب وأحتضنها كثيراً وطويلاً، أريد أن نذهـب معاً، في لحظـة التحام جسـدينا، العـرس تأخـر فـي حياتنا وبالتالـي نهايـة العالم لـن تجعل هذا العـرس يتـم في الحيـاة الدنيـا، لكن سـنذهب معـاً في رحلـة نهايـة العالم وسنكون معاً في حياة الآخرة.. نعم هذا ما سـأفعله». أمـا صبرينة خلفي وهي طالبـة جامعية فتقـول: «لا أدري كيف سـتكون ردة فعلي حينهـا، لكن الأكيد أنني سـأصلي ركعتين لله وأسـتغفره كثيراً، وربما سـأبكي أيضـاً، ثم أمكث فـي البيت فـي انتظار سـاعة النهاية. خلال وقت الانتظار أظن أنه لا بأس من مشـاهدة بعض الأفـلام الخيالية، التي ربما ستسـهل فكـرة تقبل هـذا الرحيل وهذه النهاية».

> لو قيل لي إن غداً ستحل نهاية العالم حقاً، فأول شيء سأفعله هو الذهاب إلى خطيبتي واحتضانها إلى أن تحل نهاية العالم

خطاب النهاية

| عبدالعزيز المقالح -اليمن

-1

لم يعد ممكناً أن نعيش على هذه الأرض

بل لم يعد ممكناً أن تعيش

وقد فقدت لون أشجارها

وعذوبةَ أنهارها

وبراءة أزهارها

بعد أن صار أبناؤها في الظلام سواسيةً

لا يرون مفاتيح أيامهم

وأساطير أحلامهم،

لم يعد ممكناً أن تنام

ولم يعد البحر وهو يعيش على حجرها

قادراً أن ينام

كل شيء على هذه الأرض يشكو،

ويبحث عن عالم آخرٍ لينامْ.



-2

كل شيء يموت على هذه الأرض

الحقيقيةُ كانت على ظهرها

أول الميِّتين

فقد سئمت من نباح الوعول

وصمت الخراتيت

وارتحلت لتنام هناك

جوار النبيين والشهداء،

الجبالُ، البيوتُ، الحدائق،

والطرقاتُ اعتراها ارتعاش النهاية

لم يبق من أثرٍ للمساجد

أو للكنائس والبرلمانات

لا أحدٌ في القرى.. في المدائن..

هنا خلاءٌ مخيفٌ.. مخيف

أنينُ الجياع اختفى

شبقُ المتْخَمين اختفى

وسعالُ السكارى

وأدعيةُ المؤمنين.

-3

آه، وآسفاه:

كان لي فوق سجادة الأرض

أهلٌ، ومكتبةٌ

ودواوينُ شعرٍ

وبعضُ الرواياتِ والحكمة المنتقاة

و«البوم» من أغنيات الرعاة،

وكنتُ أنام وبين يديّ كتابٌ يعلمني،

ويداعب أحلام روحي

ويحملني في احتفاءٍ شفيفٍ

إلى ملكوت القراءة..

يومئذ كان لي أصدقاء

من الشرق والغرب

أعرفهم،

وأبادلهم لقمة الكلمات

ولكن أجفاننا انطفأت

حين أسدلَ كفُ النهاية عتمتهُ،

واختفى جسد الأرض

تحت غبار الهباء.

نهاية العالم

ذات صباح ظهرت نحو الساعة العاشرة قبضة ضخمة في السماء فوق المدينة، انفتحت بعد ذلك ببطء كمخلب وظلت هكذا ساكنة كأنها ستار ضخم ينذر بشرّ. كانت تبدو وكأنها حجر ولم تكن حجراً، وكانت تبدو من لحم ولم تكن كذلك، وكانت تبدو أيضاً من صنع السحاب، ولكنها لم تكن سحابة. إنها نهاية العالم.

بدأ ينتشر صفير تحول إلى عويل ثم صراخ، انتشر بعد ذلك في الأحياء، حتى أصبح صوتاً واحداً متماسكاً رهيباً، كان يصعد نحو الذروة كأنه نفير.

في تلك الساعة التي لم تكن الشمس فيها قد سخنت بعد، كان بيترو ولويزا موجودين في ساحة صغيرة، تحيط بها قصور عجيبة وتحيط بجزء منها حدائق. ولكن في السماء، على ارتفاع شاهق، كانت اليد معلقة.

انفتحت النوافذ على مصراعيها بين الصراخ والنداء والرعب، بينما كانت الصرخة الأولى في المدينة تهدأ شيئاً فشيئاً، سيدات شابات شبه عاريات أطللن من النافذة يشاهدن يوم القيامة. كانت الناس تخرج من البيوت، وهي تركض، كانت تحس بالحاجة إلى التحرك، إلى أن تفعل شيئاً، أياً ما كان، ولم تكن تعرف مع ذلك لمن تلجأ.

انفجرت لويزا في بكاء عنيف: «كنت أعرف» كانت تتمتم وهي تنشج بالبكاء «إنها سوف تنتهي هكذا... ليس في الكنيسة وليس وأنا أصلي... أنا لا يهمني، أنا لا يهمني، والآن.. كان قلبي يحس أنها سوف تنتهي هكذا..». ما الذي كان يمكن أن يقوله لها بيترو حتى يهدئ من روعها؟ راح يبكي هو أيضاً كأنه طفل.

كذلك كانت غالبية الناس تبكي، وخاصة النساء. فقط، كان هناك راهبان، عجوزان مرحان، كانا يمضيان بكل سعادة كأنهما في أعياد القيامة: «انتهى أمر الخبثاء الآن!» كانا يتعجبان بفرح، وهما يتقدمان بخطوات نشيطة، متوجهين إلى المارة الأعلى مقاماً: «هل أقلعتم عن مكركم، هاه؟ نحن الآن الماكرون!» (ويقهقهان). «نحن الذين طالما سخرتم منا، نحن الذين اعتبرتمونا بلهاء، سترون الآن من كان الماكرون!» كانا يمضيان فرحين بشقاوة تلاميذ المدرسة.

وسط زحام الناس الذين كانوا ينظرون إليهما مستاءين دون التجرؤ على الرد عليها. كانا قد اختفيا منذ دقيقتين في إحدى الحواري عندما شرع رجل بحركة عفوية يطاردهما، كأنه ترك فرصة ذهبية تفلت منه: «يا إلهي!» كان يصرخ وقد خبط بيده جبهته «كان يمكننا الاعتراف أمامهما. «اللعنة»! عزز كلامه رجل آخر «كم كنا حمقى! يأتيان إلينا بأنفسهما ونحن نتركهما يبتعدان!» ولكن من بوسعه الآن أن يلحق بهذين الراهبين السعيدين؟ نساء ورجال متغطرسون، كانوا عائدين في تلك الأثناء من الكنائس يجرون أذيال الخيبة والإحباط. كانوا يحكون ما حصل: المعترفون الراكعون انصرفوا، ربما طردتهم السلطات العليا ورجال الصناعة الأقوياء.

غريب جداً، ولكن المال ما يزال يحفظ لهم بعض الهيبة رغم نهاية العالم، من يدري، ربما كانوا يفكرون أنه لا يزال هناك متسع من الوقت، بضع دقائق، أو ساعات، أو ربما بضعة أيام.

أما فيما يتعلق بالمعترفين الذين لا يزالون موجودين فقد تكونت في الكنائس حشود لا تخطر على البال. كان هناك حديث عن حوادث خطيرة وقعت بسبب التزاحم الزائد، أو من نصابين يرتدون ملابس القسس الذين يتطوعون لجمع الاعترافات ولو من البيوت، ويطلبون أسعاراً باهظة.

وعلى العكس راحت أزواج الشباب والفتيات يهرولون نحو الحدائق، دون أي ظل من تحفظ، ويتمددون على عشب الحدائق يتطارحون الغرام ولو لمرة أخيرة. أما اليد فقد تحولت إلى لون التراب رغم سطوع الشمس، ومن ثم أصبحت تثير خوفاً أكبر. ثم بدأت تنتشر شائعة بأن الكارثة أصبحت وشيكة، وأكد البعض بشدة أنها سوف تحل قبل منتصف النهار.

في تلك الأثناء وفي شرفة قصر، أعلى قليلاً من مستوى الشارع (كان يمكن الدخول إليها عبر مدرجين من السلالم على شكل مروحة)، شاهدوا قساً شاباً. رأسه بين كتفيه، ويمشي بعجلة كما لو أنه يخشى الانصراف. كان من الغريب رؤية قس في هذه الساعة، في ذلك البيت الفخم المسكون بالمحظيات. «قس! قس!» سمعوا صوتاً يصيح من أحد الأنحاء. وبسرعة البرق نجحوا في إيقافه قبل أن يهرب. «اجعلنا نعترف، اجعلنا نعترف!» كانوا يصرخون فيه.

شحب وجهه، واقتيد إلى ما يشبه الضريح الجميل الصغير برز من الشرفة كأنه منبر مغطى، بدا كأنه أقيم خصيصاً



| قصة: **دينو بوتزاتي**

لهذا الغرض. شكل الرجال والنساء بالعشرات عنقوداً، وهم يصيحون، يقتحمون من القاعدة إلى القمة، ويتسلقون مستندين إلى زخارف القصر البارزة، متشبثين بالأعمدة الصغيرة وبحافة الدرابزين، والذي لم يكن شديد الارتفاع.

بدأ القس يجمع الاعترافات. كان شديد السرعة في استماعه اعترافات المجهولين (والذين لم يعد يهمهم ما إذا كان بوسع الآخرين أن يسمعوهم). ربما قبل أن ينتهوا كان يرسم بيده اليمنى علامة صليب صغير، ويصرفهم، وينتقل على الفور إلى الخاطئ التالي. كم كان عددهم كبيراً! كان القس يتلفت حوله تائهاً وهو يقيس المد المتصاعد من الخطايا المطلوب شطبها. وبجهود شاقة استطاعت لويزا وبيترو أن يصلا إليه وأن يكسبا دورهما، ونجحا في جعله يسمعهما. «لا أذهب للصلاة أبداً، وأكذب..». كانت الفتاة تصرخ بتلهف خوفاً من ألا تستطيع أن تعترف في الوقت المناسب، في تنلل متهور «ثم جميع الخطايا التي تريدها سماحتك... ضعها كلها... وليس خوفاً أنني هنا، صدقني، إنها فقط رغبة في أن أكون أقرب إلى الله، أقسم لك..». وكانت مقتنعة بأنها صادقة. «أنا أحلك من خطاياك..». تمتم القس وانتقل إلى الاستماع إلى بيترو. ولكن زاد توتر لا يوصف لدى الناس. سأل أحدهم: «كم تبقى من الوقت على ساعة الحساب؟». واحد آخر أكثر علماً نظر إلى الساعة «عشر دقائق» أجاب بثقة العارفين. سمعه القس وفجأة حاول الانسحاب. ولكن الناس التي لم تشبع حاجياتها بعد استبقته. ويبدو أنه أصيب بحمى، وكان من الواضح أن موجات الاعترافات لا تصل إليه أكثر من كونها غمغمة مضطربة لا معنى لها، وكان يرسم علامات الصليب واحدة تلو الأخرى، ويردد: «وأنا أحلك من خطاياك..». بطريقة آلية. «ثماني دقائق!» حذر صوت رجل من بين الحشد. كان القس يرتعش فعلياً، وكانت قدماه تدقان على رخام الأرضية مثل الأطفال عندما يتشبثون بشيء. «وأنا؟ وأنا؟» بدأ يتضرع يائساً. كانوا يحرمونه من خلاص الروح، هؤلاء الملاعين، ليأخذهم الشيطان كما هم. ولكن كيف يتخلص منهم؟ كيف يعتني بأمره هو نفسه؟ كان على وشك البكاء فعلاً. «وأنا؟ وأنا؟» كان يسأل ألف طالب لديه نهم لدخول الجنة. لكن أحداً لم يسأل فيه.

ترجمة: حسين محمود



وضع الربيع العربي الأحزاب الإسلامية في مقدمة المشهد السياسي في ثلاث دول هي تونس، المغرب، وأخيراً مصر. «النهضة» التونسي هو الأقدم في البعد عن الاسم الديني، ومثله استغنى الإخوان المسلمون عن رمزية اسمهم التاريخي ليدخلوا الانتخابات بحزب «العدالة والحرية»، بينما صعد في المغرب حزب «العدالة والتنمية».
أسماء مدنية المنطق ولا تختلف في الشعار والمطلب مع أي فصيل سياسي آخر، فماذا عن الأفعال؟!
هنا ما يحاول أن يقرأه المفكر السوداني حيدر إبراهيم في هذا المقال.

الأحزاب الإسلامية ..أسماء وأفعال

حيدر إبراهيم علي - السودان

يمكن الافتراض بأن المسلمين هم أكثر البشر تأثراً وتفاعلاً مع عمليات العولمة الجارفة والمتسارعة. ويعود ذلك لعوامل عديدة مادية، وأخرى روحية وثقافية تعتمل في عقل ووجدان المسلم، فتجعله مواجهاً بتحديات عظيمة. ومن بين هذه العوامل الميزة الجيوبوليتكية (سرّة العالم)، الموارد الطبيعية، والفوائض المالية. أما التحدي الأكبر فهو حضاري، بحيث يمكن لأصحاب نظرية صراع الحضارات أن يضعوا المنطقة في المقدمة، باعتبار أن الغالبية تعتنق الإسلام. فمن الواضح أن الإسلام والمسلمين صاروا مكشوفين أو مهددين، كما يقول البعض، في مواجهة عواصف العولمة. ويعود سبب المواجهة والصراع الرئيسي إلى كون المسلمين يعتقدون في دين شامل وكامل، ومكتف ذاتيا، «ما فرطنا في الكتاب من شيء»، كما يرون أنه صالح لكل زمان ومكان. فالمسلمون حسب صورتهم وإدراكهم لهويتهم، كاملون روحياً، وثقافياً. وبالتالي، لا يحتاجون -حسب لغتهم- لاستيراد أي أفكار أو عقائد أو ثقافة من الخارج. ومن بين هذه الفجوة بين الواقع والرغائب تتسرب الأزمة الراهنة التي تحيط بهم. وهذه الثقة المفرطة، هي التي تشعل صراع الأنا والآخر، وتطرح أسئلة عملية ولكنها غالباً ما تختلط بالأيديولوجيا، والتعصب والكبرياء، مثل: ما الذي ينقصنا لكي نأخذه أو نستلفه من الغرب؟ وهل أدواتنا المعرفية والوجودية كافية دون إضافات خارجية، لكي تمكننا من العيش والتقدم وسط المتغيرات الكاسحة التي يعيشها عالم القرن الحادي والعشرين؟ وعلى حد تعبير حافظ إبراهيم:

أي شيء في الغرب قد بهر الناس
جمالاً ولم يكن منه عندي؟

لكن، كان مجال السياسة والفكر السياسي الأكثر انكشافاً وهشاشة أمام العولمة. وذلك، لأن المسلمين لم يعطوا موضوع السلطة والحكم والسياسة، الاهتمام المستحق، رغم القول إن أكثر الدماء التي سالت في التاريخ الإسلامي كانت بسبب الخلاف حول الخلافة، أي في القضايا السياسية. ونلاحظ أن الفقه الإسلامي الذي اهتم بأدق تفاصيل الطهارة أو الطواف في الحج مثلاً، لم يلتفت لموضوع مثل تداول السلطة وكيفية عزل الحاكم الظالم. ومن هنا برزت ظاهرة الإسلام السياسي كحاجة عادية في مرحلة العولمة، حيث وجد المسلمون أنفسهم قد تخلفوا عن أفضل النظم لإدارة شؤون الناس.

ودخل المسلمون في سباق محموم مع ذواتهم للحاق بالعالم (والذي هو لحد كبير الغرب). ومع الفورة النفطية في سبعينيات القرن الماضي ثم الثورة الإيرانية، وسقوط حائط برلين، يضاف إلى ذلك التعولم الكاسح الذي أسقط كل الحدود والمصدات ضد التغيير، لم يعد المسلمون يطلبون رد القضاء بل لطفه فقط، وفي هذا المنعطف بدأ البحث عن وسائل التكيف، أو المقاومة، أو الإذعان. وهذا هو مدخل فهم



تحولات الأحزاب الإسلامية من الاسم حتى البرنامج، مروراً باللغة ونوعية العضوية.

لذلك، تغيير الأسماء ليس انتهازية بل هو اجتهاد حسب شروط وضرورات العولمة، لاتخاذ موقف في نازلة ليس فيها نص أو اجتهاد سابق. فالإسلاميون يلهثون خلف العالم للحاق به، بعد أن ظلوا خارج التاريخ لزمن طويل. فهذه المفردات مثل:الحرية، والعدالة، والتنمية، والنهضة، والمساواة، ليست أصولها في التراث والنصوص التاريخية. فهذه مفردات من مواثيق حقوق الإنسان العالمية، والثورة الفرنسية، وبرامج الأمم المتحدة. وتبنيها يعني تقديم أوراق اعتماد من الإسلاميين لقبولهم في المجتمع الدولي، وإدخالهم في العصر.

واجه الإسلاميون سؤال الديموقراطية، وانشغلوا به - تنظيمات ومفكرين - خلال السنوات التي تلت سقوط المعسكر السوفياتي في مطلع تسعينيات القرن الماضي. وقد كانوا جزءاً من ظاهرة عالمية تزامنت مع نظريات النهايات، نهاية التاريخ ونهاية الأيديولوجيا، بل نهاية الإنسان عند بعض البنيويين. ولأسباب ذاتية وموضوعية خارجية، دخل مفهوم الديموقراطية إلى الخطاب الإسلامي عموماً - رفضاً أو قبولاً أو نقداً أو توفيقاً - ضمن المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر. ومن يتابع أدبيات الحركات والتنظيمات الإسلامية قبل ذلك التاريخ، خاصة في الستينيات والسبعينيات، لا يلحظ وجوداً واضحاً أو اهتماماً بمفهوم الديموقراطية بالمعنى المتداول الآن. مع العلم أن هذه السنوات شهدت قمعاً وملاحقة صارمة تعرض لها الإسلاميون أنفسهم. ويعود العامل الذاتي لاهتمام الإسلاميين بالديموقراطية، إلى تزايد عدد المتعلمين تعليماً حديثاً داخل الحركات الإسلامية، بالإضافة إلى توسع الاحتكاك والمثاقفة مع الآخر وبالذات الحضارة الغربية، والرغبة في التجديد. ومع هذا يعيش الإسلاميون، خاصة المنشغلين أكثر بما هو سياسي، أزمة كبرى بسبب صعوبات الاندماج في الجسم السياسي القائم بشروط ليست جميعها وفق مرجعيتهم وتصوراتهم. فالإسلاميون مطالبون باجتهاد جاد يمكنهم من الاندراج في أوضاع جديدة على مجمل مجتمعاتهم، وليس عليهم هم فقط كإسلاميين. وهذا يعني ضبط معادلة الخصوصية الإسلامية ومقتضيات العصر في القرن الحادي والعشرين. ومن خلال هذه الوضعية، يمكن أيضاً فهم التنازلات والمساومات التي تقوم بها الأحزاب الإسلامية والدينية.

لا يكفي أن تقوم هذه الأحزاب بتغيير أسمائها، وبرامجها، ولغة سجالها. فلابد للإسلاميين والدينويين(أصحاب المرجعية الدينية في السياسة)، خلافاً للقوى الليبرالية والعلمانية، من أن يعدّلوا أولوياتهم وأن يحددوا معاركهم الرئيسية من الثانوية. ولقد دهشت حين استهل مصطفى عبدالجليل رئيس المجلس الانتقالي الليبي، خطاب التحرير بالتعرض لقضيتي تعدد الزوجات والربا. وذكر ذلك كدليل لنيتهم تطبيق الشريعة. و به يسيء إلى الشريعة حين يختزلها في هاتين المسألتين، رغم أن موضوعي المرأة والمال يحتلان مساحة معتبرة في عقول الإسلاميين ، ولكن ليس لدرجة أن يطغي على قضايا رئيسية في فترات حرجة مثل تلك التي تعيشها ليبيا. ولا أدري أليس في الشريعة الإسلامية هموم ذات صلة بالديموقراطية وحقوق الإنسان والتنمية والتقدم، لكي ينكرها عبدالجليل في هذه المناسبة الجليلة؟

اختار موضوع تعدد الزوجات المثير للجدل، وهو ليس فرضاً، كما أنه مشروط بالعدل. وهذا ما يتكرر في نقاشات الإسلاميين بعد الانتخابات في تونس ومصر، وما يمكن تسميته: خلل فقه الأولويات. فهم يشغلون الناس بقضايا اللبس والحجاب، والاختلاط، والكحول، ولبس المايوه، أكثر من الحديث عن بطالة ملايين الشباب، وقبوع أكثر من نصف السكان تحت خط الفقر، وكيفية الولوج في اقتصاد عالمي قوي التنافس. وعلى الإسلاميين أن يدركوا أن معركتهم الحقيقية هي مع القهر والظلم والتخلف والتبعية والاستعمار الجديد والرأسمالية المستوحشة وليست مع مواطنيهم الذين يصرون على تسميتهم بالعلمانيين. وهؤلاء هم في حقيقة الأمر دعاة حداثة، وتحديث، وتقدم، وعصرنة. وهم لا يخشون تطبيق شريعة:عدلت فنمت ياعمر! ولكنهم يخشون الدولة الدينية التي تنسب القمع والفساد إلى الله. وهم لا



يخشـون «إغلاق البارات والملاهي» -كما يردد الإسـلاميون- ولكن يريدون إغـلاق بوابات الجهل، والتعصب، والغيبوبة، ثم فتـح مصانـع، وجامعات حديثـة ومعاهـد بوليتكنيك، ومسـارح، ومتاحف. يضاف إلى ذلك، أن الإسـلام جاء دين رحمة، فلا داعي للتخويف بالحدود والتقطيع، وكأن الإسلام جاء فقط ليعاقب.

أخشى أن يتسـبب الإسلاميون والدينويون في وأد الربيع العربي بوقوعهم في سـوء التقدير، وخلل الأولويات، وعدم معرفة العدو الحقيقي. الجميع في حاجة إلى حوار موضوعي وعقلانـي بلا تنابـذ بالألقـاب والتصنيفات المسـبقة، قائم علـى حق المواطنة وحـق الاختلاف وقبول الآخـر. أعلم أن هذا مطلب مثالي، إذ يسـتعصي على الإسلاميين والدينويين بعقلهـم الحالي أن يدخلوا في مثل هـذا الحوار. فهم مطالبون بتغيير انفسـهم من خلال تجديد خطابهـم الديني لكي يرتبط بالمشكلات والاحتياجات الفعلية للوطن والإنسان. ولا يكفي تجديد الأسـماء مع بقاء المضمون. فهم أصحاب أيديولوجية تجـد صعوبة في قبـول الآخر بسـبب مرجعيتهـا وخلفيتها المقدسـة والمطلقة. وهنا معضلة المرونة والقابلية السريعة للتغيير والتطور، خاصة وأن هذه الجماعات تشعر بقدر كبير من الزهو والانتشـاء يصل درجة الاستعلاء اعتماداً على أنها تمتلـك الحقيقة المطلقـة مع وقوف الشـارع والجماهير إلى جانبها. وفكر الاستعلاء الإسلاموي هنا متجذر في عقول نخب الحركات الإسلامية. فهم يستنجدون بالقرآن الكريم والأحاديث لدعم هذا الإحسـاس المتضخم لذواتهم. ومثـال ذلك:-«كنتم خير أمة أخرجت للناس»(سـورة البقرة:110) وينسبون الآية لأنفسـهم وهم المقصودون بـ«يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله». وكما يرى الإسلاميون في وصولهم إلى السلطة، ما يسـمونه «التمكين». ويستشهدون بالآية الكريمة: «الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور». (سورة الحج:41)، ومن الآيات التي كانت تتصدر صحف الإسلاميين:- «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين». (آل عمران:139).

ومن تناقضات الإسـلاميين أن هذا الشـعور بالاستعلاء، يصاحبه توظيف واسـتثمار مسـتمران لعقدة الاضطهاد. فهم يقدمون أنفسهم وكأنهم المعارض الوحيد للنظم الديكتاتورية، والذين عانوا من عسـف وعنت تلك النظـم. هذه حقيقة، فقد وقـع عليهـم النصيب الأعظم مـن القمع وهذا متوقع بسـبب عددهم وتنظيمهم، ولكنهم ليسوا الوحيدين. وكذلك من العيب أن يمتن الإنسـان بنضاله على شـعبه أو يطلـب التعويض والمقابـل. ومن ناحية أخرى، تم تحوير عقدة الاضطهاد إلى التلويـح بوجود خطر عام على الإسـلام والمسـلمين. وهذا ادعـاء غير متماسـك منطقيـاً ولكنه يخدم أغـراض التعبئة والتجييش العاطفي. إذ لا يعقل أن نتحدث عن غلبة الصحوة الإسلامية، وصعود القوة الإسلامية، وعودة الدين الإسلامي وبعثـه، وفـي نفس الوقـت لا يتوقف الحديـث والعويل عن المؤامـرة، والحملة الصليبية، والأيـادي الخفية. ولكن هذه الوضعية تسـتخدم كإحدى آليات خلق أو صناعة العدو الذي سـوف توجه الجهود لمحاربته من خلال التعبئة المتواصلة والاسـتعداد المسـتمر للتصدي لـه. وقد اختار الإسـلاميون العلمانييـن والليبراليين في الداخـل، والحضارة الغربية في الخـارج كعدو مثالي. وقد نجح الإسـلاميون في صنع العدو من وهم يسـمونه العلمانيين. وأصبح تـداول المفهوم دارجاً في أجهزة الإعلام العربية، وفي الحياة اليومية، وفي الدوائر الأكاديمية والفكرية، رغم عدم دقته مفاهيمياً وواقعياً.

وهنـا تظهـر مشـكلة أخـرى تتعلـق بدقـة المفاهيـم والمصطلحات عند الإسلاميين، خاصة حين تجيء من خارج قاموسهم السياسـي والديني. وفي بعض الأحيان من صالح الإسلاميين استخدام مفاهيم غامضة أو غير دقيقة، بالذات في هذه المرحلة بقصد عدم الالتزام أو التورط.

عجـز الإسـلاميون عن حـل إشـكالية الثنائيـة: محايثة التقليديـة والتحديث، في العمل السياسـي. فهم لم يحسـموا موقف الخيار الحداثي، وبالتالي تتعايش الدعوة في نشاطهم السياسي. وقد تبدو النظرة الدعوية أحياناً أقرب إلى التنظير والتفكير وإن غلبت عليها شروط العقيدة والفقه. بينما النزعة السياسـوية تميل للحشد والتعبئة والشعبوية. ومن الملاحظ في هذه الحالة انقسام الشعبوية والنخبوية، فالدعوة تحتاج إلى علمـاء وفقهاء قادرين على إقناع الناس بمختلف أطيافهم

وفئاتهم الاجتماعية، وغالباً ما تستخدم المساجد. ولكن في العمل السياسي الحاجة أكثر لخطباء من نوع آخر، يحركون الجماهير ويثيرون عواطفها وحماسها. وقد اصطدمت هذه الثنائية: الدعوي والسياسي بخيار المشاركة السياسية والاندماج في العملية الديموقراطية. وقام الإسلاميون – بالذات في مصر والمغرب – بخلق تعايش بين «الحركة» والحزب.

وفي المراحل الأولى للمشاركة، يخلط الإسلاميون مهمة الاثنين، أو تتداخل، حيث يعتبر الحزب أداة من أدوات التغيير الاجتماعي، ويأخذ استقطاب الدعوة مقابل العمل السياسي أبعاداً أخرى، حين يتحدث البعض عن التربية (الدعوة) مقابل العمل السياسي فنحن أمام اتجاه دعوي عقائدي أخلاقي في طريقه للتحول إلى خطاب سياسي اجتماعي. واختلف كثير من الإسلاميين حول تحديد الأولوية :هل الدولة أولاً ثم المجتمع تالياً ؟ يعني هذا الوصول إلى السلطة السياسية لتغيير المجتمع أم يعمل الإسلاميون على بناء مجتمع إسلامي فاضل أولاً تكون مهمته تأسيس الدولة الإسلامية. ويمكن اختصار الخلاف حول فكرة: «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن». ومن هنا يتسلل كثير من البراغماتية والتبريرية وقد تكون الانتهازية السياسية. فهناك غاية نبيلة وسامية لها القدرة على تبرير كل الوسائل وهي تطبيق شرع الله كما يعلن الإسلاميون. وهنا قد يتحكم مبدأ:الغاية تبرر الوسيلة، بامتياز. كما يسقط الإسلاميون في فخ محاولة تأسيس دولة حديثة بوسائل وأدوات قديمة.

ومن أهم مظاهر براغماتية الإسلاميين اللجوء إلى التعميم أو العموميات في عرض أفكارهم ومواقفهم. وكان أول تحد فكري – سياسي هو موقف الإسلاميين من الدولة المدنية. فقد تعرضوا في مصر إلى كثير من الأسئلة لتفسير شعارهم الذي يدمج مدنية الدولة بالمرجعية الإسلامية بقصد الوصول معهم إلى تعريف دقيق أو جامع مانع – كما يقول الفقهاء – ولكن دون جدوى. وأعتقد أن الحزب قدم تنازلات كبيرة، أهمها الاسم، فقد تنازل عن الإخوان المسلمين بكل رمزيته وتاريخيته وأصالته. ومع ذلك، يلاحقه الكثيرون مطالبين بضمانات ألا يكون حزباً دينياً. ويكررون القول إنهم حزب مدني ذو مرجعية إسلامية. ولكن طبيعة الحزب -الجماعة أقرب إلى الجبهة الواسعة الدينية التي تضم تيارات عديدة، وبالتالي تتكاثر وتتعدد الآراء وتتباين المواقف. ومن الواضح أن في هذه المرحلة، يسعى إلى توسيع العضوية، فلا يمكن أن يتشدد في شروط العضوية. فالحزب يضم ألوان طيف أصحاب هويات إخوانية، سلفية، جماعات إسلامية، جهادية، والبعض يقول بإمكانية ضم أقباط في الحزب. لذلك يصعب تحديد رأي الحزب الحاسم في الدولة المدنية، وعدم التهرب بوصف الآراء التي ترشح بأنها شخصية وتعبر عن قائليها فقط.

يحتاج الإسلاميون إلى جهد فكري أصيل بقصد تعميق مفاهيم الديموقراطية، ولكي تنعكس في الممارسة والحياة، فالديموقراطية ليست مجرد عملية فنية تتمثل في التداول السلمي للسلطة من خلال صناديق الانتخابات، وحرية الأحزاب والصحافة مثلاً، فالإسلاميون مطالبون-إذا أرادوا فعلاً طمأنة الناس-أن يرفعوا ويطبقوا شعار: الحرية لنا ولسوانا! فقد لاحظت بُعد الإسلاميين عن المنظمات المدافعة عن حقوق الإنسان إلا بمقدار الاستفادة منها في الدفاع عن حقوقهم الخاصة فقط، فمن يتابع توقيعات المثقفين للمطالبة بوقف منع كتاب، أو إدانة تكفير مفكرين مثل: صادق العظم أو نصر حامد أبوزيد أو حلمي سالم. فهم لا يشاركون في هذه الحملات المدافعة عن الحريات، مع أن الحرية لا تتجزأ. ولكنهم لم يحسموا موقفهم إسلامياً بالاجتهاد في إشكالية التكفير والرّدة بسبب الأفكار.

ولم يحددوا رأيهم في تغول البعض في الحريات الشخصية بسبب فهم خاطئ لمبدأ: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان . فالإسلاميون ليست لديهم مشكلة تنظيمية، ولكن تجديد الخطاب، والأفكار باجتهاد مفتوح بقصد اللحاق بالعصر، هذا هو جهادهم الأكبر الذي يجب العودة إليه بعد نجاحهم في كسب حق ممارسة السياسة قانونياً.

المشكلة الأساسية في مستقبل التجربة الإسلاموية هي غياب النموذج من الماضي أو الحاضر. وفي نفس الوقت انعدام رؤية واضحة وصافية تفهم الواقع وتستشرف المستقبل بعيداً عن أحلام الأيديولوجيات واليوتوبيات. لذلك، الخطورة في اللجوء إلى نظرية التجربة والخطأ وإدخال الشعوب كفئران في معامل التجربة الإسلامية كما حدث في السودان وإيران. ورغم وجود أعداد كبيرة من الفقهاء ورجال الدين في الأخيرة إلا أنهم عجزوا عن استنباط أحكام مبتكرة تستصحب متغيرات العصر. هناك قضايا عصرية لم تحسم إسلامياً مثل:-قضية المرأة، وضعية غير المسلمين، حريات العقيدة والتعبير، قبول الآخر المختلف، الاشتراكية أو العدالة الاجتماعية. وهذه هي بوابة الأحزاب الدينية لأسلمة الحداثة وتحديث فهم الإسلام.

أخيراً، السؤال الحقيقي هل يمكن أن تكون الحركات الإسلامية قادرة على التحول إلى أحزاب ديموقراطية كاملة الإيمان بالديموقراطية كالأحزاب المسيحية الديموقراطية الأوروبية مثلاً؟وهذا يعني أن تتبنى الديموقراطية كرؤية للعالم وثقافة، وليس مجرد وسيلة موسمية للتداول السلمي للسلطة، وقبول التعددية الحزبية، والانتخابات. فالديموقراطية فلسفة وقيم ومبادئ حديثة، جاءت في البداية من الغرب، ولكنها صارت الآن ثقافة عالمية ذات طابع إنساني شامل وعام، ولا يمكن أن تحتكرها حضارة أو جماعة بعينها.

روما
مدينة الأبد
جمر وأحضان

| عزت القمحاوي



روما مدينة الحواس لكل البشر ومدينة الروح لشعوب كثيرة، حيث تقع في قلبها دولة الفاتيكان، المركز الروحي للكنيسة الكاثوليكية الرومانية. المدينة الوحيدة في العالم التي طوت في قلبها دولة، مثلما ابتلعت أفعى البواء فيلاً في «الأمير الصغير» رواية أنطوان دو سانت إكزوبري الخالدة.

ساحة إسبانيا متزينة لأعياد الميلاد



هــي الكاملة تتواضــع وتضع قوس الكوليســيوم الناقــص رمــزاً لها. وهذه أول مراوغــات المدينــة ذات الألف وجه الحريصــة علــى ألا تســتهلك وجوهها دفعــة واحدة، كي تظل عند حســن ظن من يســمونها المدينة الأبدية. وحتى إذا كنت من عشــاقها، لن تطلعــك روما إلا على وجه واحد من وجوهها.

كان وصولــي فــي الصبــاح الباكر، بفاصل ساعتين فقط عن الموعد المحدد سلفاً للقاء الروائي والصحافي ستيفانو بينــي بصحبة الصديق حســين محمود أســتاذ الأدب الإيطالــي بكافتيريا فندق صغير فــي شــارع الريشــة. تصورنا أنه اختيار مناســب من الكاتــب، لكننا وجدنــا أن شــارع الريشــة متفــرع من شــارع الأوزة، ما يعني أن الاســم غير متصل بالكتابة بشكل مباشر، لكنه مثل أي مكان في رومــا، على علاقة وطيدة بالإبداع.

كان ســتيفانو في انتظارنا بصحبة مديرة أعمالــه فيفيانا دومينكي، تكلمنا عن «الدوحة» وقال ســتيفانو إنه يجعل صديقــاً عربياً يترجم لــه باختصار كل العدد، سعيداً بوجوده بين كتّابها.

تحدث ســتيفانو عن الجهــل بالعالم العربي الذي لم يــزل قائماً في أوروبا، لدرجــة أن البريد أخبره بوجود طرد من الهند في المرة الأولــى التي يتلقى فيها عدد المجلة!

ســألنا عــن الأوضــاع فــي مصر، ولم يكــن متفائلاً بالتغييــر الذي حدث فــي إيطاليا: «رئيــس الــوزراء الجديد مصرفي، وهــذا يكفي، وبيرلســكوني يحاول ترميم تحالفه مع رابطة الشمال اليمينية ليعود مجــدداً، الأمر لا يختلف عن ما يجري في مصر، استقرار النظام مع بعض المناورات الشكلية».

روما العربية

بعد لقاء ســتيفانو وقليل من الراحة أســفرت روما عن وجهها العربي، حيث



من مؤتمر محفوظ

بدأت جامعتها العريقة سابينزا احتفالها بعيــد ميــلاد الروائي نجيــب محفوظ، فكانت الحركة كلها في الفندق والجامعة وعلى العشــاء مســاء في محيط يتكلم العربية.

كان مــن حق الروائــي أن يفرح بهذا الدفء، هو الذي لم يسافر في حياته إلا مرتين مضطراً إلى يوغوسلافيا واليمن بتكليف رسمي.

ضخامــة احتفــال المســتعربين الإيطاليين بمحفــوظ، لم يصادف مثله في مصر إلا مرة واحدة يوم منحه قلادة النيــل جرياً وراء تكريــم نوبل. لكن لم يحدث أن أقيم مؤتمر لدراسة أدب نجيب محفوظ في مــدرج جامعــي يمتلئ عن آخــره وتتم الاســتعانة بمقاعد توضع في الممرات!

كان من المفترض أن يشارك السفارة المصريــة والمركــز الثقافــي بروما في التنظيم، لكن الأحداث السياســية ألغت

احتفال جامعة روما بنجيب محفوظ منح المدينة وجهاً عربياً على مدار يومين

تلك المشــاركة ومنعت اســتقالة وزير الثقافــة عمــاد أبو غــازي المشــاركين المصرييــن مــن الحضــور، وكان مــن المفتــرض أن يحضر الســفير المصري الافتتاح، لكنه اعتــذر وحضر ممثل له، بسبب انشــغاله بفرز نتائج الانتخابات البرلمانية في السفارة!

مــع ذلــك حضــر عــدد مــن العرب الموجودين في روما أســاتذة ودارسين في جامعاتها: حســين محمــود، محمد عبدالقادر (جامعــة حلوان مصر)، هيثم الصويلي (جامعــة الناصرية- العراق)، والتونســي نــادر محمــد عزيــز ممثلاً لمنظمة البحر المتوســط المشــاركة في رعاية المؤتمر.

هذا الحضور الرمزي العربي جاء إلى جانب أســاتذة الأدب العربي الإيطاليين من جامعات سابنيسا وميلانو ونابولي وباليرمــو، بالإضافــة إلــى المترجــم السويســري هارتموت فيندريتش الذي جــاء إلــى المؤتمــر بكتابيــن جديدين أحدهمــا ترجمتــه لروايــة «القاهــرة الجديــدة»، والثاني كتاب من تأليفه عن أدب محفوظ.

العمارة وساكنوها

سابينســا، الجامعــة الأم في روما



جانب من الجلسة الأولى

واحـدة مـن أعـرق جامعـات أوروبا وأكبرهـا علـى الإطلاق مـن حيث عدد الطلاب. لم تمر حقبة موسـوليني على الجامعة مرور الكرام، إذ تشـكل كليات الآداب والجغرافيا والجيولوجيا ضلعين من مستطيل معماري فاشتي غير متناغم مع قبة الجامعة الرومانية المميزة.

لكن العمـارة بسـاكنيها، والجهامة على جـدران المبنى تخص مـن بناها، وفـي الداخـل كان الدفء حيث شـهدت القاعـة الكبرى لكلية الآداب والفلسـفة الجلسة الافتتاحية للمؤتمر. بدأت كلمات الترحيـب من نائب رئيـس الجامعة (لم يحضر رئيس الجامعة نظراً لمشـاركته في اجتمـاع هـام يحدد مصيـر تمويل الجامعـات الإيطاليـة فـي ظـل الأزمة المالية الخانقة التي تتعرض لها إيطاليا، ولسـبب بروتوكولي غيـر معلن، وهو غياب سفير مصر عن الاحتفالية).

نائـب رئيـس الجامعـة أنتونيللـو بياجيني، المختص بالتعاون والعلاقات الدولية، أشـار فـي كلمته إلـى أهمية التعاون في نطاق الثقافة المتوسـطية وخاصة بعد الربيع العربي، كما أشـار إلى أهمية نجيـب محفوظ كاتباً مرتبطاً ببيئتـه ومعبـراً عن ثقافـة تنتمي إلى البحر المتوسـط. كما ألمـح إلى الإقبال المتزايد في جامعته على دراسـة الأدب العربـي وكفاءة أسـاتذة الأدب العربي بهـا، مشـيدا بالبروفيسـورة إيزابيللا كاميـرا دافليتو أسـتاذ كرسـي الأدب العربي بروما ومنظمة المؤتمر.

عماد حنا مستشار السفارة المصرية بروما ألقى كلمة مصر نيابة عن السفير فريد منيب حلّل فيها أدب نجيب محفوظ ورافقه بقراءة الترجمة الإيطالية للكلمة محمد عبـد اللطيف المبعو ث إلى جامعة تـور فيرجاتا لنيل الدكتـوراه في الأدب الإيطالي. قـرأ عماد حنا جزءاً من براءة منـح جائزة نوبـل لمحفوظ كمـا حلّل بعضاً مـن أعماله التي تؤكد على التزام الأديـب المصري الكبيـر بقضايا وطنه وأمته.

نادر محمد عزيزة، الجزائري، رئيس المرصد المتوسـطي بروما، ألقى كلمة رحـب فيها بعقد هذا المؤتمـر بالتعاون بيـن الجامعـة الإيطاليـة والمرصـد والسـفارة المصرية برومـا، معززاً ما تناولـه عماد حنا مـن الارتباط الوثيق بيـن الكتابة والواقع فـي أعمال نجيب محفوظ، معتبراً أنه كاتب عالمي وعربي فـي الأصل والأسـاس مؤمنـاً بقضايا العروبة.

وألقت البرفيسـورة إيزابيللا كاميرا دافليتو المحاضـرة الافتتاحية للمؤتمر وتناولت فيها وضـع الأدب العربي في إيطاليـا قبل فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل، وكيف أن الباحثـة أمالدي كانت أول من كتبـت أطروحة علمية في بداية الثمانينيات تحت إشـراف المستشـرق الكبيـر جابرايلي وقد اعتبرها المجتمع العلمـي في ذلـك الوقت مغامـرة نظراً لاقتصار الدراسـات الاستشـراقية على موضوعـات قديمـة خاصـة بالتـراث العربي الثقافـي. أدانت إيزابيللا كاميرا دافليتـو الجهل المتفشـي حـول الأدب العربـي في أوروبا عامـة وفي إيطاليا خاصة.

وعـزت إيزابيلـلا هـذا الموقـف من نجيب محفوظ إلـى المركزية الأوروبية التي أعمتهم عن رؤيـة القيمة الحقيقية لمحفـوظ. وانقلـب الوضـع تماماً بعد فـوزه بنوبل، فقد انقلبت هذه اللامبالاة إلـى اهتمام محموم وانهمـار للمبادرات التي تخص النشـر والترجمة. ورصدت إيزابيللا التلقي الصحافي لفوز محفوظ بنوبـل، وهي تورد في هـذا الرصد أن الصحـف الإيطاليـة، وكمـا يحدث في الجوائـز العالميـة الكبـرى، وخاصة عندما يفوز فيها كاتب من خارج الدائرة، ويكتـب بلغـة لا يفهمهـا الأوروبيون، يشـككون في جدارة هذا الفـوز، فمثلاً قالت إحدى الصحف الإيطالية إن الجائزة

ذهبت لمحفوظ لأن لجنة التحكيم كانت تحس بالذنب لعدم فوز أي كاتب من هذه المنطقة الجغرافية. وتحدثت صحيفة أخرى عن «العدالة الجغرافية» على نحو صريح واعتبرت إيزابيلا فوز محفوظ بنوبل ليس فوزاً للأدب العربي فقط، ولكنه فوز لجيل من المستشرقين حارب كثيراً ضد الرؤية الاستشراقية القديمة التي كشفها إدوارد سعيد.

ثورة ..ثورة إلى الأمام!

اكتشفت أنني يجب أن أتحدث في الجلسة الأولى عقب الافتتاح مباشرة، وكنت أنا الذي يخشى القتال المتلاحم آمل في أن تخسر القاعة معظم حضورها كعادة المؤتمرات، إلا أنها لم تخسر سوى ممثل السفارة ونائب رئيس الجامعة، فقلت واقتضبت بينما قرأت الترجمة الإيطالية لوسي نابكوف أستاذة الأدب العربي بجامعة جنوة، وهي مصرية الأصل (من أم مصرية وأب روسي).

وتحدث الدكتور حسين محمود عن مقدمات ثورة يناير في أعمال نجيب محفوظ، وحدد بصفة خاصة الفساد والظلم والاستبداد كموضوعات رئيسية في جل أعمال محفوظ، وحلل بصفة خاصة «الثلاثية» موضحاً اهتمام محفوظ بالطبقة الوسطى، وتحليل سلوك أفرادها، ومفردات الثورة التي استعملها محفوظ في كتابته لـ «الثلاثية»، حين تتمرد أمينة على استبداد سي السيد وتنهب لزيارة الحسين، وتمرد عائشة الجميلة على الحظر الذي فرضه الأب المستبد ونظرت من خلف المشربية نظرات حب إلى الضابط الشاب، وتمرد الطالب الحقوقي فهمي على طلب والده ألا يستمر في مقاومة المحتل الإنكليزي، وتمرد ياسين على السياج الحديدي لتقاليد الطبقة المحنطة والاندفاع وراء طبيعته البشرية، وتمرد الطفل كمال على سطوة أبيه عندما ينتزع منه حق الكلام ويطلب إليه أن يعيد له أمه،

> الجهامة على جدران المبنى تخص من بناها، وفي الداخل كان الدفء

وكيف أن هذه المحددات التي بدأ بها «الثلاثية» انتهت في الأجزاء الأخيرة منها بانتصار طالبي الحرية والعدالة الاجتماعية. أشار أيضاً إلى صفات الطبقة الوسطى من حيث إنها ليست طبقة مثالية في ثوراتها وأن هناك دائماً من بينها من ينضم إلى الثورة المضادة أو من ينقض على الثورة بعد نجاحها لكي يستأثر وحده بثمارها.

وانتهت الجلسة الافتتاحية بمحاضرة ألقاها هارتموت فنريتش، وكانت بعنوان «النبوءة والتاريخ: بعض الاعتبارات في رواية القاهرة الجديدة لنجيب محفوظ» محللاً النسق الفكري للشخصيات الثلاث الأصدقاء في الرواية، ومنهم الاشتراكي اليساري، والإسلامي المحافظ، والفوضوي العدمي، مؤكداً على غياب فاعلية التواصل بين النماذج الثلاثة، وزيف ادعاءاتهم ما بين اعتبار العلم أو الدين مفردين قادرين على حل مشاكل المجتمع، ملمحاً إلى دعوة الإخوان المسلمين الحالية في مصر لشعار «الإسلام هو الحل» ودعوة القوى الأخرى اليسارية على الأخص إلى اعتبار العلم هو الحل، وأن صراع الدعوتين هو الذي يؤدي إلى الفوضى والعدمية للشخصية التالية. أشار هارتموت أيضاً إلى أن نمط الثورة، وهي في رأيه بلا ثمار حقيقية على مستوى التغيير، هو أنها عمل فرد وليس عمل جماعة، وأن الفرد في الطبقة الثائرة في مصر التي يعرضها محفوظ منشغلاً بنفسه أكثر من انشغاله بقضايا الجماعة، معتبراً أن الثائرين في الرواية إنما هم ثائرون من أجل قضاياهم الشخصية، أو قضايا طبقتهم، وليسوا ثائرين من أجل الوطن.

محفوظ وفلسفته

عندما انتقلت الجلسات في اليوم الثاني من كلية الآداب إلى كلية الإحصاء ظل الحضور الكثيف مستمراً والإنصات كاملاً، حتى عندما يطيل الباحث أو يشط!

باتريسيا زينيللي جامعة روما



حضور كثيف

اختارت الحديث عن القصة القصيرة عند نجيب محفوظ من خلال مجموعة «الفجر الكاذب» من زوايا اللغة والمضمون الإنساني، مؤكدة على أن لغة محفوظ في تلك المجموعة تمثل تركيبة مدهشة من القديم والجديد، جمله بسيطة ومؤدية بشكل ممتاز، وتكشف القصص عن فهم كامل لدقائق النفس الإنسانية، كما تكشف عن إدراك مختلف لمفهوم الزمن، حيث يختلف الإحساس بإيقاع الزمن عند الشخص الخائف عنه عند المحتفل، كما يختلف الفائز عن المهزوم.

وكانت النصوص القصيرة محوراً لدراسة أخرى من باولا فيفياني جامعة نابولي متحدثة عن «الحواريات» وهي 8 نصوص نشرها محفوظ بين 1968 و1979 وهي تعتمد على الحوار بشكل أساسي ووصفها هو نفسه بأنها تصلح قصصاً، ويمكن قراءتها كنصوص مسرحية.

فيفياني أطلقت على هذه النصوص «مسرح العبث على الطريقة العربية»، وترى فيها مؤثرات من مسرح العبث والسوريالية والواقعية السحرية. وتعتبر أن الحوارية جنس أدبي بلا سابق ولا عقب له، اخترعه محفوظ ليلبي حاجته إلى التعبير عن أزمة الإنسان العربي بعد النكسة.

باولو برانكا من الجامعة الكاثوليكية بميلانو، من دون اتفاق قدّم حوارية أخرى، هي قصة نجيب محفوظ المكتوبة بشكل حوار بين طفلة وأبيها حول الدين، ويقول إنه جرّب أن يجعل طفلاً مصرياً من الجيل الثاني من المهاجرين يقرؤها وكان استقبالها حسناً، باولو قرأ القصة وكان استقبالها رائعاً في محاضرته، متخذاً منها مثالاً على فلسفة نجيب محفوظ الدينية الجديدة كلياً على العالم العربي.

ماريا أمينينو جامعة نابولي حاولت قراءة الرؤية الدينية عند نجيب محفوظ التي لم يفصح عنها، لكنها موجودة في أعماله حتى الواقعية منها مثل «خان الخليلي» و«القاهرة الجديدة»، حيث يستخدم تقنية الحوار بين شخصيات لديها قناعات مختلفة، بين الإيمان بقدرة الدين والإيمان بقدرة العلم وبينهما الشعوذة.

هيثم الصويلي جامعة الناصرية قدّم ما يشبه المسح التاريخي لأعمال محفوظ وتسلسلها من التاريخي إلى الواقعي ثم الرمزي، منوهاً إلى صعوبة الفصل الكامل بين المراحل الثلاث، بينما ركزت إيزادورا دايمو جامعة روما على الروايات التاريخية عند نجيب محفوظ محاولة تلمس الفرق بين التاريخ وبين استخدامه في العمل الروائي ومدى حرية الكاتب في تغيير بعض الأحداث أو تقديم شخصية بصورة مغايرة للصورة التي يبدو عليها في كتب التاريخ.

الفيرا ديانا تحدثت عن نجيب محفوظ الصحافي محاولة تتبع آرائه في مقالاته التي كان ينشرها في جريدة الأهرام، مقارنة بين هذا وأعماله الأدبية.

وأما ليوناردو كابيزوني جامعة روما فتوقف مطولاً أمام رواية «ليالي ألف ليلة» التي يقول إنها كانت أحب أعمال محفوظ إلى نفسه. ويعتبر الفيرا الرواية عملاً ضد الفساد، ليس كما تتناوله الروايات البسيطة، وإنما عبر الحيل الإبداعية، مؤكداً أن قراءة عمل روائي جيد تساوي قراءة عشر سنوات.

محفوظ الثوري كان محور ثلاث مشاركات بالمؤتمر. إليزانيا بينيني جامعة روما قرأت وجه الكاتب المحرض في رواية الكرنك. مؤكدة أن الرواية تحمل رسائل لها تأثيرها على السياسة، محمد عبداللطيف جامعة حلوان توقف هو الآخر أمام رواية الكرنك وربطها بثورة 25 يناير، كما تحدث عن التجاء محفوظ للفرعونية والثقافة الإسلامية، وعن آرائه السياسية ومنها إعجابه بسعد زغلول وانتقاده لعبد الناصر واعتباره مستبداً. ومونيكا روكو جامعة باليرمو قرأت الأمر من خلال مقالاته «وجهة نظر» في الأهرام كما قدمت قراءة في رواية أمام العرش التي يقدم فيها محاكمة لكل حكام مصر من الفراعنة حتى السادات.

بؤس الإنسان الكامل

من المفارقات الطريفة أن يتزامن الاحتفال بنجيب محفوظ في جامعة روما مع إقامة معرض ضخم للفن التشكيلي



السوفياتي يستمر حتى الثامن من هذا الشهر. نجيب محفوظ الذي نال الكثير من التهميش باعتباره كاتباً برجوازياً، بينما تم الإعلاء من شأن أسماء تلتزم مبادئ «الواقعية الاشتراكية»، وأهمها تمجيد الطبقة العاملة وهو ما جلب الكثير من الفنون التحريضية المباشرة التي كنستها رياح الزمن.

اختفت الأسماء التي غطت على نجيب محفوظ في مصر طوال عقدي الخمسينيات والستينيات، وسقط الكثير من الفن السوفياتي، بل ربما أودى ذلك الفن بسبب الخطابية التي يتضمنها. لم نعرف الكثير عن التشكيل الروسي لا نحن ولا الغرب، لكن المعرض الذي يحتضنه قصر الفنون في روما يضم عدداً ضخماً من الأعمال التي اختبرها الزمن رسمها فنانون بين عشرينيات وسبعينيات القرن العشرين.

احتل المعرض الطابق الأول من القصر الضخم كاملاً، مقسماً إلى سبع قاعات تضم كل منها أعمال حقبة معينة. يبدو المعرض ساحة حرب، حيث أغلبية اللوحات لجنود في معركة أو أمام منصة تكريم أو معلقين بين السماء والأرض، حيث واقعية الإسقاط من الطائرة بمظلة معطلة لا تشبه إلا فنتازيا كائنات شاغال الطائرة.

تمجيد المحارب يبدو واضحاً من خلال أحجام الجنود، مقارنة بمفردات اللوحة الأخرى، التماثل والانسجام بين الشخصيات يحقق واحدة من الأفكار الشيوعية. اللون يقف هو الآخر في خدمة المذهب، لكن الألوان القوية والضوء الباهر في كثير من اللوحات لا يخفي الاختلافات بين كل قسم من أقسام المعرض، فبينما تبدو التأثيرات الرومانسية في لوحات البدايات حيث الشخصيات المميزة والطبيعة المبتهجة نجد البراجماتية الواضحة في فترات الحرب، وخصوصاً الحرب العالمية الثانية التي يسميها الروس «الحرب الوطنية العظمى» بتصديهم للنازي، حيث يبدو التماثل والانسجام أكبر وتختفي الفردية.

ولا يخفي حجم الجسد الضخم في لوحات كلها كذلك من المقاس الكبير بؤس ذلك الإنسان الكامل الذي تمجده اللوحة.

بؤس يتبدى في الهزال الواضح على الكثير من الأجساد وفي العيون المطفأة والأخرى الزائغة والمندفعة إلى موت بما يشبه الرغبة في الانتحار. هل كان الفنان السوفياتي واقعياً في تصوير البؤس أم هي ملعنات الفنان الذي يجد دائماً الطريقة لإخفاء الذم تحت طبقات من المديح؟!

الجواب ليس مهماً، فما يخرج به زائر المعرض بعد الجولة في السبع قاعات أن الحقبة السوفياتية واحدة من حلقات التاريخ التي تعنب فيها الإنسان من أجل الحصول على اللاشيء!

وداع الجمر والأحضان

إيطاليا، بلد يختصر العالم، في الكثير من مميزات وآثام الشمال والجنوب. فيه الكثير من الفن والحيوية الثقافية التي لا نعرف حجمها في العالم العربي، حيث نركز في معرفتنا على الغرب ومن الغرب نركز على الفرنسية والإنكليزية، بينما لدى الإيطاليين الكثير من الأفكار والفنون، ليس استناداً إلى التاريخ فقط، بل إلى الحاضر.

أما الوصف الذي لن يختلف عليه اثنان لإيطاليا فهو «بلد الحواس»، ومنها حاسة التذوق، حيث متعة الطعام مهما كان بسيطاً، تلك المتعة التي جعلت جوليا روبرتس تكسب ثمانية كيلوغرامات مع الحرص أثناء تصويرها فيلم Eat, Pray, Love وكانت إيطاليا بالطبع محطة الأكل في رحلة البطلة التي وجدت الصلاة في الهند والحب في إندونيسيا. من حسن الحظ أن المؤتمر لم يستغرق المدة التي قضتها جوليا في تصوير فيلمها بمحطة الأكل «إيطاليا».. في اليوم الأخير أبديت الرغبة في بيتزا الختام. اختار الأصدقاء مطعماً من عمر نجيب محفوظ لم يزل يستخدم الحطب في أفرانه، وينام اسمه في لافتة صغيرة على واجهته: «جمر وأحضان» وهو اسم يصح أن يطلق على المؤتمر والرحلة كلها.



تتويج البطل../لوحة من معرض الواقعية الاشتراكية



د. مرزوق بشير

الثقافة والثورات العربية

ثورات الشعوب ليست غاية بذاتها، هي الشعلة التي سوف يحملها المثقف لإنارة الظلمة، وهي المُمول الذي سوف يمهد الدروب إلى المستقبل.

إنّ الثورات التي تتوقف مقاصدها عند إسقاط رؤوس واستبدالها برؤوس أخرى، أو استبدال نظام سياسي بآخر، لن يُكتب لها التقدم، فالمفاسد ليست في قمة الهرم فقط، إنّما في قاعدته أيضاً، فالتعليم المتخلف والثقافة الاستهلاكية، هي من تنتج رأساً فاسداً، إنّ ما يُتيح نجاح الثورات واستمرارها هو أن يُرفع شعار تغيير النظم التعليمية الجامدة والنسق الثقافي النمطي والاستهلاكي، وشعار رحيلها، والقضاء على المرتكزات التي قامت عليها السلطات العقيمة، بفرضها ثقافة واحدة، وتجييش كافة مرافق الدولة ومنابرها المدنية والدينية، تبرر لها الفساد، وتنشر ثقافات مصطنعة بحجّة حماية تاريخ الأمة وتراثها: وهي ثقافة تلخص المفاهيم في مفهوم واحد، والمصطلحات في مصطلح واحد، وإبطال التراجيديا في بطل واحد، ومن يستقرئ أشكال وصور الثقافة العربية سوف يجدها على النحو التالي:

ثقافة خادمة ومُجيّرة لأهداف وغايات السلطة الواحدة أو الحزب الواحد، وبالتالي يتخلى المثقف عن دوره الإبداعي والجمالي إلى إنتاج فنّ رخيص ودعائيّ أقرب إلى الإعلان منه إلى الإعلام والتثقيف والتوعية وإشاعة الجمال عند متلقيه، ثقافة تبدو في ظاهرها مبهرة وبراقة، لكن جوهرها أجوف، ثقافة يصرف عليها الرسميون الملايين من الدولارات، لإثارة الإعجاب والدهشة والضجيج، لكنّها لا تَعبر بمتلقيها إلى المستقبل، ولا تحاسب من خلالها فساد الواقع.

النوع الثاني من الثقافة هو المستورَد، وهي ثقافة استعلائية غريبة على مذاق الأمة وروحها وضميرها، وهي ثقافة الغاية منها التباهي والادعاء والتصنع بالتقدم والتحدي، ثقافة لا تتفاعل مع وجدان الأمة ومشاعرها، وبالتالي يتحول المواطن إلى مجرد متفرج متبلد، وليس جزءاً من المشهد الثقافي المعروض أمامه.

والنوع الثالث، هو الثقافة الجادة، وهي الثقافة التي تتولد بطرق طبيعية، وليس ولادات قيصرية، ثقافة يؤلف حكاياتها الناس ويرسمها الناس ويلونها الناس ويلحنها الناس ويغنيها الناس، هي ثقافة يعترف الناس فيها بحبهم للحياة، ويعبرون عن شكواهم من خلالها، مرة بالرواية ومرة بالأغنية ومرة بلوحة فنية ومرة بالرقص ومرة بالقصائد.

لن تُستكمل الثورات وتستقر في غياب ثقافة جادة، فثقافة الأمة هي مرجعيتها ومنطلقها إلى صناديق الاقتراع لتختار بوعي كامل من يمثلها، لتجنب وصول أولئك المخادعين إلى مواقع السلطة التي يحملهم إليها جهلاء الأمة المدفوعون بشعارات براقة، لم يحاولوا أن يتوقفوا عندها ليتساءلوا عن حقيقتها، وهو أمر لم يكن ليحدث لو أنهم استندوا إلى مرجعية ثقافية ترشدهم إلى حقيقة تلك الشعارات. والثقافة بكل أطيافها هي القادرة على رقابة مسارات التغيير والقادرة على المسألة، والقادرة على التمييز بين الصحيح والمزيف.

فالقصيدة والأغنية واللوحة الفنية والرواية والموسيقى، هي روافد لثقافة الأمة الكبرى، فلو أبقينا جريان هذه الروافد في وجدان الأمة وعقلها ومشاعرها، سوف نضمن في النهاية مواطناً مثقفاً وواعياً بقضايا الوطن وقادراً على مواجهة الفساد والمفسدين، وسوف نضمن ربيعاً عربياً دائماً بفضل الثقافة.



البلاغة المُهلِكة

«لا رئاسة مدى الحياة، لا رئاسة مدى الحياة».

«لم أكن أنتوي الترشح لفترة رئاسة قادمة».

«لو كنت رئيس، أو كان عندي منصب لكنت لوحت الاستقالة على وجوهكم».

«من يتمسك بالسلطة مجنون».

العبارات الأربع قالها بالترتيب زين العابدين بن علي، حسني مبارك، القذافي، وعلي عبدالله صالح في لحظات الغرق. من قالوها يعرفون أنهم لا يؤمنون بها حقيقة. ومن استمعوا إليها لم يصدقوها. وكانت هذه هي بؤس الختام لحكام استمرأوا العيش في اللغة، فخلقوا من البلاغة الفارغة وطناً بديلاً تتحقق فيه الديموقراطية بمجرد أن يمتدحها المستبد في خطاب، ويتحقق العدل الاجتماعي بمجرد أن يعلن أمام عدسات التليفزيون أنه يعمل لصالح الفقراء!

أطعموا الجياع كلاماً، وتصوروا أن الأوطان الأقفاص ستبدو واسعة إذا ما زعموا أنها حدائق. قليل من الحكام يخلقون الوطن اللغوي البديل بأنفسهم، والأغلبية منهم تعتمد على كتبة الخطابات من الصحافيين والكتاب الذين يتصورونهم أقدر على اصطياد مشاعر الجمهور. وهؤلاء الصيادون كانوا أسبق إلى التصويب على رؤوس المواطنين قبل القناصة والبلطجية والبلاطجة والشبيحة وعناصر الجيش!

تاريخ تزيين الكلام قديم قدم البشرية، وقد عرفت كل أنظمة الحكم وظيفة كاتب الرسائل، وفي العصر العباسي صار للكلام ديوان كامل- وزارة- حمل اسم «ديوان الإنشاء». وفي عصر الاحتلال الوطني الذي برك على صدور الأوطان ستين عاماً بالتمام صار ديوان الإنشاء هو الديوان الوحيد الذي يعمل في الدول المستقيلة من مسؤولياتها، والغريب أنه آخر ما يموت فيها!

Sandro Botticelli - إيطاليا



رسوم الملف للبرازيلي:كارلوس لاتوف

في البدء كان ديوان الإنشاء

الباطل في ثياب الحق

أ.د. أحمد يوسف علي -جامعة قطر

ترى هل كان الجاحظ على حق عندما استهل كتابه البيان والتبيين بقوله «اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول وفتنة العمل»؟ يمكن لنا أن نفهم فتنة العمل على نحو الإعجاب بما أنجزنا إعجاباً يجعلنا لا نرى بعد عملنا عملاً يقاربه أو يدانيه ونتوقف عند هذا العمل لا نفارقه بعمل جديد يتخطاه أو يتجاوزه في عالم الجودة والإتقان. وهذا المعنى- أي التجاوز- هو ما قصد إليه بشار حين قال: «ولا والله ما ملك قيادي قط الإعجاب بشيء مما آتي»، بالتأكيد كان الجاحظ على حق لأن فتنة القول تساوي فتنة العمل إن لم تعلُ عليها لأن القول الفتان أيسر إرسالاً وأكبر تأثيراً وأخطر من فتنة العمل وأوسع انتشاراً وأقل مقاومة، ومن هنا كانت فئة الشعراء في وقت هم أمراء الكلام، كما قال الخليل بن أحمد عندما كان الشاعر هو الفارس الوحيد في مجتمع لم تمتد أطرافه وتتعدد ثقافاته وتمتزج أعراقه وتتباين بيئاته الجغرافية وتكثر لغاته وعقائده. هذا المجتمع كان هو المجتمع العربي قبل أن ينتقل من حال المفرد إلى حال الجمع ومن حال المشافهة إلى حال المكاتبة ومن حال البداوة إلى حال التمدن والتحضر ومن حال النقاء اللغوي إلى حال الهجنة اللغوية ومن حال البساطة إلى حال التعقيد.

عندما حدث كل هذا كان إيذاناً بظهور فن الكتابة وسيطرته على ساحة الدواوين ليس فقط لقضاء حاجات الناس اليومية بل تدعيماً لأركان الملك الجديد الذي ابتدأ بدولة الأمويين ولم ينته حتى يومنا هنا وإن لبست الكتابة لباساً آخر وتعددت ألوانها وتباينت وظائفها وتضاربت أحياناً فقد ظلت الكتابة دعامة من أهم دعائم المدنية بتعبيرنا المعاصر أو الملك بالتعبير الموروث، ولم يكن مصادفة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «قيدوا العلم بالكتابة».

ولا غضاضة أبداً من أن تكون الكتابة سنداً للعمران وبناء الإنسان وحفظاً لمنجزاته عبر العصور، ولكن المشكلة أن الكتابة العربية حين نشأت كانت نشأتها في مهد الدولة الجديدة ذات التوجه العربي الخالص إلى درجة الانحياز الكامل لكل ما هو عربي ثقافياً ولغوياً وكان على الكاتب أن يدعم هذا التوجه وينميه ويزينه ويروج له مهما كان متهافتاً وضد منطق التاريخ الذي كان مكره أقوى وأشد. فقد كان الدين الجديد- الإسلام- معلناً مبادئه منذ أول كلمة جاء بها الوحي وهي القراءة، مشيراً إلى العلم ودوره في العمران وقد اقترنت هذه الكلمة بكلمة التوحيد التي أعلت من شأن الحريات العامة والخاصة ،وأقرت مبدأ المساواة بين البشر جميعاً وجعلت أساس التفاضل بينهم هو العمل الصالح الذي اقترن بكل ما يصلح الكون والإنسان والعمران وأرسى الوحي مبدأ المراقبة الذاتية للنفس تحت سلطان مراقبة الله لكل الكون ومنه الإنسان.

إن مكر التاريخ جعل كتّاب السلطان يدورون في فلك السلطان مع علمهم بحقيقة التاريخ ومكره، ولكنه الهوى والانحياز وعمى البصيرة والطمع في بريق النعيم وأبهة الملك، فاستغلوا فتنة القول التي استعاذ منها الجاحظ في مستهل كتابه السابق الذكر ليزينوا للناس سوء الملك الذي يهدر كرامة الإنسان ويعلي من شأن الطغيان بإسقاط مبدأ الحرية والوعي الفعال اللذين أقرهما الوحي المتفق مع المنطق السليم والفطرة الأصيلة.

في هذا المهاد الثقافي الاجتماعي تأسس المبدأ الخطير للكتابة العربية وهو أن البلاغة هي القدرة على تصوير الحق في صورة الباطل وتصوير الباطل في صورة الحق. وهو مبدأ يعني قدرة الكاتب علي التخييل الذي يعني استخدام ملكة الخيال في الإقناع والخداع والسيطرة على عقول ما نسميهم اليوم بالجماهير العريضة تحت مسمى الحق والحقيقة أو الوطن والوطنية.

ومما استعان به كتبة السلطان النصوص النقية أي النصوص التي لها رصيد إيجابي في وجدان الجماهير وهي النصوص الدينية سواء أكانت نصوصاً قرآنية أم نصوصاً من السنة والأحاديث، ومنه الاستعانة بالمنقول على حساب المعقول وإضفاء طابع القداسة والمهابة على الأقوال والأشخاص بحيث يكون الفصل بينهما أشبه بالفصل بين الروح والجسد،

فيتوحد القول بالقائل كما يصنع كتبة السلطان في زماننا اليوم فيوحدون بين الحاكم والوطن فمن يمس الحاكم بنقد فقد مس الوطن ووقع في الخيانة.

ولم يكن غريباً أن يتوارى سلطان العقل ويعم سلطان القول وينتشر ويختفي النقد الفعال المتأسس على مقولات المنطق والشك في المبادئ الأولى التي تنهض عليها الأنساق الفكرية. وباختفاء هذا النقد تروج الخرافة وينسحب كتّاب كبار من مشهد الكتابة الديوانية مثل الجاحظ الذي آثر الحرية على أبهة الملك والسلطان واتجه بكتاباته اتجاهاً جديداً كاشفاً عن زيف المدينة والمدنية وتهافتها فكتب عن المهمشين من العرجان والبرصان والعميان والحولان كما كتب عن الحمقى والنوكى والسودان والبيضان ودخل عالم النساء بوصفه عالم المقهورين الذين يمارس رجال الملك وحاشيتهم سطوتهم عليه وهم يعتقدون أنهم حراس الفضيلة فكتب عن الإماء والجواري وعن الحرائر وعن العشق وعما لا تستطيع المرأة في هذا العالم القاهر أن تعلن عنه وهي تمارسه في الخفاء وتتمسك بنقيضه في العلن، كما كتب عن زيف ما هو معلن على ألسنة الأغنياء الذين يدعون الفضيلة وهم عراة منها. إنهم هم البخلاء الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا. فكان كتابه البخلاء الذي رسم فيه أمراض النفس حينما يستحوذ عليها الطمع والجهل، كما رسم أمراض الجسد لدى فئة لا حول لها ولا قوة فيما أصيبت به من العمى والبرص والحول والعرج وهذه الفئة أشبه بالفئة المقهورة من النساء والإماء والجواري والغلمان وما تمارسه من لهو ربما كانت هي أول الرافضين له لولا لعبة الأقدار الاجتماعية وإهدار الحقوق.

هذا اللون من الكتابة الذي أسس له الجاحظ يرصد ثقافات مختلفة تموج بها المدينة العربية وقتئذ ولا يشغله الترويج لبقاء السلطان وتدعيم ملكه، فيكتب عن ثقافة ما نسميهم اليوم بالسفلة أو الفئة الدنيا، كما يكتب عن ثقافة الغرباء الذين يعيشون في المدينة وهم ليسوا منها مثل البدو وأهل السواد الذين نعرفهم اليوم بأهل القرى. وبين هؤلاء فئة وسطى ليست ثقافتهم ثقافة الفئة الأولى ولا ثقافة السلطان وما يتصل بها من كتاب الدواوين، إن ثقافتهم هي الثقافة التي يمثلها الجاحظ ثقافة لا تروق لثقافة السلطان ولا لثقافة كتّابه الذين يقاومون ثقافة النقد والعقل ويروجون لثقافة البيان -(وإن يقولوا تسمع لقولهم)- القائم على التضليل وفتنة القول وتزيين الباطل وتشويه الحق إن لم يكن معهم، كما يقاومون ثقافة المغمورين لما تتمتع به من الوضوح والصراحة والمكاشفة والجرأة.

لقد كان طه حسين على صواب في كتابه حديث الأربعاء حين أدرك أن اللون الذي يمثله الجاحظ في الكتابة يناقض أرباب السلطان. فالجاحظ حين يكتب عن المغمورين يكتب عنهم بلغتهم كما يتحدثون ويتبادلون الكلمات معتمداً على أسلوب الحكاية معلناً اعتدادهم بلغتهم وما فيها من وضوح وانكشاف وبراءة من التجمل والنفاق والبعد عن حيل التستر بالفضيلة باستخدام التكنية والإخفاء والإشارة والرمز.

ولكن مسار الكتابة العربية لم يكن هو المسار الذي سلكه الجاحظ وبعده المغترب الأكبر أبو حيان التوحيدي، بل كان المسار هو القواعد التي يتعلمها النشء ليتقنوا فن الكتابة الديوانية، وما تعد به من عز ومكانة وجاه وسلطان على غرار رسالة عبد الحميد الكاتب للكتاب، وكتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة، و(الرسالة العذراء) لابراهيم بن المدبر ثم الكتاب الصريح الواضح من عنوانه لكاتبه أبي هلال العسكري في القرن الرابع الهجري أعني كتابه (الصناعتين الشعر والكتابة) وبعده صار مصطلح الكتابة يعني كتابة الإنشاء كما أكد القلقشندي في (صبح الأعشى) قائلاً: «... وقد خصوا لفظ الكتابة بصناعة الإنشاء حتى كانت الكتابة إذا أطلقت لا يراد بها غير كتابة الإنشاء. والكاتب إذا أطلق لا يراد به غير كاتبها وسمى ابن الأثير كتابه «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر».

> استعان كتبة السلطان بالنصوص النقية التي لها رصيد إيجابي في وجدان الجماهير وهي النصوص الدينية سواء أكانت نصوصاً قرآنية أم نصوصاً من السنة والأحاديث

وكما نشأت الكتابة أو فن الإنشاء في مهد الدولة والمعتقد، انتهى مسارها بارتباط وجودها بالسلطان، فبالكتابة والكتاب قامت السياسة والرياسة كما يقول القلقشندي الذي أنشأ كتابه الضخم معبراً به عن الاقتران بين الكاتب والسلطان والتسلط على الناس بفتنة القول وسوء العمل «وما يتطلبه كاتب الإنشاء من الاختصاص بالسلطان وقربه منه وإعظام خواصه. فالكتاب كالجوارح كل جارحة منها ترفد الأخرى في عملها بما به يكون فعلها. وكاتب الإنشاء بمنزلة الروح الممازجة للبدن المدبرة لجميع جوارحه وحواسه. فكاتب الإنشاء هو حلية المملكة وزينتها لما يصدر عنه من البيان الذي يرفع قدرها، ويعلي ذكرها، ويعظم خطرها، ويدل على فضل ملكها وهو المتصرف عن السلطان في الوعد والوعيد والترغيب والإحماد والإنذام»، والسؤال الآن: هل مات كاتب الإنشاء واختفى من بلادنا وزمانها المعاصر وانفكت عنه عرى الملك والسلطان ولم يعد يتسلط على الناس بفتنة القول وتزيين سوء العمل؟

تسقط الدولة المتلفزة

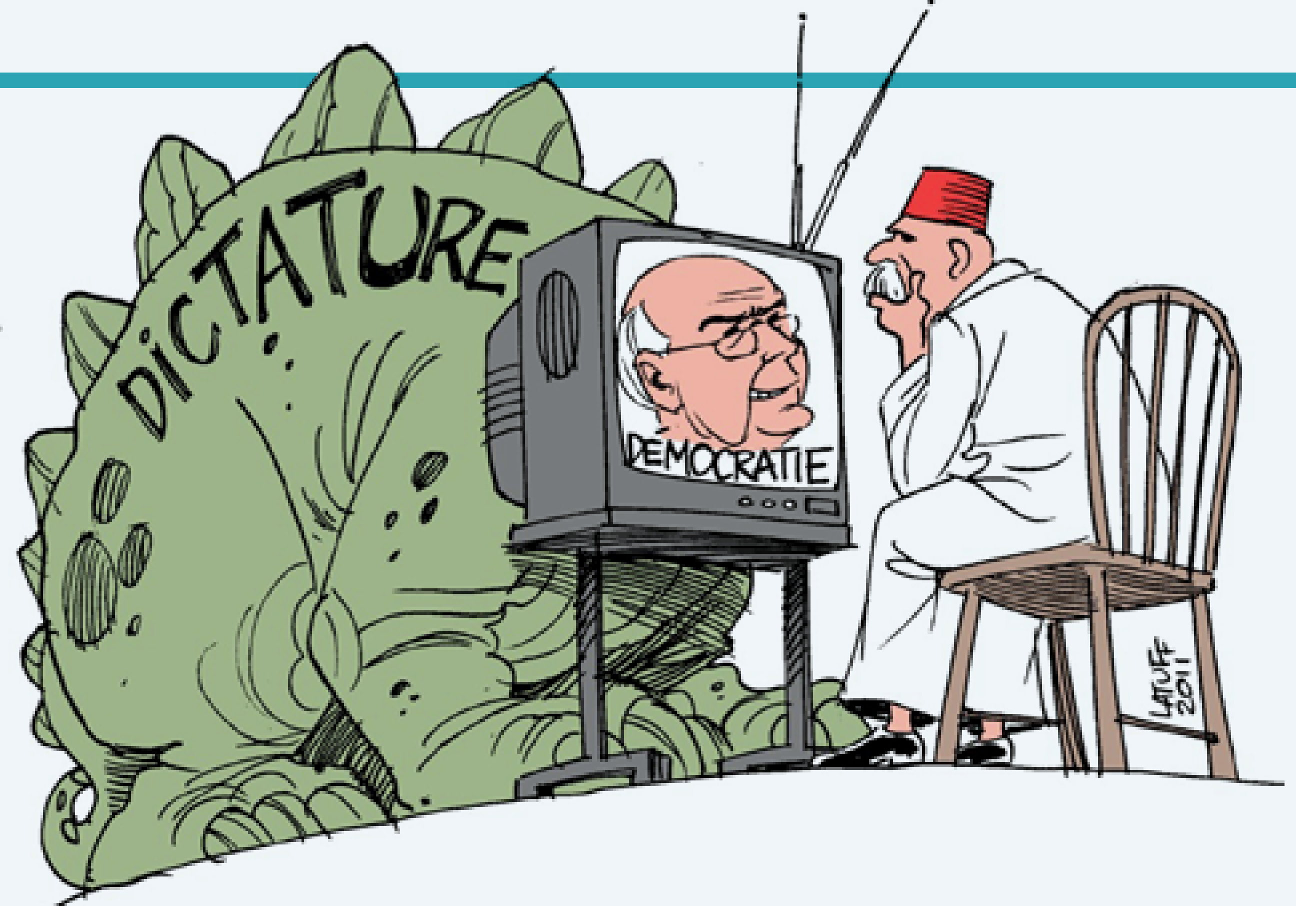
محسن العتيقي

يقال عن السياسة إنها فن الإبقاء على الدول، لكنها في خطابات الرؤساء العرب خلال هذا العام الثوري أسدلت ستارها البلاغي، فلم يعد خطاب الديكتاتور فناً للإبقاء على كرسي.. وكما هو واقع هذا «الفن» فقد أهمل محرروه منذ البداية، أنهم يخاطبون جيلاً لم يترعرع في كنف البلاغة الديوانية، وإنما في وطن مفترض لما أراده واقعياً نزل إليه بلغته، مؤسساً لإعلام مواطن أكثر من غيره تحرياً عن الخراب، وقد نقل للعالم بأسره مسلسل سقف المطالب السياسية، وهو يتصاعد في ميادين الربيع العربي عبر شعارات مختصرة، تكتب للتاريخ عناوين كبيرة، وثورات لم ينفع معها التنويم المغناطيسي في خطاب رئاسي، يُنظر لإصلاح ركيك فات أوانه.

فشلت الدولة التليفزيونية، ومعها الرئيس المتلفز، والمؤسسات المريضة بعدوى الإنشاء العسكري، فشل الجميع في تحديث الخطاب، ونجح الثائرون في تحيين المواطنة وتعميم أخلاق الإرادة. فشل حسني مبارك في التوفيق بين اقتناعه «الثابت الذي لا يتزعزع بمواصلة الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي، من أجل مجتمع مصري حر وديموقراطي يحتضن قيم العصر وينفتح على العالم»، وبين استعمال الجمال والرصاص الحي. ولأن الرئيس عول أخيراً على بلاغة المشاعر وعز في نفسه «ما قضاه من سنين طويلة في خدمة مصر وشعبها»، ويحز في نفسه ما يلاقيه «من بعض أبناء وطنه»، هتف المصري «أحلف بسماها وبترابها.. مبارك هو اللي خربها». ومن قبل كذّب زين العابدين بنعلي نداءات الكادحين في سيدي بوزيد ووصفها بـ «شعارات اليأس الكاذبة وافتعال أخبار زائفة استغلت بدون أخلاق» بل وتخيلها «أعمالاً إرهابية لا يمكن السكوت عنها»، لكن التونسيين لم يصمتوا فرددوا شعارهم «التشغيل استحقاق، يا عصابة السراق»، «خبز وماء، طرابلسية لا»، كما لم تنطل على وعي الثائرين تلاوة الإصلاح المنسي في رفوف الفساد، ولم تراوغ فطنته بلاغة بورتريه الرئيس على الطريقة الديغولية «أنا فهمتكم، فهمت الجميع... حزني وألمي كبيران لأني أمضيت أكثر من 50 سنة من عمري في خدمة تونس في مختلف المواقع من الجيش الوطني إلى المسؤوليات المختلفة و23 سنة على رأس الدولة، كل يوم من حياتي كان وما زال لخدمة البلاد وقدمت التضحيات لا داعي لتعدادها»، ثم استمر عداد قمع البلاد والعباد ولم يتوقف فكان داعياً لشعار «اعتصام اعتصام، حتى يسقط النظام».

أما علي عبد الله صالح القائل في قومه بأن من «يحكم اليمن يرقص على رؤوس الثعابين» و«هذا مخطط أجنبي هذا المخطط ما يجري في الوطن العربي..»، وأنه هو «الذي حقق وحدة ومنجزات اليمن..» يردف حين يدوخه الرقص فوق رؤوس الثعابين!: «الذي طالب علي عبد الله صالح أن يرحل، سيرحل على الرحب والسعة، سيرحل اليوم قبل الغد ما في مشكلة، بس يترك ديموقراطية»، ولما يقلب لسانه العربية رأساً على عقب، مثلما قلب اليمن وتركها بلا دولة.. يردد اليمنيون شعار «يا علي سلم سلم نشتي رئيس متعلم». ولا شك أن حالة التكرار والتشابه سمة خطابات هذه الأنظمة تجاه المتظاهرين، لذلك لم تجد شعارات كثيرة ما يمنعها من الترديد وانتقال مضمونها من ثورة إلى أخرى، فنجد الشعار المصري «يا جمال قول لأبوك، الشعب المصري بيكرهوك» يردد في اليمن «احماده قل لبوك الشعب كله يكرهوك»، وهنا أسقط، باستيراد الشعار، والأمثلة كثيرة، الخطاب المزعوم عن فرادة واختلاف هذا النظام عن ذاك، وما الشعار الجامع «الشعب يريد إسقاط النظام» إلا عين الأمانة في انتفاء الزعم.

والقول في خطابات معمر القذافي فيه من جنون الدال والمدلول ما نزع عنه صفة العقل شكلاً ومنطوقاً، كما لم يصح قول العرب قديماً «لا تستشيروا كثير القعود مع النساء!» بقدر ما صح فيه، فهو «المقاتل المجاهد المناضل الثائر، من الخيمة من البادية، وتعبت معه القرى والمدن والواحات في ثورة



تاريخية جابت الأمجاد لليبيين..»، أما أسطوانة المؤامرات فعلى طريقته: «من هؤلاء المأجورين مدفوع لهم الثمن من المخابرات الخارجية.. نحن أجدر بليبيا من أولئك الجرذان والمأجورين..» وكان هجاء ملك ملوك إفريقيا لليبيين يقابله شعار من ذاكرة مجدهم الحقيقي الذي لم تستطع أسطورة العقيد الدامية محوها من عروقهم لا زنقة زنقة ولا دار دار، فصاحوا «نحن أبناء عمر المختار ولدنا لنكون أحرار». ومن الخيمة كذلك خرج سيف الإسلام أعوج بخطابه «احنا دولة خاصة مش زي الثانيين ليبيا مش تونس ومصر» متوعداً بحرب أهلية فصح خطاب الخصوصية بتدخل خارجي حين لم ينفع مع خطاب الحمقى شعار سلمي، ذلك أن الأحمق إذا تكلم بالصواب الجيد يجيء بالخطأ الفاحش وهنا ما كان من خطاب الدولة الخاصة!

إجمالاً، لم يكن تطويق الخطاب الرسمي بالشعارات عشوائياً، وإنما بمواعيد على مقاس الخيبة عند كل خطاب رسمي. ردد كل شعار بياناً في جملة تنبع من لغة الرأي العام وآلامه، فأكسبه انتشاراً آنياً وقوة تحريضية. وقد عكست المظاهرات وعياً حضارياً ينم عن تمسك جماهيري بتاريخ البلاد ورموزها ووحدتها الوطنية. كلمات رددتها الألسن عالياً ولافتات رفعت بكل انتشاء لتروي تعطش الأفراد لقيم الحق الإنساني، مع التأكيد على سلمية السلوك وحياده عن أي انتماء أيديولوجي. كما لم تخل الكلمات من خفة وطرافة ساخرة من خطاب النظام، وليس أبلغ إسقاط له من: «عفواً مبارك لقد نفد رصيدكم».

ومن إسقاط نظام إلى ترميمه تحت ضغط الشارع، لدى الشعوب العربية بعد انطلاق ثورتها مكتسب لغوي جريء مازال يعمم من يوم لآخر على امتداد الشعارات، التخلص من الخوف أكسب المواطنين مناعة صريحة تؤسس لمضاد حيوي في مواجهة أي خطاب ملتو، أو سم دستوري؛ فبسقوط الخوف أصيب نصف قرن من الكذب السياسي بجلطة أمام صدق شعارات الثائرين، ولم يعد بحوزة الشعوب الآن ومستقبلاً، مزيد من الصبر والسماح بالضجر السرمدي في دواوين الخطابة المدمنة على ذريعة الديموقراطية، والسلام والتنمية والصالح العام... في تونس إلى مصر واليمن، ومن في قاعة الانتظار، ألقت إرادة الجماهير الخطاب الرسمي أمام هيئة قضائية من عامة الناس توازن قوتها باختصار الخطاب: الشعب يريد إسقاط الفساد، الشعب يريد إسقاط النظام.. في مقابل خطاب، بمفرداته الألف، يحيك فساده ببث الضجر والمناورة كي يقول بدم سياسي ثقيل ودم آخر مسفوك هنا ما يريده النظام. خطاب النظام.. نظام الخطاب، كما قال محمود درويش، وجد أفق انتظار الشعب يخاطب الحائك بصريح العبارة ليس عندك صواب في فعال ولا مقال.. فارحل.

> بسقوط الخوف أصيب نصف قرن من الكذب السياسي بجلطة أمام صدق شعارات الثائرين

بلاغة صالح

حبيب عبدالرب سروري - اليمن

تحليلُ الخطابات الاستطرادية المباشرة للطغاة العرب (لاسيما بعد أن أجبروا على الإسفاف المباشر أمام الجماهير العربية بفعل ربيع ثوراتها، مما جعلهم يرددون عبارات مرتبكةً خائفةً مدهشة مثل: «زنجة زنجة!»، «فاتكم القطار!»، «فهمتكم!» أثارت سخرية المواطن العربي من المحيط إلى الخليج) أمرٌ يهم كثيراً علماء اللغة والنفس والاجتماع والانثروبولوجيا. خاصة بعد أن تراكمت مادةٌ غنيّةٌ تسمح بفكِّ شيفرات تركيب أولئك الطغاة وسلوكياتهم الخفيّة، شريطة الكشف عن آليات وقواعد نحو لغة لاوعيهم المغلّقة ومنطقها العام، وما تريد توصيله للناس في كل خطاب.

ليس صعباً فك شيفرات خطاب الرئيس اليمني علي عبدالله صالح، لأن له قاعدة خطابية رئيسية ثابتة منذ 33 عاماً، يجيد أداءها بهدوء ودون خجل: الدجل الكليّ الخالص وقول العكس الكامل لما يريده أو لما ينوي أن يحدث فعلاً!.

عبارتان، قبل توليه السلطة بقليل، وبعد خروجه منها بيومين إن كان قد خرج منها فعلاً، تشرحان ذلك بكل جلاء:

«أتمنى أن أحكم اليمن أسبوعاً واحداً فقط»، ردّد صالح (كما نقل عنه بعض من عرفوه قبل أكثر من 33 عاماً) عقب دوره الشهير في قتل الرئيس إبراهيم الحمدي، صاحب مشروع التحديث، في 1977.

أسبوع الزاهد عن السلطة تحوّل إلى أكثر من 33 عاماً من تشبُّث جنونيٍّ بها لم ينتهِ بعدُ حتى كتابة هذه السطور.

وبعدما اضطر للتوقيع على مبادرة مجلس التعاون الخليجي بيومين فقط (بعد تهرّب يوميّ ومماطلة فاقت مماطلة عادل إمامٍ في مسرحية: «الزعيم») قال في اجتماع لحزبه الحاكم هذه العبارة (بعد أن نظفتُها من الأخطاء اللغوية): «كان من المفترض أن توقع هذه الاتفاقية في وقت مبكر ولكن للأسف الشديد كانت هناك مماطلة من قبل بعض الأطراف، حيث كان من المفترض عليهم توقيعها في وقت مبكر لنخرج من الأزمة المستفحلة في الوطن والتي ألحقت ضرراً فادحاً في مجال التنمية، في المجال الاجتماعي والثقافي والسياسي، وفي شتى المجالات».

لم يكن يمزح!... يصعب أن يقول الإنسان كذباً خالصاً أكثر وقاحة!..

غير أن ما يميّز لغة أكذوبات صالح بعد اندلاع ربيع الثورة اليمنية (التي أجبرته على الحديث شبه اليومي في خطابات مباشرة، متوترة أحياناً، كان خلالها أشبه بنصف سكران) أنه صار لا يبذل جهداً في أن يصدّقه الآخرون كما كان حال خطاباته القديمة.

في الحقيقة، كانت أكذوبات صالح قبل هذه الثورة مخرَجة بدهاء، أشبه بشفرات لا يلاحظها إلا القليلون ولا يبدو كذبها جليّاً للعامة في الغالب. أجاد على سبيل المثال التطبيق الحرفيّ لمبدأ «اقتل الخصم وامش في جنازته» الذي مارسه دوماً بمكر ومهارةٍ مسرحيّة فائقة عند تخلصه منَ أبرز خصومه السياسيين.

كان يكفي أن يسبّ الفساد ونهب الأراضي في خطاب ما ليلاحظ بعضُ المراقبين ازدياد نَهب الأراضي اليمنية من قبل ذويه وعصابته بعد الخطاب مباشرة، وكأنّ هناك شيفرة وكلمة سرٍّ تمهيدية بينه وبينهم: اعملوا دوماً عكس ما أقول!.

كان يكفي، كمثَل آخر، أن يدّوي في خطاباته منذ 2006: «سنولّد الكهرباء بالطاقة النوويّة» ليظلّ كثيرٌ من السانجين يصدّقون هذا الوعد، رغم تواتر انقطاع الكهرباء في اليمن أكثر فأكثر من عام لعام. وعندما عاقب الناس بقطع الكهربَاء بعد اندلاع ثورتهم، اضطرهم إلى الاستضاءة بالشمع، أو بـ«الشمع النووي»، كما أطلق ظرفاء الثورة للتنكير بذلك الوعد.

كان يكفي أن يَعِد في خطاباته منذ 2006 ببناء سكةَ حديدية في اليمن ليصدّقَهُ البعض، وليحلموا ليل نهار بأوّل قطار يعبر اليمن، قبل أن يسمعوه يردّد أمامهم دون خجل عبارته الشهيرة: «فاتكم القطار! فاتكم القطار!..».

أما موضوع بلاغة خطاب صالح وأسلوبه اللغوي فهو حديثٌ ذو شجون، يجعل أكثر من مثقف يمني يبكي خجلاً ومرارة من مدى جهل رئيسه لأدنى قواعد اللغة وأبسط معاني الكلمات.

يصعب في الحقيقة أن يوجد رئيسٌ كصالح تعكس بلاغتُه كراهيتَهُ المفرطة للثقافة والتعليم. لعله الرئيس العربي



الوحيد الذي لم يحرص على تعليم أولاده (جميعهم عسكريون بلا مؤهلات يسيطرون بشراسة على أهم قيادات الدفاع والأمن في اليمن)، ولم يكلف نفسه حتّى منحهم شهادات علمية ملفّقة أسوةً ببعض أبناء الطغاة العرب، من فرط احتقاره للتعليم كما يبدو.

يكفي الإصغاء له لإدراك مدى المصيبة. إذ هو الرئيس الوحيد الذي لا يعرف الفرق بين مدلولي كلمتي «لم» و«لن»: يستخدم دوماً «لن»، التي تنفي الفعل المضارع في المستقبل، بدلاً من «لم» التي تنفيه في الماضي!.

ألا يُكثِّفُ ذلك، بشكلٍ رمزيٍّ شديدِ التعبيرية، كيف وحّدَ صالح الماضي والمستقبل اليمني، أي كيف جمّد الزمن اليمني، ماضيه ومستقبله، في حاضر متخلف دام 33 عاماً، أسماه مع ذلكَ في حملته الانتخابية في 2006: «اليمن الجديد»؟.

ثمّة حادثةٌ شهيرة يرددها اليمنيون كثيراً تُلخِّصُ علاقة صالح الشهيرة بثنائية «لم» و«لن» أفضل تلخيص:

سألت منيعةٌ عربيّةٌ صالح، أثناء مفاوضاته السريّة مع المملكة السعودية حول حدودها مع اليمن، في ثمانينيات القرن المنصرم:

- سمعنا أنكم ذهبتم سرّاً للسعودية لمناقشة الاختلافات حول الحدود؟

- لا، لن أذهب!، ردّ صالح...

- لم أم لن يا فخامة الرئيس؟، سألته المنيعة...

- لم ولن (في نفس الوقت)!، ردّ صالح بابتسامةٍ وبريقٍ في العينين، وكأنه أفعمها بشطارته...

يُجلي ردُّه الأخير هنا، بتركيز شديد، طريقته في الحديث الذي يمارسه بنفس «البلطجة» التي يمارس بها سياساته: لا توقفه أية فرامل أثناء الحديث. لا يخطر بباله أن هناك مدلولات قاموسية وقواعد نحوية بدائية يلزم احترامها عند الكلام... يعتقد أنه يكفي دوماً ممارسة نفس الشطارة حتى في اللغة، أي نفس السطو والفضاضة والمزاحمة والعشوائية والاستغباء في كل الاتجاهات!.

من يصغي لصالح وهو يلقي خطاباته يلاحظ مثلاً أنه لا «يُسكِّن لِيسلم» أثناء الحديث، شأن الكثيرين من ناطقي العربية. ينصب غالباً، واثقاً من نفسه. ينصب، ينصب.. ينصب الكلمات، في كل الاتجاهات، من تعوّد على النصب والنهب اليومي!.. أما الحديث عن احترامه لقواعد تشكيل «جمع المذكر السالم» وغيرها من أوليات نحوِ اللغة العربية فذلك ترف شديدٌ في حَالة فخامة الرئيس اليمني الذي لا يجهلها فقط، ولكنه يجهل أنه يجهلها، وذلك أسوأ المصائب، كما يقول الحديث الشريف!.

لإدراك مدى الفضيحة (التي يتحمل مسؤوليتها الكثير من المثقفين والسياسيين ممن مارسوا حمل المباخر ومسح الأحذية لمخلوق كهذا) يكفي ملاحظة أن صالح، أو «الرّئيس المثقف» كما أسماه ذات يوم رئيس تحرير صحيفة ثقافية يمنيّة، نال أكثر من «دكتوراه فخريّة» من جامعة يمنية!.. لا أعرف كيف يمكن أن تكون جامعات كهذه لها علاقةٌ ما بنشر العلم والمعرفة!.

الأسوأ ربما: يُعتبَرُ صالح شاعراً يمنيّاً رسميّاً كبيراً له «معلّقات شعرية» تمّ تلحينها وأداؤها كسيمفونيات في الأعياد الوطنية، لم (أو «لن»، كما يقول الشاعر) يتلكأ أدباء ونقاد يمنيّون معروفون عن مدحها، وعقد الندوات الفكرية حول قائلها، «الشاعر المشير الرئيس الأب»، كما يسمّونه. شعارهم في ذلك ما قاله أحد شعراء الصعاليك وهو يمدح نفسه:

وللهِ درّ فتىً عارفاً
يجاري الزمان على فطرته
يواسي الفقير بإحسانه
ويرقص للقرد في دولته

بين رقصهم في دولة القرد، على إيقاع رقص القرد «على رؤوس الثعابين» (حسب الاستعارة الحميَريّة القديمة، التي استخدمها صالح، بفضل مستشاريه، لوصف ما يعني حكم اليمن خلال عدة عقود) ماتت اليمن «بصندوق وضّاحٍ بلا ثمنٍ، ولم يمت في حشاها العشقُ والطربُ»، كما قال شاعر اليمن العظيم عبدالله البردوني الذي لا ينتمي لسلالة من يجيدون مراقصة رئيسٍ لا يعرف التمييز بين «لم» و«لن».

أنا الرئيس ولست آمر الجند!

بين اللغو والبلاغة

مايا شكر الله -دمشق

يتوسّل السياسيّ من طريق اللغة، إحكامَ سيطرته على حضور صورته في وجدان من يسوسهم، سواءٌ أتوجه إليهم عبر خطاب متلفز أو عبر مقابلة صحفية. وفي الحالين، لا يُؤخذ السياسيّ على حين غرة، فهو الذي حضّر كلماته وراجعها جيداً، واحتاط لأكثر من سؤالٍ غير متوقع، قلّب احتمالات الأسئلة، وحدّق في مذاهب التأويل والتفسير التي قد تعطي كلماته معنىً خارج السيطرة وغير مقصود، كما لو أنّه يقفل باب حريّة التلقي والفهم. فالأصل أن السياسيّ تدرّب على استعمال اللغة بما فيها من وظائف محدّدة؛ التعبير، والإخبار، والتواصل، والإقناع، وغيرها، على نحو يكفل له تلميع طلعته البهيّة، في مرآته أغلب الأحيان، إذ إن مرآة المتلقي لن تعكس الطلعة البهيّة لديكتاتور مثلاً، بل طلعة مقيتة لشخص يخال نفسه بليغاً وهو أبعد ما يكون من البلاغة، وأدنى ما يكون إلى اللغو.

ليس هذا فحسب، بل إن السياسيّ الذي يدرك جيداً أن لا سياسة من دون لغة، يظنّ أن طريقته في التعبير وانتقاء الألفاظ واستدراك الكلام وتصحيحه، تعطي خطابه صدقيّةً، إذ إن الإقناع، كأحد وظائف اللغة، يُسخَّر من أجل رفع مبدأ التصديق؛ فما يقوله السياسيّ هو الصدق بعينه، كلامه هو الحقيقة. وكلما استطاع سبيلاً، يزيد السياسي من ذلك، حدّ إنه لا يتوانى عن رفد خطابه بهالة المقدّس.

من هنا يبدو الكلام المزيّن -بتواتر لا نهائي- بـ «إلى الأبد» في سوريّة، مثالاً عن التوّهم الذي يحيط بتفكير السياسيّ: الرغبة بمقارعة التاريخ، وإجباره على تدوين كلمات يظنّها صاحبها بليغةً، وفي مرتبة لا يرقى إليها شكّ، كأنّها المقدّس الذي لا يفنى.

بيد أن اللغة، وإن تصرّفتْ للبلاغيين والشعراء والأدباء وغيرهم، تتلكأ عند باب الرئيس، فالأمر أبعد من انتقاء كلمات بعينها، لأن سياق الكلمات يحمل في طياته مشكلة «بنيوية» لدى السياسيّ -إن جاز التعبير-، فالسياق يعني علاقة المعنى بزمن محدّد، فكيفَ تتّسق كلمات من قرّر سَلفاً أن يملي كلماته على التاريخ كي يدوّنها قسراً ويحفظها؟ هالة المقدّس التي تشف من كلمات السياسيّ، تتبخّر ما إن يمرّ التاريخ بمكره المعهود: إن أحداً لا يملي على التاريخ! وثمة فرق واضح بين اللغو والبلاغة.

أثارتْ مقابلة الرئيس، مع بربارا والترز لصالح محطة إي بي سي نيوز

الأميركية مؤخراً، كثيراً من الضجّة لأسباب متعدّدة منها : يحق للإعلام في سياق الدعاية والسبق الصحفي، أن ينتقي ويختصر ويقتطع من كلمات الرئيس، وأن يبثّ جزءاً من المقابلة وفقاً للزمن المحدّد في برنامج إيقاعه سريعٌ يناسب عصرنا. ومنها : الضوء مسلّط على خطاب الرئيس، وبصورة أدقّ مسلّط على حضور صورته سواءٌ أكان ذلك في الإعلام الغربي – وهو المتلقي المقصود من قبل الرئيس- أم في وجدان شعبه أي المتلقي المغْفَل المقصيّ.

ركّز الإعلام الغربي ونقل عنه الإعلام العربي، على سؤال بربارا للرئيس :«حسناً، في بداية تلك التظاهرات خرجت النساء والأطفال يحملون أغصان الزيتون، ولم يكنْ أحدٌ يدعو إلى إسقاطك. الأمور قد تطوّرتْ منذ ذلك الحين. هل تعتقد أن قواتك بالغت بالقمع؟»، وعلى «تصحيح» الرئيس : «هي ليستْ قواتي. هذه قوات عسكريّة تابعة للحكومة». فأجابته والترز :«حسناً، ولكنك أنتَ الحكومة. فـ«صحح» لها الرئيس ثانيةً :«أنا لا أمتلكهم، أنا الرئيس. أنا لا أمتلك الدولة وهذه ليستْ قواتي».

قرأ المحللون السياسيون غرباً وعرباً، كلام الرئيس هنا، باعتباره تنصّلاً من المسؤولية، وإنكاراً للواقع، وفسّروا كلامه من خلال معنى كامنٍ يقول إن الرئيس قاب قوسين أو أدنىً من التخلّي عن أعوانه في الجريمة، وتقديمهم كبش فداءٍ ضمن صفقة ما، تضمن له أن ينأى بنفسه عن عواقب انتهاكه الفظيع والمروّع لحياة شعب مسالم خرج إلى الطرقات في ثورةٌ استثنائية بأكثر المقاييس تحيّزاً.

قراءة المحللين السياسيين تأخذ من الجانب اللغويّ قشرته لا لبّه، إذ إنها بُنيتْ على الضمير «التائه» بين الصحافية والرئيس؛ يتصل به في سؤال الصحافية (قواتك)، وينفصل عنه في الجواب (ليست قواتي). الأمر الذي زيّن للناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية (جهاد مقدسي)، أن الأمر يحتاج تدقيقاً لغوياً فحسب، فأعاد بثّ الشريط ضمن مؤتمر صحافي، ولفتْ الانتباه إلى الضمير «التائه»، واهماً أن اجتزاء كلام الرئيس –الذي حضّر نفسه جيداً - دليلٌ إضافيٌ عن مؤامرة متشعبة الأطراف والأعوان، تتنزه وتسرح وتمرح في سورية. ويبدو أن مهمّة «تصحيح» فهم المتلقي لكلام الرئيس، احتاجت من الردود الرسمية ثلاثة، وهي كلّها تدور في فلك تفسير الماء بالماء.

فما المعنى الكامن وراء كلام الرئيس لغوياً، بعيداً من التحليل السياسيّ؟ وبصورة أدقّ ما السياق هنا؟ ماذا تستبطن كلمات الرئيس من المعاني؟. سياق الكلام معروفٌ موصوفٌ : شعبٌ يُذبح بيد قوات عسكرية وأمنية، وهو محرّك سؤال الصحافية. أما جواب الرئيس فيستبطن إنكاراً ونفياً لصورته كرجلٍ عسكري يصدر الأوامر للقوات العسكرية بقتلِ الناس، الأمر الذي يظهر جلياً في جوابه الثاني: «أنا الرئيس»، فمن خلال الجواب تشفّ صورة رجل مدني لا عسكريّ، يشتهي الرئيس إقناع المتلقي بها.

يظنّ الرئيس أن ضمير الأنا، يكفلُ صدقيّةً لكلامه، مثلما يظنّ أن «مهارته» في التدقيق اللغوي وإعادة الضمير «التائه» إلى جادة الصواب، ينمّ عن مهارة وبلاغة. لكن اللغة أمكر من أن يقسرها على الامتثال لصورته المدينية المصطنعة: «أنا الرئيس». ففي سياق مختلف في المقابلة نفسها، تسأل الصحافية الرئيس عن ملابسات وجوده في كرسي الحكم، بعد وفاة والده، حيث ينكر الرئيس أن يكون ذلك تنفيذاً لرغبة والده، فتسأل والترز: «إذاً ومع كل الاحترام أنت طبيب ومختص في طبّ العيون...كيف أصبحت قائداً لهذه الدولة؟». وبكلام آخر، يبطن النصف الأول من سؤال والترز قبولاً بصورة «المدني» التي رسمها الرئيس لنفسه من خلال إنكاره المسؤولية عمّا قامت به القوات العسكرية. بيد أن جواب الرئيس يجيء مفاجئاً، فقد مكرتْ اللغة به ورسمت صورته الحقيقية: «أنا كنتُ طبيباً عسكريّاً، حتّى عندما كنتُ في لندن، كنتُ طبيباً عسكرياً. هم أرسلوني إلى لندن وليس وزارة التعليم العالي على سبيل المثال أو أي شيء أو أي جامعة. وأنا كنتُ في الجيش منذ العام 1985، منذ كنتُ طالباً في المدرسة، أناس قليلون يعلمون بهذا. أنا لم أكن طبيباً مدنياً». الرئيس ليس مدنياً إذاً، بل عسكريّاً. ولو انتبهتْ والترز للمعنى الكامن في كلام الرئيس، لوّفرت على جهاد مقدسي اجتهاده في التدقيق اللغوي وتصحيح كلام الرئيس، ولعرفت من المسؤول عن القتل.

المفارقة أن الرئيس الذي قرّر مقارعة التاريخ وقسره على تدوين لغو الكلام (سورية بخير، سورية الله حاميها.. الخ)، من خلال تدريبه على قراءة اليافطات الزاخرة بعبارات مماثلة، لم يستطع أن يحافظ على سياق كلامه في مدة زمنية قصيرة كهذه المقابلة الصحافية.

ومقابل هذا اللغو، تبرز بلاغة الشعب من خلال الشعارات البسيطة المتناغمة مع الموسيقى الشعبية، الشعارات التي تنبثق من الوجدان الجماعي : «ما في للأبد، ما في للأبد.. عاشت سورية ويسقط الأسد». فالبلاغة ليست في انتقاء لفظ، ولا في تخيّر الكلمات المناسبة، البلاغة تكون في انسجام المعاني مع سياقها، وفي انسجام المعاني مع صورة قائليها، كي تؤدّي اللغة وظيفتها في التعبير عنهم، وعمّا هو إنساني وعميق. شيءٌ يلمع تحت الشعار البسيط، لا يدرك كنهَه إلا النكّي الذي يصغي إلى وجدان الشعوب، ويحفّ به إلهامٌ ما، فيقتبس من الناس، ويشكّل من كلماتهم ما سيجعله روائياً متميّزاً أو شاعراً عظيماً. لأنّ صيد الأدب الرفيع يكون وفيراً حين ينتبه الأديب إلى الوجدان الجماعي : لبّ البلاغة. أما التاريخ، فيسخر من لغو الكلام، ويدوّن البليغ منه، ولا مفاجأة في أن يقتبس من الوجدان الجماعي : «لا أحد إلى الأبد».



جمهوريّة «اللّه غالب»

سعيد خطيبي

تقول النكتة إن مواطناً بسيطاً سأل الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة يوما: «سيدي الرئيس، إن علم العراق يحمل عبارة الله أكبر وعلم السّعودية يحمل الشـهادتين، فمـاذا نكتب نحن علـى علم الجزائر؟». لـم يجد الرئيس جوابـاً، فـردّ مسـتغرباً: «هـل لديك اقتراح؟». أجابـه المواطن: «نعم! نكتب عليـه عبارة الله غالـب!». فهذا أصدق تعبيـر عـن الحالـة الجزائرية حيث يتعمّق الشرخ، سنة بعد الأخرى، بين ضيق أفق الطبقـة الحاكمة من جهة، واتسـاع تطلعات الطبقات الشـعبية مـن جهة أخرى. فالواقع لا يسـتجيب للوعـود التي أنهكت مخيّلة الشـعب، وخطابات الرئيـس بوتفليقة صارت غير مقنعة. كما أن منهج الإصلاحات التي تغنى بها طويلاً بات غير فعال.. بعد مرور أكثر من اثنتي عشـرة سنة على توليه زمام الحكم، صارت كلمات الرئيـس بوتفليقة تتيه بحثاً عن آذان صاغية.

صعوبة التّحكم في اللغة العربية وتفرنس لسان كثير من الساسة، وكبار المسؤولين الساميين في الدولة، شكلا طويلاً مواضيع نكت يتبادلها الجزائريون في ما بينهم. يتذكر الكثيرون أخطاء وزير التربية الوطنية أبو بكر بن بوزيد، الذي يشغل المنصب نفسه منذ حوالي الست عشرة سنة، ركاكة وزيرة الثقافة الحالية، وسقطات وزير الداخلية الأسبق نورالدين يزيدزرهوني. اليوم، صارت بلاد المليون ونصف المليون شهيد لا تشتكي فقط مكابدات لغة الضاد على لسان بعض الوزراء، بل تنعي حالها أمام تمادي قاضي البلاد الأول ورئيس الجمهورية الحالي، الذي نال حظوة إتقان العربية، في الإسراف في توظيف المحسنات البديعية، وإغراق مسامع المواطنين في خطابات تستمد مادتها من لغة الحماسة المجانية، المستوردة من قرون العرب الخالية.

«لغة الخشب لن تساعد على اندمال الجرح» يقول الرئيس الفرنسي الأسبق فاليري جيسكار. لكنها في الجزائر تحوّلت، مع الوقت، إلى مضاد حيوي للغليان الاجتماعي، وصارت تزاحم اللّغتين الوطنيتين: العربية والأمازيغية. منذ 1999، صار الجزائري يفقه مفردات «الإنشاء» ومساحات «اللعب بالكلمات» في خطابات بوتفليقة. فلما يشبه الرئيس نفسه بالفيلسوف فولتير (1694 - 1778) ويقول في واحد من خطاباته: «ربما لا أتفق معك، لكنني سأدافع، حتى آخر قطرة من دمي، على حريتك في التعبير» فهو يقصد ضمنياً حرية تعبير وسائل الإعلام الرسمية والجهات الحكومية. فالجزائر تعد واحداً من آخر البلدان العربية حيث يمنع فيها إنشاء تليفزيونات وإذاعات مستقلة. كما أن الصحافة المكتوبة فيها تعيش «كبتاً» وتضييقاً ورقابة. ولما يخاطب الشباب قائلاً بصوت عال: «يا شباب الجزائر أنتم مستودع أحلامنا وآمالنا» فهو يدرك جيداً أنها عبارة وقعت سهوا في الخطاب. الشباب الجزائري لن يلتفت لقوله لأنه تعب من الكلمات الجوفاء. فالسياسة التي يقودها فخامة الرئيس اصطدمت بإقبال الشباب على الهرب من البلد مهما كان الثمن. ففي مرحلته، عرفت نسبة الهجرة غير الشرعية صوب شواطئ إيطاليا وإسبانيا، وأرقام الشباب الذي يموت في عرض البحر، ارتفاعاً محسوساً. وفي مرحلته الرئاسية أيضاً صار الشباب يتداول أمثالاً مؤلمة من قبيل: «روما ولا أنتوما!» أو «يأكلوني الحوت ومايأكلونيش الدود!». كلمات الرئيس، التي تفيض حماسة، والمستمدة في جزء منها من قاموس خطابات الرئيس الأسبق هواري بومدين (1932 - 1978)، وحقبة الحلم الاشتراكي عشرية السبعينيات، لم يعد لها من الجمهور ومن المصفقين سوى القليل.

لما دخل بوتفليقة معترك الانتخابات الرئاسية (1999) وعد الجزائريين باستتباب الأمن، وما يزال، لغاية اليوم، الوضع غير مستقر تماماً، خصوصاً في الصحراء وفي منطقة القبائل. كما وعد أيضاً بتحسين الوضع الاقتصادي للبلد ورفع القدرة الشرائية للفرد، فانخفضت، بقدرة قادر، وفي وقت قياسي، أسعار الموز، على كامل تراب الجمهورية، من 800 دج (10 دولار) إلى 80 دج، وصار الموز متوافراً على موائد كل البيوت، بالموازاة مع تسجيل ارتفاع مضطرب في أسعار المواد الاستهلاكية الأساسية، وفي مستويات البطالة والفقر. مع ذلك فقد ظل فخامة الرئيس يردد: «الجزائر وما أدراك ما الجزائر».

> صعوبة التّحكم في اللغة العربية وتفرنس لسان كثير من الساسة، وكبار المسؤولين الساميين في الدولة، شكلا طويلاً مواضيع نكت يتبادلها الجزائريون في ما بينهم

الرئيس بومدين، الذي يستمد منه بوتفليقة كريزما وحضوراً سياسياً، صرح في خطاب له: «من القيم التي ضاعت بعد الاستقلال هي تغليب مصلحة الفرد على مصلحة الشعب». في إشارة منه إلى بدايات انتشار الفساد في البلد. وهي وضعية عجزت أجهزة الدولة في صدها. وصار الرئيس يتفادى الحديث عنها. فالفساد والرشوة هما شعاران رسميان في يوميات الجزائر. وبغية تناسيهما يخاطب بوتفليقة الشعب قائلا: «أنتم من أكثر الشعوب شجاعة». ماذا تفعل الشجاعة في غياب التسيير الراشد واختلال موازين العدالة الاجتماعية؟

في خطابه الأخير (15 إبريل/ نيسان 2011) ظهر الرئيس بوتفليقة بملامح متعبة. حيث دارت، في الأسابيع الأخيرة، شائعات كثيرة عن حالته الصحية. الربيع العربي، ثورتا الجارتين تونس وليبيا، والحركة الاحتجاجية في المغرب ألقت وما تزال تلقي بظلالها على الوضع في الداخل، فبعدما استنفد الرئيس، طيلة العشرية الماضية، جزءاً مهماً من قاموس الإنشاء والحماسة في الخطابات السياسية العربية، ما يزال جزائريون كثر ينتظرون خرجته الجديدة، وكلمته المقبلة، ليخاطبهم على طريقة الرئيس التونسي الأسبق زين العادين بن علي ويقول مودعاً: «لقد فهمتكم!».

هذا ليس إنشاء

جهاد بزي -لبنان

ليس إنشاءً، هذا الذي يدلي به الساسة اللبنانيون كل يوم.

الإنشاء المدرسي هو أول أشكال تعبيرنا عن أفكارنا، بطريقة منظمة، بمقدمة وصلب موضوع وخاتمة. إذا اعتمدتُ التسميات التي تعلمتها في مدرستي، والتي قد تختلف من مدرسة إلى أخرى، ومن بلد عربي إلى آخر.

الخلل يبدأ من هنا. من اتهام كل كتابة أو كلام، بلا طائل، بأنهما مجرد «إنشاء»، وهو النوع الكتابي الأول والأحلى والمظلوم دائماً إذ يرمى به كل ما هو لغو.

واللغو، تحديداً، هو ما يمكن أن نصف به نشاط السياسيين اللبنانيين اليومي. عند كل غروب لشمس بيروت، يمكن تجميع تصريحات هؤلاء التي قالوها، أو أصدروها في بيانات أو قذفونا بها من فوق المنابر، ويمكن، تالياً ملء كتاب ضخم من عشرات آلاف الكلمات التي، ببساطة، لا تقول شيئاً.

هذه حالنا مع معظم السياسيين اللبنانيين، بغض النظر عن الطرف الذي ينتمون إليه، في البلد لم يطور مفاهيم حقيقية للديموقراطية وللحرية، وللحياة السياسية نفسها.

ثمة قاموس ضيق حد الاختناق، من كلمات وجمل محددة، يظن قائلوها أنه يمكنهم صوغ أية فكرة من خلال التشكيلات في تركيبها. ليست «المؤامرة» و«المخطط» و«تفتيت المنطقة» و«العميل»، من الألفاظ التي بطلت موضتها بالطبع. هي ما زالت مستخدمة بنجاح منقطع النظير، يضاف إليها تعابير استهلكت بسرعة خيالية نتيجة الكثرة المرعبة في الاستخدام، أشهرها: «الفوضى الخلّاقة»، و«الشرق الأوسط الجديد»، إضافة بالطبع إلى ذاك التعبير الذي بات يُدقّ في أي سياق

> **إذا ما وجه لهم السؤال عن القراءة لا يستحون من التفاخر بأن «السياسة تأخذ كل وقتهم»**

وأي عبارة للدلالة على حداثة المتحدث: «العالم بات قرية كونية صغيرة».

ليس إنشاءً، بل هو أشبه بتسجيل ينطلق عند الضغط على الزر الخفي في طبقة سياسية هي في معظمها من الدمى التي تدار من بضعة نافذين حقيقيين، من الزعماء أنفسهم، إلى القريبين منهم، المستشارين الأذكياء فعلاً، الذين يتفرجون على اللعبة السياسية من زاوية أكثر اتساعاً، ويجيدون، بل ويستمتعون باللعب بها.

هذه القلّة هي التي تحكي بالسياسة المجرّدة من كل ما تردده الدمى على مسامعنا. السياسة المصفاة من كل شائبة تتعلق بالأخلاق وبالمبادئ وبالوطنية وبالحرية وبالديموقراطية، وبالمصلحة العامة، وبكل ما إلى هنالك مما نسميه اصطلاحاً «الإنشاء»، وهو الأصل الذي يفرّغه مرددوه من كل ما يحيل إليه، فيصير كلاماً أجوف. وهذه القلة نفسها تحكي بلغتين: واحدة داخلية صريحة، وأخرى للعامة، لا تختلف في مضمونها، وفي شكلها، عما تقوله البقية، بل إن الصفوف الثانية وما بعدها تحفظ غيباً خطاب الصف الأول، لتوزعه نفسه في كل الاتجاهات.

والغالبية، إذ تردد بلا كلل السطور نفسها، يوماً بعد يوم، وعلى مدار السنة، فلأنها عاجزة عن الخروج عن هذا النص البليد الذي لا فكرة تلمع فيه، ولا موسيقى، ولا أدب، ولا شعر بالطبع (على عكس ما تتهم به الكثير من الخطابات) ولا جملة يمكن اقتطاعها والاحتفاظ بها لنسبها لاحقاً إلى صاحبها.

والأرجح أنهم يعرفون ماذا يقولون. لكن عبورهم إلى لغة جديدة يشبه عبور من لا يجيد السباحة من البر إلى المياه. خروجهم عن هذا النص المبسط التسطيحي الخصم فيه هو الشيطان، سيرميهم في محيط يعرفون سلفاً أنهم سيغرقون فيه. كما أنهم لا يثقون بجمهورهم، ويظنونه أقل ذكاء منهم على أقل تقدير، وهذا سقف متنٍ



بشدة، يمنعهم عن أي اجتهاد.

هم أصلاً ليسوا قرّاءً. القراءات الجدية ليست هواية السياسيين. ونادراً ما تجد واحداً يمكنه أن يعرف أسماء روائيين عالميين وعلماء اجتماع دفعة واحدة. هنا شبه مستحيل. لا يقرأون. وإذا ما ووجهوا بمثل هذا السؤال (عن القراءة) لا يستحون من التفاخر بأن «السياسة تأخذ كل وقتهم»، وهذه أيضاً من العبارات التي لا يمكن تفسيرها بأي حال من الأحوال. فما المعنى الفعلي لمثل هذا القول؟، وأي مدعاة للفخر بأن نائباً في البرلمان لا يجد وقتاً ليقرأ أو ليستمع إلى الموسيقى أو حتى ليتأمل في شجرة أو في عصفور، بينما يجد كل الوقت ليرصف كل هذا الحشو، مستعيناً بنفسه، أو أنكى، بكتبة يظنهم موهوبين، وهم على الأرجح أقل منه موهبة، في السياسة وفي الكتابة معاً.

قيل «إن فاقد الشيء لا يعطيه». و«الثبات على الموقف»، هو موقف يقع في أعلى مرتبة للفخر بالنفس عند السياسيين اللبنانيين، مع أنه أسهل ملاذ كي لا يشغل الواحد منهم باله، وهو موقف ليس من النباهة بشيء. بالثبات، لا يدور الكوكب حقاً، ولا تتغير سياسيات الدول ولا تتبدل، ولا يتقدم العالم، ولا تتطور المفاهيم، وتظل السنة كما هي، فصلاً واحداً مستمراً وأبدياً من ترداد منظومة العبارات التي يُدكّ بها المواطن دكاً، حيث الغرب هو الشر المطلق، وحيث المؤامرة ناجزة، وحيث أيضاً، وهنا تقع المفارقة العظمى، الانتصار لابد سيتحقق، وأن على «سايكس بيكو الجديد»، الآتي مع الثورات العربية، لا أحد يعرف كيف، أو على «الفوضى الخلّاقة» التي لا شك سترتد على مطلقها مضاعفة.. أو على «المؤامرة» التي بات ينبغي، كلما ذُكرت، إرفاقها بصوت «بووووو» من ذاك الذي يخيف الأطفال، أو بموسيقى تصويرية من تلك المبتذلة التي تحاول تضخيم عنصري الإثارة والغموض، في مشهد لا غموض فيه ولا إثارة.

وبالثبات على الأفكار وعلى الموقف وعلى الكلمات نفسها، نظل ندور في حلقة لا نهائية من المؤامرة المستمرة التي يقضي عليها الانتصار المستمر، وهي حلقة لن تسبب، لمن يؤمن بها ويتابع تفاصيلها المستديرة هذه، إلا غثياناً إن كان لا يحسد عليه، فهو بغنى عنه.

أما التحديات الحقيقية فأكثر تعقيداً من أن يخوض فيها مستسهلو الكلام هؤلاء، بل على العكس، يحاولون ما أمكنوا، طمسها. وهم، للأسف، ينجحون في مسعاهم، لأن الكثرة الرديئة تطمس في الغالب الندرة الجيدة.

هم لا يملّون طبعاً. وهم لا يخرجون عن النص، ليس تهذيباً، بل جبناً.. وإن خرجوا، فإلى التشاتم والعراك بالأيدي، وحادث السياسيَّيْن التليفزيوني ما زال طازجاً، لم يمل اللبنانيون بعد من التندر بمشاهده المضحكة.

ولأنهم كثر، لا قدرة للبنانيين على متابعتهم جميعاً، يومياً، لأنهم يحتاجون إلى عدد أكبر من ساعات اليوم. السياسيون يعلمون هنا، لكنهم على الأرجح يلعبون دوراً جماعياً. دعونا ننظر إلى هذه الفكرة على هذا النحو:

المطلوب منا، في موضوع الإنشاء، وصف شجرة. سنكتب عن شجرة كبيرة جذعها عظيم أغصانها ممتدة إلى السماء وأوراقها خضراء. وهي ملأى بالعصافير التي لا تكف عن الزقزقة طوال الوقت، بحيث أننا لا يمكن إلا أن نسمع زقزقتها الرائعة طوال النهار، فإذا سكت عصفور، لم نلحظ ذلك.

ولأن التشبيه في الإنشاء مطلوب، فنحن نقصد بالشجرة وسائل الإعلام على تنوعها، وبالعصافير، ساستنا الذين دورهم الجماعي هو ألا يتوقفوا عن الزقزقة كي نظل نتعرض لكلامهم كيفما التفتنا، وهكذا، نظل محاصرين أبداً بتجويف كل معنى وكل مفهوم، وكل فكرة ولون..

لكن علينا، قبل أن ننهي موضوع الإنشاء هنا، أن ننتبه إلى أن تشبيه السياسيين بالعصافير، ظالم بحق العصافير، كما نظلم الزقزقة إذ نشبه كلام السياسيين بها. وهنا ليس إنشاء بالطبع، أو ربما هو كذلك. إنشاء، وله معنى، وفي محله المناسب تماماً.

مناورات خطاب الثورة المضادة في مصر غايتها خلق وعي زائف، يشوه خبرة الشعوب بماضيها، ويشوش إدراكها لحاضرها، ويشل إرادة حلمها بمستقبل أفضل.

أعطوني شاشة ومنصة إلقاء

د. عماد عبد اللطيف - مصر

يقول المناضل: أعطوني ميداناً فسيحاً، وبضعة آلاف من المحتجين الحالمين، ووعياً نقدياً، أعطكم ثورة.

يقول الحاكم: أعدوا شاشة تلفازي، ومعسول كلماتي، ومنصة إلقاء الخطب، فها أنا ذا قادم لأغرس في قلوب شعبي الوهن.

أدخنة الكلمات والقنابل

عامٌ يوشك أن ينصرم منذ فاض الشباب في الشوارع، يشكلون بكلماتهم خارطة عالم جديد. وبعد أن فرغت خزائن نظام مبارك من قنابل الدخان منتهية الصلاحية، جاء دور الحرب البلاغية بين نظام القمع والثوار. في ساحة تلك الحرب تبادل الطرفان الضربات، فيما يشبه لعبة تنس طاولة، كرتها الكلام. فالجماهير المحتجة تطلق مظاهراتها وهتافاتها ولافتاتها وشعاراتها وأيقوناتها وصورها في مواجهة النظام القائم، الذي يرد بخطبة رئاسية، تُذاع في منتصف الليل، على وقع أزيز الرصاص وهدير الإشاعات، وصوت الرعب المتفجر في شوارع وطرقات أصبحت ملكاً لطوفان المجرمين، في واحدة من أكبر عمليات غسيل المخ التي تعرض لها شعب بأسره في العالم الحديث.

رويداً رويداً تحررت نفوس المحتجين من الخوف، وأجسادهم من الخور، وعقولهم من الشلل، وردوا بمزيد من التظاهرات والاعتصامات وبخطاب ثوري، لا يقبل أنصاف الحلول. فعاود مبارك الكرّة بخطبة أشد خبثاً تناور بسحر معسول الكلام، وقناع الأبوة المستعطفة، ومدائح الذات. وما إن ظهرت أمارات الخَدَر على كلام البشر، ونادى البعض بمنح الرئيس-الأب تقاعداً مشرفاً، حتى برزت المخالب من تحت القناع، فانزوت البلاغة واحتلت الميادين حوافرُ الخيل وأخفافُ الجمال. وإذ يصمد المتخندقون خلف أحلام الحرية أمام وحشية الأب العطوف، يصبح خطابُهم عامراً بالتنكيت والفكاهة والمفارقة. فتحاول الخطبة الرئاسية الثالثة والأخيرة خوض معركة جديدة بمناورات قيمة، فلا تحصد سوى الغضب والاستفزاز. ثم لا شيء سوى السقوط.

رعب المجهول

الثورة رهان عنيف على المستقبل. وفي ساحة الحروب البلاغية بين السلطة والقوى الثورية، تتحول سيناريوهات المستقبل إلى آلة فتك فعالة. فسيناريوهات المجهول والفوضى والانزلاق والانتكاس كانت رأس حربة خطب مبارك في محاولة تفتيت إرادة التغيير، خاصة في خطبة 28 يناير. إذْ كانت استراتيجية التخويف مما يحمله القادم المجهول، الحجة الإقناعية الأساسية لوقف الاحتجاجات. وكانت خطبه الثلاث تقوم على ثنائية تقابلية ذات تنويعات مختلفة، يمثّل المستقبل أبرز طرفيها، هي ثنائية استمرار النظام القائم في مقابل التغيير الجذري. وإزاء كل طرف من طرفي الثنائية وضعت مجموعة من الصفات المتعارضة. وفي حين قَرنَتْ الخطب استمرَار النظام بكلمات مثل الاستقرار والأمن والإنجاز والمكتسبات والحرية والبناء والإصلاح ومصالح الوطن، قرنت التغيير بكلمات مثل الفوضى والمجهول والخوف والقلق والانتكاس والانزعاج والهواجس والخراب والهدم والعنف والأجندات الخاصة. والهدف بالطبع كان خلق ارتباطات نفسية سلبية مع هبّة التغيير، وخلق ارتباطات نفسية إيجابية مع استمرار النظام.

ولأن اللغة لا تعمل في فراغ فقد عزز الخطاب الرسمي - الذي ظل تحت هيمنة السلطة الحاكمة ممثلة في المجلس العسكري- من الدلالات السلبية للثورة، بواسطة ربط مفردات التغيير الجذري بظواهر الانفلات الأمني وانتشار البلطجة وغياب القانون وارتفاع الأسعار وضعف الأداء الاقتصادي من ناحية، وسيناريوهات المستقبل المظلم الذي تنهار فيه الدولة من ناحية أخرى. وعلى الرغم من إدراك قطاع عريض من المصريين بأنهم إزاء خطاب ترهيب لغوي هدفه شل قدرتهم على الفعل، وأن هذا الخطاب الترهيبي يسانده بشكل مقصود الرعب المادي المنجز بواسطة الانفلات الأمني وانتشار البلطجة، فإن هذا لم يحُل دون وصول غالبية المصريين إلى حد التشبع من المعارضة والاحتجاج. وهو نجاح هائل كان له تأثير حاسم في تقييد مدى وعمق انتشار الموجة الثانية من موجات الثورة المصرية.



القلة المندسة

لقد كان تشويه صورة المحتجين والتشكيك في دوافعهم وأخلاقهم ووطنيتهم، المناورة الخطابية الأبرز التي استُخدمت لوقف زحف الثورة في موجتها الأولى. وقد استمر استخدام هذه المناورة في الفترة الفاصلة بين الموجتين بذكاء وفاعلية أكبر. فقد تم تفتيت القوى التي قامت بالثورة، ثم وجِّهت سهام الإشاعات المسمومة إلى الجماعات الأكثر راديكالية وتأثيراً. ولعب المجلس العسكري الدور الأبرز في تشويه الثوار، بواسطة بياناته وتصريحاته التي اتهم فيها قوى سياسية بعينها بالحصول على تمويل أجنبي للقيام بأنشطتها، مثل حركة 6 إبريل. وحين أثبتت التحقيقات كذب هذه الادعاءات، كان صمت المجلس العسكري امتداداً للتشويه المتعمد لقوى الثورة المصرية.

في مقابل تشويه الثوار كانت بيانات المجلس العسكري وتصريحات أعضائه وخطبهم ولقاءاتهم التليفزيونية تعزف ببراعة قصيدة مدح في «المواطنين الشرفاء». هؤلاء المواطنون وسِموا في خطاب المجلس العسكري بأنهم لا يحتجون، ولا يتظاهرون، ويثقون ثقة عمياء في المجلس الأعلى، ويسلمون له مقاليد أمورهم دون مساءلة أو اعتراض. وهكذا فإن كل من تجرأ على التساؤل أو النقد أو الاعتراض، طُرد من دائرة «المواطنين الشرفاء»، ووصم بأنه من «القلة» المُغرِضة التي لا تبغي الاستقرار للبلاد.

الصقور والحمائم

توزيع الأدوار تقنية شائعة في الخطاب السياسي. فعادة ما يقوم أشخاص متعددون -يمثلون وجوهاً مختلفة لنظام ما- بإنتاج خطابات متفاوتة، وأحياناً متباينة إلى حد التناقض. ويشيع استخدام عبارة «الصقور والحمائم» للإشارة إلى الاختلاف الذي قد يوجد في مثل هذه الخطابات، لكنه لا يعكس تبايناً حقيقياً في المواقف والسياسات، بل يعبر بدرجة أكبر عن توزيع للأدوار بين أشخاص يقدم كل منهم عزفاً لغوياً خاصاً، في إطار أوركسترا خطاب واحد.

استُخدمت هذه التقنية ببراعة فيما بين موجتي الثورة المصرية. ففي حين كان يُعلن المجلس العسكري التزامه بتنفيذ مطالب الثورة المصرية، وحرصه على تحقيقها، تم توظيف الجيش الإعلامي لنظام مبارك -ممثلاً في كتائب من الصحافيين والكتّاب ومقدمي البرامج الإذاعية والتليفزيونية- ليقوم بدور مهاجمة خطاب الثوار، ونقده، وتشويهه، إضافة إلى خلق أسطورة أن المجلس هو «العمود الوحيد الذي تستند إليه الدولة المصرية»، وأن أي نقد لقراراته أو اختياراته، يعني انهيار الدولة. وهي أسطورة أُضفيت عليها قداسة هائلة، ساهمت في رواجها الشديد، إلى حد انتقال القداسة من المجلس بوصفه كياناً سياسياً ذا صلاحيات مؤقتة، إلى أعضائه أنفسهم بوصفهم أفراداً، فيما يشبه إعادة خلق لأسطورة الحاكم الإله الذي لا يُسأل عمّا يفعل.

بين الحين والآخر كان خطاب المجلس العسكري يُساند هذه الكتيبة في مهمتها الخاصة بتشويه الثورة. وفي الموجة الثانية من الثورة المصرية تبنى خطاب المجلس العسكري مناورات مشابهة لتلك التي استخدمها مبارك أثناء الموجة الأولى، مثل الاعتماد على خطاب الترهيب من المستقبل، وإعادة تمثيل الماضي القريب، بهدف تجسيد «إنجازات» المجلس العسكري، والخلط المقصود بين الفئة الحاكمة والدولة، وهو ما أنجز عبر عمليتين الأولى: الإيهام بالتطابق بين الجيش والمجلس العسكري، والثانية: الإيهام بأن تفويض صلاحيات المجلس لوزارة إنقاذ وطني يعني انهيار الدولة. وكلا الأمرين ينطوي على مغالطة حجاجية جلية.

لقد أثبتت الشهور الماضية أن بلاغة الثورة المضادة، نجحت في إجهاض كثير من أحلام التغيير وطموحاته لدى المواطن المصري العادي. وإذا كان ثمة درس يمكن أن نتعلمه من هذه الخسارة الكبيرة فهي أن نجاح الثورة لا يُقاس بتغيير شخصيات النظام، وإنما بالقدرة على تغيير وعي الجماهير، ليصبح أكثر نقدية وعقلانية. فدون هذا الوعي سيأتي إثر كل قيصر مخلوع، قيصر جديد.

في النظم المستبدة تتحول اللغة إلى أداة سيطرة على الشعوب، ولم يكن مبارك استثناء، فعلى مدى ثلاثة عقود تكون معجمه الدعائي، ردد مصطلحاته وخلفه آلة نظامه الدعائية في محطات وصحف الحكومة.

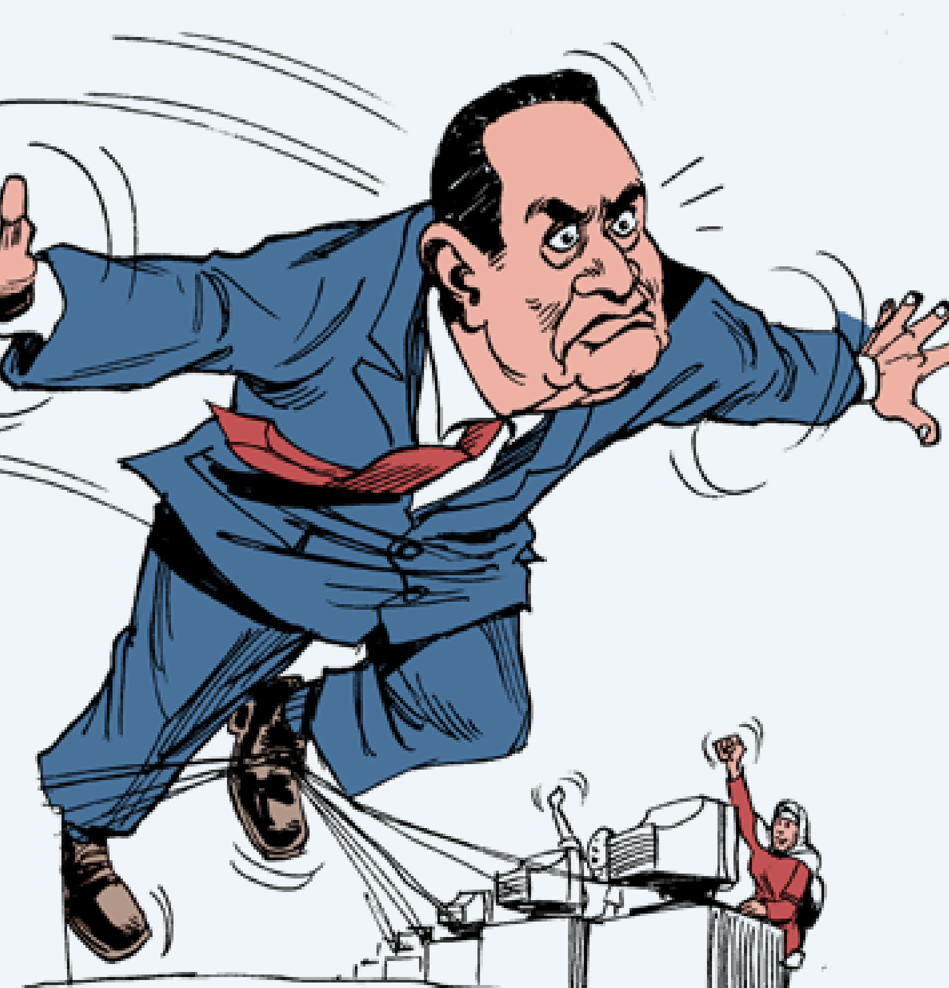
«الأخ الكبير» يفقد قاموسه السحري

محمد فتحي يونس

في رواية جورج أورويل 1984، تنتشر شعارات صادمة، «الحرب هي السلام»، «الحرية هي العبودية»، «الجهل هو القوة»، وفي مصر حول مبارك المصطلحات عن مسارها، توزعت الكلمات السحرية على فئات متنوعة، كان هدفها جر الشعب بسلسلة الاستبداد.

الإصلاح الاقتصادي

يقول الباحث المصري سامر سليمان في أطروحته للدكتوراه إن مصطلح الإصلاح الاقتصادي اتخذ معاني متباينة في خطاب مبارك وسلطته، ففي بداية عهده تنامت موارد الدولة، بفعل روافد عديدة بينها ارتفاع سعر البترول ومساعدات الدول الصناعية، وقناة السويس، وهنا اتخذ معنى الإصلاح الاقتصادي شكل التخطيط المركزي وتنامي دور الدولة، لكن في فترات أخرى مع تناقص موارد الدولة الريعية، ووصول الاقتصاد المصري إلى حافة الإفلاس عام 1990، كان مصطلح الإصلاح الاقتصادي يعني تنفيذ توصيات المؤسسات الدولية خاصة البنك الدولي. وتنوع استخدام مبارك للمصطلح السابق، لكن كان غرضه الدعائي غالباً مطالبة مواطنيه بالصبر وتحمل الظروف المعيشية الصعبة لأن الرخاء قادم، وهو ما يتماس مع أسلوب دعائي شائع هو «الأمل في المستقبل».



الصدمة الكهربائية

وهو يرتبط بطريقة الإصلاح الاقتصادي، فمبارك كرر دائماً أنه يرفض الإصلاح المتعجل أو العلاج بالصدمة الكهربائية، فيما يسعى إلى الإصلاح التدريجي، وهو ما يساعد على إطالة أمد سلطته لينتظر المصريون نتاج ما يقول إنه إصلاحات ستعود عليهم

بالنفع مستقبلاً، ولا داعي للحكم الآن، فيقول الرئيس في مناسبات مختلفة:
«لابد أن نمشي بهدوء ونعالج مشاكلنا الاقتصادية علشان الغالبية والسواد الأعظم من هذا الشعب يعيش.. يجد المسكن.. يجد المأكل.. مش حاييجي أبداً بالطفرات والصدمات الكهربائية إطلاقاً.كل واحد يشيلها من مخه».

عنق الزجاجة

واستخدم للإشارة إلى قرب الخروج من مرحلة التقشف وتحمل سلبيات الإصلاح الاقتصادي إلى عصر الرخاء المنتظر، وتسبب تكرار المصطلح في نوبات متتالية من السخرية من قبل الشعب المصري المشهور بحسه الفكاهي، ترجمت هذه السخرية في شكل نكات أو رسوم كاريكاتيرية ترى أن المصريين محبوسون في أكبر زجاجة في التاريخ.

محدودو الدخل

كان مبارك يكرر دائماً أنه نصير الفقراء، وتراعي إصلاحاته الاقتصادية ظروفهم المعيشية الصعبة، حتى لا يضاروا وتصعب حياتهم، ومن هنا تتسم الإصلاحات الاقتصادية بالتدرج والبطء، ويعد الفقراء بتحسن أحوالهم مستقبلاً، فيقول مثلاً:
- كان هدفنا وسوف يظل إيلاء الأولوية للأبعاد الاجتماعية للإصلاح والتنمية ودرء انعكاساتها عن الفقراء ومحدودي الدخل.

الدعم

وارتبط مصطلح الدعم بتعبير محدودي الدخل، ويعني تخصيص جزء من موازنة الدولة لعرض بعض السلع الأساسية بأسعار يقدر عليها الفقراء، واستخدم نظام مبارك هذا المصطلح بأربع صور، الأولى عندما يظهر للمراقبين أن نظامه يراعي الفقراء ولذلك يخصص جزءاً من الميزانية لتيسير الحياة عليهم، والثانية باعتبار الدعم يلتهم جزءاً كبيراً من الميزانية ومن هنا فلابد من تنظيم النسل وتقليل عدد السكان حتى لا يزيد الدعم ويزيد عجز الموازنة، ومرة ثالثة كوسيلة تهدئة عقب الأزمات وظهور بوادر الاحتقان، فتخرج تصريحات بأنه لا مساس بالدعم، ومرة أخيرة باعتبار الدعم يشكل عبئاً على الموازنة ويستفيد منه الأغنياء والفقراء معاً ومن هنا فلابد من تنظيمه حتى يستفيد الفقراء فقط.

المشكلة السكانية

استخدم مبارك هذا المصطلح بشكل كبير خلال الثمانينيات والتسعينيات بينما تراجع استخدامه في العقد الأخير لصالح مصطلحات أخرى، ووظف خلال الفترة الأولى من حكمه في تبرير صعوبة الأوضاع الاقتصادية وعدم كفاية الموارد لسد احتياجات السكان، ووقف النمو السكاني كعقبة رئيسية أمام جهود التنمية، وتشكل عبئاً أمام القطاعات الخدمية في الدولة.

البنية التحتية

تكرر هذا المصطلح في خطاب سلطة مبارك، وتنوعت أغراض استخدامه إما لبناء صورة ذهنية عن إنجازات تم تشييدها، خاصة مشروعات اقتصادية كبرى على غرار ما بناه ناصر كالسد العالي أو بناء المصانع المملوكة للدولة في مناطق مختلفة، كما فشلت المحاولات الشبيهة كاستزراع أراض صحراوية في جنوب مصر بمنطقة توشكى، رغم الهالة الإعلامية التي صاحبت الإعلان عن بدء هذه المشروعات.

وحرص مبارك ورؤساء وزرائه خلال فترة عهده على التصوير أعلى الكباري العلوية ومواسير المياه ونشر الصور في الصحف، للدلالة على البناء.

ومن أمثلة استخدام مبارك للمصطلح:
- «حجم الديون التي أسقطت تتساوى في قيمتها وحجم الاستثمارات التي استخدمتها مصر في إعادة بناء البنية الأساسية خلال الخطتين الأولى والثانية».

الشفافية

أصر الخطاب الرسمي على أن السلطة تمارس أعمالها وفق قواعد الشفافية، لكن كان المراقبون يسخرون من ذلك، ولهم مبررات كثيرة، أبرزها الترتيب المتأخر لمصر في إحصاء منظمة الشفافية العالمية، وظهور حوادث وفضائح متفرقة تعزز فرضية عدم اتباع الشفافية في مناح كثيرة، منها قضايا تخصيص أراضي الدولة لأصحاب نفوذ بالأمر المباشر من السلطات، واقتصار وظائف السلطة العليا على طبقة أقرب للأوليجاركية، بينها وبين النظام الحاكم روابط مصالح سياسية واقتصادية، وتدخل الأجهزة الأمنية في تعيينات الوظائف الحكومية وترخيص الشركات، وتكدس ثروات المسؤولين والوزراء بشكل غير مشروع نتيجة الاستفادة من موارد الدولة بشكل غير مشروع.

معركة الحرب والسلام

اعتبرت سلطة مبارك ماضيه العسكري دعامة أساسية لشرعيته في الحكم، وبالمثل كانت تحديات مرحلة السلام مع إسرائيل بمثابة معركة أخرى تستحق الاحتفاء والإشادة خاضتها سلطة مبارك للحفاظ على استقرار مصر، وهو مصطلح ممتد استخدم مع الرئيس السابق السادات، وتكرر مع مبارك واستخدمه خلال ثلاثة عقود هي مدة حكمه، وحتى الخطاب الأخير، قبيل تخليه عن منصبه، عندما ذكر المصريون أنه حارب من أجل وطنه.

الضربة الجوية

كان مبارك في حرب أكتوبر/ تشرين الأول عام 1973 التي خاضتها مصر مع إسرائيل قائداً للقوات الجوية، وخلال مدة حكمه برز مصطلح الضربة الجوية الأولى إلى الواجهة، واعتبرت الآلة الدعائية لسلطته أن دوره مفتاح الحسم في الانتصار المصري، وتجاهلت الأدوار الأخرى للقادة الآخرين، وتعدى

المصطلح خصوصيته العسكرية إلى آفاق أخرى سياسية، ومن أمثلة استخدامه:

- «أول ضربة جوية.. فتحت باب الحرية» (أغنية دعائية شهيرة تكررت للدعاية لمبارك طوال عهده).

الديموقراطية

تكررت كثيراً الديموقراطية في خطاب السلطة الحاكمة في عهد مبارك، واستخدم المصطلح بشكل دعائي، لم يعكس إيماناً حقيقياً للسلطة الحاكمة بجوهره، فلم تشهد مصر تداولاً للسلطة في عصر مبارك، وحكم مصر عبر برلمان ديكوري مزور يشهد أغلبية زائفة للحزب الحاكم، بينما عانت الأحزاب من التضييق عليها بداية من الصدور مروراً بتنظيم المؤتمرات، أو المشاركة في الحكومة، وكان استخدام السلطة لمصطلح الديموقراطية أقرب لما عرف بأسلوب «التعميم البراق» في عالم الدعاية السياسية، الذي يستخدمه الداعية عبر حديثه المستمر عن القيم الإنسانية السامية وضرورة صيانتها لكنه لا يمارسها ولا يؤمن بها في الحقيقة.

الاستقرار

كان استخدام سلطة مبارك للمصطلح ملائماً لفترة توليه الرئاسة في الفترة الأولى للرئاسة التي بدأت في أكتوبر/تشرين الأول عام 1981، حيث تولى عقب مقتل سلفه الرئيس السادات، وتوتر علاقة مصر بمحيطها العربي وقطع كثير من الدول العربية علاقتها الدبلوماسية بها، إضافة إلى توتر الوضع الداخلي على خلفية اعتقالات نظمها السادات لكل معارضيه تقريباً، وظهور خطر ما عرف بالجماعات الأصولية خاصة في صعيد مصر، وتراجع الأداء الاقتصادي، في هذه الأجواء المتوترة كان مصطلح «الاستقرار» مفتاحاً سحرياً لمرحلة انتقالية بقيادة مبارك، لكن تحول الاستقرار بمرور السنوات إلى جمود، وظل مبارك يستخدم المصطلح دعائياً حتى في لحظاته الأخيرة، وهو على وشك السقوط، حيث خير الثوار ما بين الاستقرار أو الفوضى، كما أرسل رسائل إلى المجتمع الدولي تفيد المعنى ذاته، عندما ألمح أن بديله القادم في الحكم هو جماعات راديكالية أصولية.

السيدة الفاضلة

طوال عهد الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر كانت زوجته بلا صلاحيات لكن ظهر الدور البارز لزوجة الرئيس في عهد السادات، في أنشطة خيرية وفكرية، ولقبها الخطاب الرسمي في البداية بلقب «مدام»، ثم تغير إلى «السيدة الأولى».

وفي عهد مبارك واصلت زوجته سوزان ثابت طريق جيهان السادات، ثم تطور إلى اختيار «كوتة» من الوزراء يتبعون لها، أصبحت تلقب بـ «السيدة الفاضلة»، فالتصق لفظ «الفاضلة» باسمها، في كل المطبوعات الرسمية في مصر تقريباً، وفي كواليس السلطة والدوائر الحكومية عرفت بلقب «الهانم»، وهو لقب مؤنث عثماني يوازي لقب باشا عند الرجل.

المحظورة

وظهر المصطلح للإشارة إلى جماعة الإخوان المسلمين المعارضة لحكم مبارك، ولجأت السلطات إلى استخدام أسلوب التسمية الدعائي لتشويهها لدى الرأي العام وقصر دلالتها على كونها محظورة قانوناً.

> تكررت كثيراً الديموقراطية في خطاب السلطة الحاكمة في عهد مبارك، واستخدم المصطلح بشكل دعائي، لم يعكس إيماناً حقيقياً بجوهره

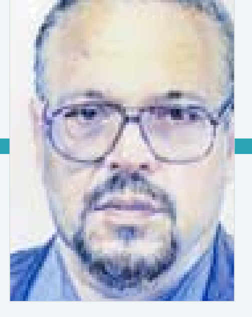
مصر أولاً

حلم عبد الناصر بالوحدة، وبعد هزيمة يونيو/حزيران 1967 انهار المشروع الناصري، وبعد مجيء السادات تبنى خطاباً آخر يركز على البعد المصري، متجاهلاً العرب، وساعد على ذلك موقف العرب منه سياسياً ومقاطعته على إثر معاهدة «كامب ديفيد»، في عصر السادات ظهر مصطلح «مصر أولاً»، ثم امتد مع مبارك وإن كان بشكل أقل حدة لحرصه على علاقات مع الدول العربية والتنسيق معها، والقيام بدور وسيط السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين لحل قضية الصراع العربي الإسرائيلي ولم يمد قدمه لخطوة أبعد من ذلك.

في تركيزه على الشأن المصري فقط وتجاهل الدعوة إلى التغلغل في القضايا العربية كان نظام مبارك يسخر من الدعوات، ومن أمثلة ذلك:

تهكمه على الرئيس اليمني علي عبد الله صالح عندما قال إنه «لو كان يمتلك أرضاً بجوار إسرائيل لحاربها» فقال مبارك متهكماً: «علي عبد الله صالح قال أنا لو عندي حتة أرض جنب إسرائيل هحارب هقوله تعالى يا خويا سأعطيك حتة الأرض وهات الجيش بتاعك وحارب ورينا شطارتك».

مع «الأخ الكبير» كان الجهاز الحكومي يتكون من أربع هيئات، واحدة للحقيقة لم تنطق إلا كذباً، وأخرى للسلام كانت مهمتها الحرب، وثالثة للوفرة أشاعت الفقر في أوقيانيا، بينما نشرت وزارة الحب أكبر قدر من البغض، تخطى جهاز مبارك السلطوي هيئات رواية 1984، كان أكثر عتاداً وعدداً، وربما قمعاً، لكن الثوار هدموه في 18 يوماً.



عبد السلام بنعبد العالي

بلاغة الانتهازية الفكرية

«لم نـر قط ثـورة بمثل ذلـك التأكد، ومثل ذلـك التوقع كالثورة الروسـية: فلا شيء كان بمقدوره أن يوقفها، لا أكثر الإصلاحات عمقاً، ولا أنسنة النظام، ولا حسن النية، ولا أكبر التنازلات. لم يكن لها فضل في الانفجار، مادام أنها كانت، إن صـح القول، قبل أن تظهر، وأمكن وصفها في أدق تفاصيلها قبل أن تتجلى (لنتذكر رواية الممسوسون)».

شيوران

«لم يتنبأ كافكا بشـيء. وإنما رأى ما كان (متوارياً هناك). لم يكن يعلم أن رؤيته كانت أيضاً سـبق رؤية. لم يكن ينوي كشف القناع عن نظام اجتماعي. إنه أوضح الآليات التي كان يعرفها بفضل ممارسـة الإنسـان الحميمية واحتكاكه بالحياة الاجتماعيـة فـي أدق تفاصيلها، من غيـر أن يخطر بباله أن التطـور اللاحـق للتاريخ سـيدفع بهـا إلى مقدمة مسرحه الكبير».

م. كونديرا

عُـرِّف المثقـف لأوقات غيـر قصيرة بأنــه الواعي بحركة التاريخ، المتبيّن لدواليب الأمور، وأنه ضمير المستضعفين، المدافع عـن المحرومين، الناطق باسـم المقهوريـن، الناقد للسـلطات أنّى وأين اختفت وتقنّعت. فكأنمـا نُظر إليه دوماً على أنه (يسـاري بالطبع)، وأنه، مبدئياً علــى الأقل، (نبيّ كل الثورات)، والممهّد لها، والسّـاهر علــى قيامها، والرّاعي لمصيرها.

من الطبيعي، والحالة هذه، ألا يُغفر له أيّ ركون إلى (برج عاجي) أو غياب عن السـاحة، وعدم (نـزول إلى الميادين)، وبالأحرى عناق السلطة واعتلاء (كراسيّها)».

ربما لأجل كل هذا شـعر معظم المثقفين، بعد حلول الربيع العربـي، أن عليهـم ألا يظلوا بمعزل عما يجـري، وحتى إن كان بعضهـم قد أحس بأنه «أخذ على حين غفلة» إلا أنه تبيّن أن عليــه، على الأقل، أن يحاول اللحـاق بما حدث، وتدارك الأمور. لذا سرعان ما وجد نفسه منساقاً نحو متابعة الأحداث وتعليلها ورسـم آفاقها. بل هناك من «انقض» على «الربيع» ليوظفه شـتى أشكال التوظيف. وقد رأينا من الكتّاب من أخذ يتسـاءل عن التغيّـرات التي ينبغي أن تلحـق الكتابة بدلالة ما تعرفه السـاحة من تحـوّلات وانتفاضات، لـذا مضى يعدّ «وصفات» الكتابة المستقبلية، وما ينبغي أن تكون عليه «بعد الثورة».

وعلى رغم ذلك، فلم يسـمح «الربيع» لهـؤلاء باجترار ما كانوا فيما قبل يدْعــون إليه من أيديولوجيات، ويردّدونه من شعارات. إذ إن ما شكل أهم مستجداته هو ربما كونه لم يعتمد أيديولوجيـا بعينها، ولم يحاول تكريس قيم جاهزة ونموذج متــداول. لقـد كان، «الربيع» بالأولى دعوة إلــى «الانخراط» في شبكات مقاومة تسـعى جهدها إلى بلورة أسئلة لم يتقدم لهــا مثيل، وإلى إحداث شـروخ في عالم لـم يعد يقوى على الاستمرار.

لـذا قام بعض المثقفين ليسـتنكروا كل «انتهازية فكرية»، وعياً منهم بقوة الحدث، فدعوا إلى شـيء من التريّث، وعدم الجرْي وراء الأحداث، والتسـابق نحو الشاشات. حجتهم في ذلك أن بلورة الأسئلة ليست بالأمر الهيّن، وأن الفكر والابداع لا يسـتفيق إلا «مسـاء»، وأن الزمـن الثقافـي مخالف للزمن الكرونولوجي، وأن العمل الفكري والإبداعي في حاجة دائمة إلى هضم واجترار، في حاجة إلى مسـافة وابتعاد، فهو عدو المباشرة، وخصم التلقائية. في هذا الصدد ذكّر البعض بمثال شيخ الرواية العربية بعد ثورة 52.

على رغم حسـنات هذا الموقف الـذي يحفظ للفكر والإبداع قدرتهما على أخذ المسافة وعدم «الانغماس» المادّي والمعنوي في الحدث، إلا أنه يبدو أنه يغفل ما قد يلعبه العمل الثقافي من تحويل للواقع وفعل في اللغة من شأنهما أن يمهّدا لكل تغيير. لا يعنـي ذلك بالضرورة أنهما يسـتبقانه ويتنبآن به. الأدلة التاريخية على ذلك ليسـت قليلة، ولن نقتصر على الإشـارة إلــى فكر الأنوار الذي ينكـر عادة في هذا البـاب، وإنما تلزم الإحالـة أيضاً إلــى مفكرين تابعوا الثـورة، وتأملوا نتائجها ومخاضهــا، أمثال كانط وهيجـل، أو مبدعين ومفكرين تبيّن فيما بعد أنهم كانوا وراء انعراجات كبيرة، وثورات أساسية، وأحداث جسـام أمثال غوركي ودستويوفسـكي وتشـيكوف وكافكا ونيتشه. لن نذهب إلى القول بأن هؤلاء كانوا يتمتعون بسـبق رؤية وقدرة تنبؤ، وإنما يكفـي أن نقول إنهم، بفضل ممارسة حميمية واحتكاك بالحياة في أدق تفاصيلها، تمكنوا من أن «يروا أموراً تفوق عظمةً ما يقدرون على تحمّله»، على حد تعبير جيل دولوز.

لغة الأحذية الثقيلة

أشرف عبد الشافي - مصر

كان عجيباً ومدهشاً أن تتوجه صحيفة «اليوم السابع» القاهرية إلى أطباء العلم النفسي لتحليل الخطاب الوحيد الذي ألقاه المشير محمد حسين طنطاوي، فتحدث الدكتور أحمد عكاشة أستاذ علم النفس ورئيس الجمعية العالمية للطب النفسي، عن نظرية «الارتقاء المعرفي»، مؤكداً أن الإنسان يفتقد القدرة على تجديد أفكاره بعد الستين في حين يقف المشير على عتبات الثمانين.

واستفاض باقي أطباء علم النفس في وصف التداعيات «الصحية» التي بدت واضحة على الرجل وأعطت انطباعاً بعدم قدرته على اتخاذ القرارات السياسية !!

تمدد «الخطاب السياسي» إذاً على سرير المرض خائراً بدلاً من تقديم العلاج، وبدا الأمر وكأننا بصدد حالة «مستعصية» ولسنا بصدد «خطاب سياسي» من المفترض أن يتجمل بفنون اللغة وجماليات التشبيه واقتصاد العبارة ودقتها.

كانت اللحظة ساخنة والمشهد في ميدان التحرير يستعيد روح يناير ويحمل رذاذ الموجة الثانية من ثورة يناير، واحتشد الثوار بميدانهم الشهير مطالبين بتنحية المجلس العسكري عن إدارة البلاد وتشكيل حكومة إنقاذ وطني ومحاكمة قتلة المتظاهرين بدءاً بأحداث 25 يناير، مروراً بأحداث ماسبيرو وحتى أحداث 19 نوفمبر، وتعالت نبرات الهجوم على «المشير» وخرجت الشعارات واضحة «الشعب يريد إسقاط المشير»، بينما راحت قوات الأمن تطلق الأعيرة النارية على عيون الثوار وقلوبهم وتستحدث أنواعاً جديدة من الغازات المسيلة للدموع استفاض الخبراء في تحليلها وتوضيح مخاطرها.

وبعد طول انتظار وتنويهات إعلامية سبقت الخطاب بساعات طويلة، خرج «المشير» في الثاني والعشرين من نوفمبر بعد مرور ثلاثة أيام على بدء الأحداث، فأعاد إلى الأذهان تباطؤ الرئيس المخلوع وأكد التشابه الكبير ليتجاوز مرحلة الانتماء إلى مؤسسة عسكرية واحدة ويصبح تطابقاً في المنهج وطريقة معالجة الأمور، فسيطرت على لهجة «الإنجازات العسكرية ومكانتها مكتفياً بإقالة الحكومة!».

مثلما انشغل «مبارك» في خطابه الثاني بالدفاع عن نفسه وعن مؤسسات دولته، انشغل «المشير» بالرد على منتقدي «المجلس العسكري» أو على شخصه سيان متعمداً الربط بين الجيش المصري والجنرالات يديرون شؤون البلاد في المرحلة الانتقالية، وهنا، هنا تحديداً تحولت «منصة» الخطاب إلى «ساحة» وغى ! وكان طبيعياً والحال كذلك أن «تُدهس» اللغة وجمالياتها، فالقائد العسكري كما نعلم يجتز الشجر الوارف إن رآه حائلاً بين هدف يسعى إليه، وما اكتسبت الأحذية الثقيلة دلالاتها القوية إلا لمقدرتها على «الدهس» فلا وقت لتوزيع القبلات وحانت ساعة الرد بحسم!

وعلى الفور التقطت الجماهير المترقبة في الميدان والشوارع نقاط التشابه المتعددة بين «ركاكة» خطاب مبارك الثالث الذي ألقاه قبيل التنحي بساعات وبين «خطاب المشير»، فبدا وكأنه يعيد إنتاج اللحظة ببطء أدائها وبالمفردات اللغوية المرتبطة بها !، فقد استخدم الثاني نفس التعبير المؤلم في وصف الشهداء «الضحايا»(!)، من دون اعتراف أو اعتذار عن الدماء التي مازالت طازجة بشارع محمد محمود ساعة الخطاب والتي كانت تدفقت في موقعة «الجمل» قبيل التنحي.

وعلى هذا النحو تطابقا في الخطاب، وكلاهما ميزّ «المشير» بين «المتظاهرين» وبقية الشعب المصري المسمى إعلامياً بحزب «الكنبة»، وأعاد إنتاج «خطاب مبارك» «الواقفون في الميدان ليسوا كل الشعب المصري»، وكذلك أعادا سوياً تشويه الدوافع التي تقف وراء المحتجين مع إشارات وتشكيك في بعض القوى السياسية واتهامها بالعمالة وتلقي تمويل خارجي!

حتى «التلي سكرين» أو الشاشة الآلية التي تمرر الكلمات أمام الشخص بطريقة سلسة وبسيطة لم تنجح في صناعة «اختلاف» بين الخطابين، ولم تمنع من وقوع أخطاء في نطق الكلمات وترتيب العبارات: «المجلس العسكري كان لا يقف موقف الحياد من كل القوى»، «المجلس العسكري كان يقف موقف الحياد من كل القوى».

«لم أطمح يوماً في جاه أو سلطة»، عبارة أراد بها مبارك «زهداً» في الحكم، وتوقع المصريون عدم سماعها ثانية لما

تحمل من «خيال» ورومانسية لا تعكس واقعاً غارقاً في الدماء والانتهاكات، لكن «المشير» كان حريصاً على استعارتها بصيغة الجمع «فلا نطمح في الحكم ولا نبغي إلا وجه الله والوطن» !

الاختلاف الوحيد بين الخطابين كان في «الشكل الرسمي»، فالشعار الذي وقف أمامه مبارك هو «رئاسة الجمهورية» بينما ظهر خلف المشير شعار «المجلس الأعلى» فقط مع حذف «القوات المسلحة»، فيما عدا ذلك فقد تطابق الخطابان إلا في عبارة الاستهلال «الأخوة المواطنون» عند الأول، و«شعب مصر العظيم» للثاني، بينما كانت عبارة «أنا أو الفوضى» التي كانت تلخيصاً لما أراد المخلوع تأكيده هي نفسها التي تسيطر على خطاب «المشير» في اتهام المحتجين بتعطيل الاقتصاد وإقلاق مضجع «الاستقرار» !.

انتهى الخطاب بطرح «استفتاء» على بقاء المجلس العسكري أو رحيله، من دون أن يقدم جديداً سوى إنتاج فريق «العباسية» الذي وجد الفرصة ليعلن الحرب على فريق «التحرير» فها هو قائد البلاد يطرح «الاستفتاء» على بقاء المجلس العسكري أو رحيله، وفي ذلك طلب تأييد مضمر لم يكن خافياً على رافضي «إقلاق مضجع الاستقرار» !

نشطاء الفيس بوك وتويتر لم يكتفوا برصد «التطابق» بين خطاب نوفمبر والخطابات الثلاثة التي ألقاها الرئيس المخلوع قبل التنحي، لكنهم استلهموا روح السخرية الكامنة داخلهم وقضوا ليلة الثالث والعشرين من نوفمبر في ابتكار «الكلمات والعبارات» التي ترد «للغة الخطاب السياسي» اعتبارها، وتم إطلاق صفحات كان منها «هانت فاضل خطابين وموقعة جمل.. وراجل واقف ورا الراجل اللي بيقول خطاب التنحي»، وكان الاسم اختصاراً وإيجازاً بليغاً لمرحلة سقوط مبارك التي استغرقت 18 يوماً، وامتلات الصفحة بآلاف التعليقات من بينها «خطاب المشير (مبارك سابقاً)»: تعريف اينشتاين للغباء: «فعل نفس الشيء مرتين بنفس الأسلوب مع انتظار نتيجة مختلفة».

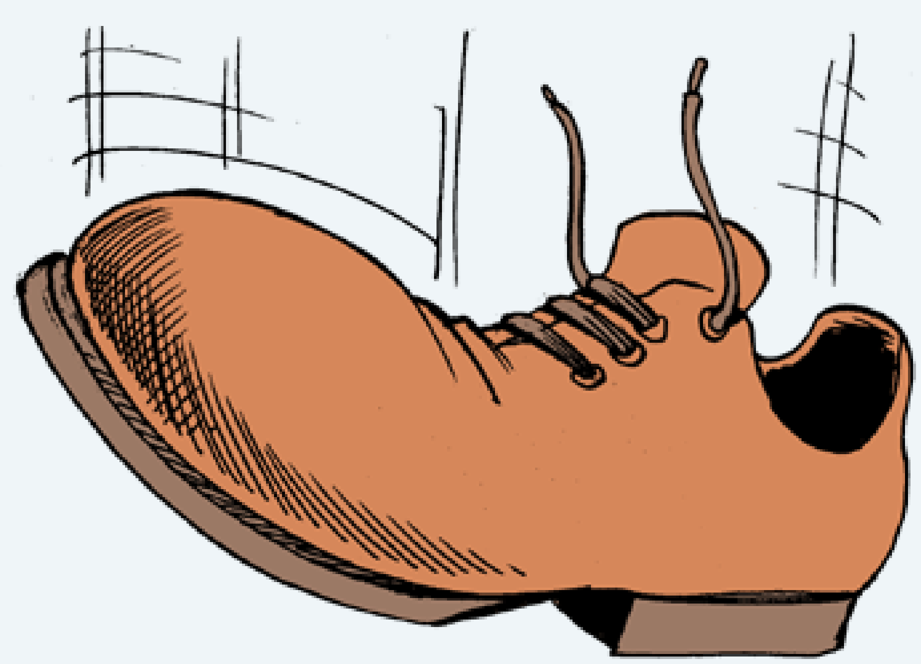
- المشير: لم نطلق رصاصة على صدر مواطن.. كنا بنّشن على عينهم بس، «الفرق الوحيد أن مبارك كان بيتصور بكاميرا واحدة والمشير بكاميرتين».

«أنباء عن وفاة الرئيس المخلوع حسني مبارك متأثراً بنوبة من الضحك الهستيري».

الجماهير تكون أذكى في أكثر المواقف التباساً وسخونة، وكلما سقط «الخطاب السياسي» في فخ «الحرب» واستعار روح الدفاع والكر والفر غابت سلطة «اللغة» وحساسيتها كما يقول عبد السلام المسدي في كتاب «السياسة وسلطة اللغة» الدار المصرية اللبنانية 2007 ودروس التاريخ لا تعد ولا تحصى في هذا الشأن، فقد خرج جورج بوش الابن هائجاً في 2001 مطالباً بالانتقام من مفجري الأبراج معلناً عن ترسانة لاجتياح أفغانستان، فسعى المعارضون لصناعة حالة وئام بين «اللغة» و«العقل» وخرجت مظاهرات حاشدة تحمل لافتات «العين بالعين.. جميعاً سنصبح عمياناً».

وهناك قادة وأشخاص ياخذون موعداً مع التاريخ كما قال الأب الروحي لليمين الفرنسي شارل ديجول، وبعبارة واحدة جلس «مهدي بن بركة» وسط هؤلاء حين غَمزَ وَلمزَ الملك الحسن الثاني : «إن بين يديّ معادلة رياضية تخص المغرب أريد لها حلاً»، كان الرجل محكوماً عليه بالإعدام (1963) ونجحت الانتفاضة الشعبية وأعلن الملك الحسن الثاني العفو عنه وأرسل من يسترضيه كي يعود للبلاد، فجاءت تلك العبارة تلخيصاً دقيقاً من أستاذ الرياضيات الذي تتلمذ الملك على يديه.

وسلطة اللغة توازي سلطة السياسة، ومن لم يعرف أن هناك قوانين تنتظم اللغة وتشد أوصالها وتجعل «للكلام» الأدبي ترتيباته، وللقانوني «حيثياته»، وللعلمي «قواعده» وللسياسي «ضوابطه»، لا يستحق الشفقة، فقد «دهس» اللغة وسخر من دون أن يدري بعباقرة أفنوا أعمارهم راكعين تحت «عرشها»، ولاعزاء لـ «جون أوستين» صاحب كتاب «كيف نصنع الأشياء بالكلمات»، ولا لـ «ميشيل فوكو» صاحب «الكلمات والاشياء»، وكذلك لا وجود لعلم القرائن والعلامات والأمارات المعروف باسم «السيمائيات» الذي أصبح له كرسي في جامعة بولونيا بفضل «أمبرتو إيكو» وقبله «رولان بارت» و«فرديناند دي سوسير».



الروائي المغربي حسن نجمي:

حين نكتب نلقي بأنفسنا إلى الهاوية

حوار - **أنيس الرافعي**

الأديب المغربي المعروف حسن نجمي لا يكل من البحث عن المساحات الفارغة والأراضي غير المخنولة للكتابة، لذلك فهو ينجو دائماً من ميتافيزيقا الوصول. فمنذ أن غاص كي يستحم في نهر القصيدة ويتجاذب معها أطراف ماء العبارة، لم يخرج إلى يابسة السرد الروائي سوى مرتين ليطلع علينا سنة 1996 بـ «الحجاب»، ومطلع هاته السنة (2011) بـ «جيرترود» الصادرة عن المركز الثقافي العربي في بيروت. طلوع كريم لأنه لم يترك الشعر في أعقابه حسيراً، بل آخاه وصهره بالنثر الحكائي. هذا ما يظهر بشكل شاخص في عمله الجديد، الذي جاء مشوقاً ومتقن الصياغة لغة وتشخيصاً ومعماراً، يستعيد المروق العابر للكاتبة الأميركية جيرترود ستاين (1898 - 1946) بمدينة البوغاز، طنجة.

وقد انطلق صاحب «على انفراد» من واقعة تاريخية حقيقية وردت في سيرة جيرترود التي كتبتها على لسان صديقتها أليس توكلاس، ليشيد متخيلاً سردياً جهنمياً ومتشابكاً محوره الأساس شخصية محمد التي تنوس بين كل من طنجة وباريس وتتبادل الأدوار والأقنعة مع «مضاعفاتها» و«بدائلها» المجازية داخل متن الرواية.

الرواية ذاتها التي تسترجع بشكل استعاري ملفق بين ضلوعها بعض الإشارات إلى التاريخ الشخصي الموجز لحسن نجمي، وتفتح مروحة الكلام على حوارية الفنون والنظائر الكونية العليا كما لو أنها جولة متخيلة في غاليري يمكن لك أن تلتقي فيه بماتيس وبيكاسو وأبولينير وهمنغواي وأناييس نين وفيتزجرالد.. وآخرين.

عن «جيرترود» وعن كواليس تشكلها، التقت «الدوحة» حسن نجمي، فكان هذا الحوار:

بعد رواية «الحجاب» (1996) تفرغت لمشاريعك الشعرية والنقدية والترجمية، لماذا العودة بعد كل هذه السنوات لمغازلة الفن الروائي؟ ولماذا «جيرترود» تحديداً؟

قد لا تُصدقني إن قلتُ لكَ إن رواية «جيرترود»، كفكرة أو كإرهاص، سبقت فكرة رواية «الحجاب» سنة 1996. ولكن الأفكار لا تأتي إلا في أوانها. لا أذكر من قال، ولعله هيغو، بأن لا أحد يمنع فكرة حان أوانُ نضجها. وحسناً أن «جيرترود» تأخرت قليلاً لكي تنضج، ولكي ينضج الكاتب أيضاً فيتَملّك الأسباب الكافية والأدوات اللازمة لكي يغامر بالكتابة في حقْلٍ يتداخَلُ فيه التاريخ والمتَخَيّل، وتمتد مساحاته في الفضاء والزمان، وتتعدد آفاقه واهتماماته.

إن هذا العبور من «الجدول الصغير» للقصيدة إلى فيضان الحكي في الرواية، إنما يتم داخل الكتابة، داخل تجربة الكتابة تحديداً. وربما كان هذا التنوع في الأجناس، وفي تجريب الأشكال والأنواع، نوعاً من البحث المستمر عن الذات المتعددة أو نوعاً من التّلَوّن القُزَحي للذات نفْسها. صحيح أنه عبور من ميثاق كتابة إلى ميثاق آخر، مختلف له محدداته وسيرورته الخاصة مثلما له أُفُقُ انتظار آخر على مستوى التّلقّي والتداول، لكنّه مع ذلك - بالنسبة إليَّ على الأقل - يتم بنفْس الروح، وتقريباً بنَفْس الرؤية ونَفْس اللغة، داخل نفْس التّعَاقُد الأدبي والجمالي مع القارئَ. كأنني هُنا أغيّر فقط رصيفاً برصيف في نفس المحطة لأركَبَ نَفْسَ القطار.

أما لماذا «جيرترود» تحديداً، فأعترف لَكَ أنني عشتُ هذه الرواية، فكرة هذه الرواية في الحقيقة، مثل حُلْم مؤبّد. لقد صَاحَبَتْني لعقْدَيْن من الزمَن، وظلتْ كامنةً في قيعان النّفْس، إلى أن أصبحت قدراتي الذاتية، الفكرية والتقنية والجمالية، تسمح بكتابتها. أكاد أقول إن «جيرترود» كفكرة وكمشروع كتابة هي أحد المؤشرات على حالات النسيان التي أهْمَلْنا فيها أجزاء أساسية من ذاكرتنا الثقافية والتاريخية الوطنية في المغرب. وأظن أن علينا أن نستعيدها.

ألمح العديد من النقاد الذين قاربوا الرواية إلى هيمنة بنية الخيبة والإخفاق على جوها العام. إلى أي حد تتفق مع هذه التخريج؟

- لم يكن الإخفاق أو الخيبة مُقْتَرَحَ عمل في هذه الرواية. لقد ظهرت هذه البنية أو التيمة في «جيرترود» لاحقاً.

في البداية، كنت مُنْتَبِهاً أكثر إلى شخصية جيرترود بحضورها الكلي،



وبالتالي كيف كان يمكنني أن أرى جيرترود وإلى جانبها (محمد)، كمغربي مجهول من ثقافة مختلفة، بهُويةٍ هاربة. ثم شيئاً فشيئاً، بدأتْ شخصية (محمد) تتدحرج مثل كرة ثلج. ورأيته، وقد كان يمكن أن يكون شخصاً مهمّاً مؤثراً في مدينته وبلاده، كيف أن حياتَهُ انكسرت فجأةً لأسباب مختلفة تَنْكُر الرواية بعضَها وتهيء القارئَ لإدراك بَعْضِها الآخر.

أتفق مع النقاد والقراء الذين توَقَّفُوا عند حضور بنية الإخفاق والخيبة هذه. لكنني ما زلت، حتى الآن، أنظر إلى ذلك من داخل المحكي الروائي لا من زاوية اللغة الواصفة. لقد كان بإمكان محمد أن يختار اختياراً آخر، وقد كانت هناك إمكانيات متاحة. علينا أن نلاحظ أنه لم يفكر في حلول «تعبوية» أو فكرية أو ثقافية، لم يفكر في خَوْض عَمَلٍ سياسي - مثلاً - مع أنه كان يعيش في مركز السياسة، بحكم مهنته ومسار تكوينه، لم يفكر في واجبه الإعلامي والاجتماعي. وإذن، لقد قرر أن يختار ذاتياً وفردياً وشخصياً نوعاً من الهروب أو المنفى الاختياري.

استدراج حياة كاتبة أميركية من قيمة جيرترود ستاين إلى لعبة سردية مدارها شاب مغربي مجهول اسمه محمد، هل هو نوع من «الاستشراق المعكوس أو المضاد» كما يسميه الراحل إدوارد سعيد؟

- من الصعب أن يزعم كاتب بأنه كتَبَ رواية في أفق اهتمامه الفكري بالاستشراق «المضاد» أو «المعكوس». أنت كاتب، مثلي تماماً، وتفهم حجم تلك الهاوية التي نُلقي بأنفسنا فيها ، تلك التجربة التي نخوضها حين نكتب. في تلك اللحظة من الدهشة والتلذُّذ باللّعب، وأنتَ تفكر في جملتك القصيرة لكي لا تجعلها تطول أو تَتَرهّل، وتفكر في أن تجعل عبارتك شعرية أكثر، ووجيزة ومكثّفة ومُقْتَطعة كما لو بآلة حَادّة (hachées)، غالباً ما تحرص على عبور هذه اللحظة العمياء الهاربة، المجهولة والكاشفة في آن، بعيداً عن عِبْء التفكير الثقيل. قد أفكر في محمود درويش أو سعدي يوسف أو أدونيس، من خلال الجملة أو العبارة أو الكلمة أو طريقة استعمال المعجم، لكنني لا أفكر، في تلك اللحظة، في إدوارد سعيد أو عبد الله العروي أو عابد الجابري مثلاً. أظن أن الشخصيات، ضمن مسارها الخاص، هي التي تستدعي فكرةً أو مفكراً، هي التي تُذَكِّرك بشيءٍ مّا أو بمكانٍ معين، وهي التي تجعلكَ تفاجئ نَفْسَكَ وأنْتَ تُفَكِّر.

نريدك أن تحدثنا عن «دُرج الخياط» الذي يدس فيه الروائي جذاذاته وأضابيره وأبحاثه وهو يطارد الموضوع الرئيس الذي انتقاه ليرفع به أعمدة روايته. بالنسبة لـ«جيرترود» هل تطلب منك الأمر السفر إلى باريس وطنجة عدة مرات؟ وما هي «المتاعب المعرفية» التي تكبدتها لتنجز هذه الرواية؟

- «جيرترود»، رواية غَيّرَتْني بعمق. لا أظن أنني بقيتُ كما كنتُ بعد كتابتها، وربما بعد نشرها أيضاً. وأملي الآن أنْ تُغَيِّر بعضَ قرائها.

ثمة صعوبة في هذا النوع من الكتابة السردية. ومصدر الصعوبة يأتي من كونك تحكي حكايةَ شخصية لها وجود فعلي سابق على النص، لها وجود تاريخي معين يعرفه القراء أو بعضهم على الأقل. وعليك أن تلعب بهذا المعلوم في أفق مجهول تماماً، وتَخترِقَهُ بخيالك بل تعمل على أنْ تتَجَاوَزَهُ. وبهذا المعنى، فأنت تشتغل على جوانب سيرية (بْيُوغْرافية) لتؤكد على احتمالية المتخيل الروائي الذي تنتجه، لتُقْنع قارئك بواقعية ما تحكيه له فيما أَنْتَ، في الحقيقة، تُوفِّر له نَصّاً متخيّلاً تماماً، وإن شئتَ.. تُوفِّر له بْيُوغرافْيا متَخيّلة. هل تصدق أن شاعرة مغربية صديقة اتصلت بزوجتي (الشاعرة عائشة البصري) لتُعَبِّر لها عن إعجابها بالرواية، ثم طلَبَتْ منها ألاّ تقرأ الرواية خوفاً على مشاعرها؟ فقد صَدّقَتْ الأحداث إلى حدّ أنها اعتبرت أن الراوي هو المؤلف الفعلي للنص! (لو كنتُ فعلاً أنا الرّاوي لحقّ لزوجتي أن تقتادني إلى دار القاضي! ولو كان الجنْس في هذه الرواية واقعياً وحقيقياً، لكان الكاتب حارساً لبيت دعارة!).

صديق روائي مغربي، سألني عما إذا لم تكن ليِنْيَا، شخصية الدبلوماسية الأميركية في الرواية، امرأة حقيقية ولي بها علاقة! ناقد عَربي محترم، في قراءة جيدة للرواية أحببتُها، تعامَلَ مع «الأوراق» التي سَلّمها محمّد في النص للرّاوي (كي يستعين بها على كتابة سيرته)، و«الشذرات» التي كان الرّاوي (الكاتب الشاب) يجْتَزِئها من تلك الأوراق ليُضَمِّنَها في مَحْكِيِّه أَو يستشهد بها، على أنها أوراق حقيقية، وشذرات حقيقية، استعان بها المؤلف الحقيقي لتأثيث روايته، والحال أن الأوراق محضُ خيال، والشذرات «المجتزأة» لم تكن إلاّ جُمَلاً وعبارات اختَلَقْتُها اختلاقاً.

إن اختلاقَ سيرةٍ إذن، أو أكثر من ذلك اختلاقَ حياة، هو ما أزعم أن رواية «جيرترود» حَقّقَتْهُ. لقد كان عليّ أن أقرأ تجربة جيرترود، وأتَمثّلها، أن أعيشَها تقريباً، وذلك ليكون حضورها وحضور الشخصيات في الرواية حيّاً وملموساً. وكل ذلك تَطلّبَ بعضاً من البحث والتحرّي والتدقيق والتأطير المعرفي. ولعل ذلك أَحَدُ محدِّدَات الكتابة الروائية. في رواية «لِفْيَاتَانْ» (Liviathan) لِبُولْ أُوسْتِيرْ، يقول «الكاتب بيتر آرون» (شخصية في الرواية) «إن الحياة التي تَخَيّلتَها تصبح أهَمّ من حياتك». كما يقول بنجمان سَاشْ (الشخصية الأخرى في نفس الرواية) بأنه «ينبغي أن أمضي إلى العَالَم الواقعي. عليّ أن أفعل شيئاً». وهنا هو العَالَم الذي أحبُّه شخصياً، عندما أفكر في الرواية التي أحبها كقارئ ، هذا الذهاب من الواقع إلى الخيال، ومن الخيال إلى الواقع. كما أحب الروايات التي لا تهتم فقط بالبناء أو باللغة على أهميتهما بطبيعة الحال، وإنما تلك التي تكون أيضاً ممتلئة بمحكيّها، بموضوعها (خصوصاً عندما تكتشفه أو يكتشفه النقاد لاحقاً)، وبالتفاصيل. بالأخص، عندما تكون هناك لمسة معرفية أو توثيقية تضيء النص، وتعمق أفكار ومواقف الشخصيات (لا أفكار المؤلف أو أطروحته)، وتساعد على نَحْتِ هَذِهِ الشخصية أو تلك.

وبالطبع، فإن ذكريات الكاتب وأسْفَارَه وقراءاته ومُشَاهَدَاته ومسموعاته تَلْعَبُ دوراً حيوياً في إغناء النص. وفضلاً عن معرفتي بمدينة طنجة، فقد حرصتُ بالطبع على العودة إلى بعض المصادر والوثائق التاريخية حول بدايات القرن العشرين في هذه المدينة. كما زرتُ باريس ونيويورك، وتَرَدّدْتُ عدة مرات على بيت جيرترود ستاين بباريس في العنوان الشهير - 27، زنقة دو فلوريس (غير مسموح - للأسف - بدخوله)، ونفس الشيء حدث مع متحف الميتروبوليتان في نيويورك. لم أشبع أبداً هناك من مشاهدة بُورْتْريه جيرترود الذي أَنْجَزَهُ بيكاسو. والواقع أنني قَرأتُ كثيراً من الأعمال الفكرية والنظرية والأدبية لأكْتُبَ هذه الرواية. رواية علّمتْني الكثير من الأشياء في الواقع.

في اعتقادك، هل تخلص الرواية المغربية المعاصرة من الطابع المحلي على صعيد الموضوعات، وانفتاحها على «الأفق الكوني للرواية» كما ينعته فيليب رو ث، كفيل بحملها إلى آفاق أبعد على صعيد التداول والتلقي والترجمة؟

- دَعْني أقتسمْ معك هذه النظرة، فأؤكد معك أن الرواية المغربية أصبحت في حاجة إلى تَهْوية. أظن أن هناك إحساساً بهذا الجانب قد بدأ يتبلور لدى مجموعة من الكُتّاب المغاربة. وما تشير إليه هو ما يقوله لي وأقوله باستمرار للصديق الروائي عبد الكريم جويطي، وما قاله لي، مؤخراً فقط، الروائي يوسف فاضل بوضوح يَنِمّ عن حاجة إلى تعميم إحساسه الشخصي. وهو ما عبّر عنه الصديق محمد الأشعري في أكثر من مناسبة.

لا يمكن لكاتب مغربي وافد على الحقل الروائي أن يكرر كُتّاباً مغاربة سَبَقُوه، ولا أن يشبههم. فلا ذلك سيَقْبَلُه هؤلاء ولا سيخدمه هو أو يخدم أفقه ومستقبله، فَضْلاً عن أنه لن يخدم الأدب المغربي الحديث والمعاصر. ولا أتحدث هنا من باب المفاضلة بين الأجيال، وإنما من جهة التراكم الخلاّق والترصيد الواعي بالجذور وبالامتدادات. لا ينبغي أن نسمح بتكرار التجارب والأصوات والتيمات، وهذا دور موكول إلى النقاد والبحث الجامعي الرصين. علينا أن نعترف بأن المتن الروائي المغربي، برغم تاريخه الفَتيِّ سرعان ما أنهكَتْه النمطية، وربما التقليدية. وهي نمطية بدأنا نلمسها - للأسف - في السينما المغربية كذلك، وفي المسرح بينما لا نراها - مثلاً - على مستوى الكتابة الشعرية أو القصة القصيرة أو الفنون التشكيلية.

لقد حان الوقت، ربما، ليكتب الروائيون المغاربة رواية معاصرة لقراء معاصرين في العَالَم. بتْنَا في حاجة إلى كاتب روائي مغربي بالعربية يمتلك رؤيةً لها تَطلُّع كَوْني. وهو تطلع لا يعني الانتشار والعالمية بكيفية آلية، بل مدى انخراط العمل الروائي ضمن منظور مستقبلي في مخاطبة قراء العالم. وبهذا المعنى، يمكن للكاتب الذي يمتلك تطلعاً كونياً أن يخاطب قراء مجتمعه ولُغَته، بل يمكنه أن يتوغل في أَنَاه شريطة أَن تكون أنَا منفتحة، تتبادل مع الآخرين.

ومن هُنَا تأتي قيمَةُ مشاريع بعض الأعمال الروائية العَربية الجديدة الناجحة، من مصر ولبنان بالخصوص، أو بعض الأعمال الروائية المغربية المكتوبة بالفرنسية التي يفضل البعض أن ينعتها بكتابة «المُوضَة» أو كتابة «الكارت بُوسْطَالْ» من باب الغيرة والتبخيس أو ما لا أعرف، بدلاً من استيعاب ميكانيزمات نجاحها وانتشارها وقدرتها على الإقناع.

هناك مَنْ لا يُجيدُ، للأسف إلا الهزء من الأعمال الأدبية عندما تفشل ومحاربتها عندما تنجح وتنتصر. ولكن، لحسن الحظ وعلى نحو ما أكده كُونْدِيرَا، فإن الهزائم في تاريخ الأدب ليست انتصاراً لأحد. كما أن التراكم في تاريخ الأدب ليس تراكم أحداث كما عليه الأمر في التاريخ الآخر (السياسي)، وإنما هو تَراكُمُ قِيَم جمالية ومعرفية وإنسانية أساساً.



أمجد ناصر

في البدء كان الشعر!

عندما يكتب شاعر رواية فليس ذلك هروباً من الشعر. فالشعر بوسعه أن يتخلل أنواعاً كتابية عدة من بينها الكتابة الروائية أو القصصية، الأمر، والحال، يتعلق بتنويع في مدونة الشاعر الكتابية، وربما برغبة في توسيع حدود التعبير. لقد عاش العالم طويلاً من دون رواية ولكنه عرف الشعر باكراً. أعني روح الشعر وليس بالضرورة ما تواضعنا عليه من أشكال صارت خاصة بالشعر وحده. الشعر، حسب ظني، هو أصل التلفظ الأدبي. أي في البدء كان الشعر. الرواية، كما نعرف، جاءت لاحقاً.. ففيما يصعب تحديد بدء للشعر يمكن لنا، على نحو أو آخر، ردّ الرواية إلى زمن ورواد.

هناك أمران حدثا في الشعر والرواية عندنا، وربما عند غيرنا. فقد تغير شكل الشعر وتغيرت صورته وإجراءاته اللغوية والكتابية منذ وقت طويل، تحديداً منذ مجيء قصيدة النثر، كما أن الرواية راحت توسع حدودها وتنأى عن كونها وعاء حكائياً فقط. هذا يعني أن القصيدة اقتربت، مع قصيدة النثر تحديداً، من السرد والقص، كما أن الرواية، الحديثة خصوصاً، مالت إلى فعل الكتابة أكثر من ميلها السابق الى الحكاية أو الحدوتة. وفي فعل الكتابة يمكن توقع الشعر والمعرفة والتواريخ الصغيرة والتأمل في مصائر الإنسان في زمن استفحال القوة والمال والتكنولوجيا والحروب.

وأظل، هنا، مع الشاعر الذي يكتب رواية، لكي أقول إنه يسحب معه لغته إلى النص الروائي، كما يحدث مع أي شكل كتابي يتصدى له. ليست هناك لغتان للكاتب: واحدة للشعر وأخرى للنثر، رغم الاختلاف الإجناسي بين الفنين. هذا يعني أن لغة الشاعر في الرواية مشدودة أكثر، وربما مكثفة أيضاً. الاقتضاب سمة الشعر عموماً فهو يعمل على ضغط العالم في حيّز لغوي وتعبيري محدود. هنا، في ظني، يفيد الرواية التي تعاني عند كثير من الروائيين العرب من الترهل والثرثرة اللغوية إن لم يكن من الركاكة. اللغة أساس في الرواية مثلما هي أساس في الشعر. وسيط الشاعر هو اللغة وكذلك الأمر بالنسبة للروائي. فلا يمكن تقديم المادة الحكائية، أو السردية، بوسيط آخر غير اللغة. يحدث هذا في السينما التي لها لغة بصرية. ولكني لا أتحدث هنا عن السينما بل عن الأدب الذي هو ابن اللغة. كما أزعم أن الشاعر يقدم للرواية تصوراً مختلفاً للعالم. إنه تصور قادم من البعد الحلمي للشعر. ولكن هذا لا يعني مماهاة الشعر بالرواية. فهناك، رغم كل محاولات محو الحدود بين الأجناس الأدبية، خصائص للجنس الأدبي واشتراطات واعتبارات طالعة منه. فالرواية رغم أنها ابنة اللغة، وقد تشترك مع القصيدة في بعض الشروط الأدبية، غير أنها مختلفة عن القصيدة سواء في البنية أو في الإجراءات السردية أو في استضافتها الشخوص والأمكنة والأحداث.

***

يتهم الشاعر الذي يكتب رواية (عندنا فقط!) أنه يجترح سيرة ذاتية مقنّعة. لكن فهمي للسيرة الذاتية يقول إن هذا العمل الأدبي يُعنى، على نحو واضح، بالحقيقة أو بالواقع الفعلي الشخصي أو العام، الذي قد يجري عليه مجرى الصدق أو الكذب، أو قد يحاكم بهما ويقاس بما يملكان من اشتراطات. قد يكون الصدق الواقعي معياراً للسيرة الذاتية، بمعنى أنه لا يجوز لكاتب السيرة الذاتية أن ينسب الى نفسه أدواراً لم ينهض بها في الحياة الواقعية، لا يجوز أن يكذب في أمر اشتراكه، مثلاً، في حادثة ما. هنا يقع الخطاب في حيز الكذب بالمعنى الحرفي للكلمة. ولكن هذا لا ينطبق على الرواية التي يعنيها ما نسميه بـ «الصدق الفني». أي التصرف الإبداعي والتخييلي في المادة الواقعية، أو ما يسميه ماركيز «التحويل الشعري للواقع». ولكن بما أن ليس للرواية وصفة واحدة يحدث أن تكون هناك روايات مبنية على السيرة الذاتية أو على شظايا متناثرة منها. هناك كتاب جعلوا حياتهم مداراً لكتابتهم السردية (الروائية) أمثال مارسيل بروست، هنري ميلر، انسين نين، وفي العربية محمد شكري. ينطرح، هنا، مرة أخرى تداخل الحدود الأدبية، وبطلان الوصفات الحاسمة، فنرى أن تلك الأعمال محسوبة على السرد الروائي أكثر مما هي محسوبة على السيرة الذاتية الصرف.

أخيراً، ليست المصادر الأولى للعمل الروائي مهمة في حد ذاتها. فسواء كانت قادمة من الشخص ذاته، خبرته، أو مخيلته، أو حتى من التاريخ المُعطى، فالمهم هو أن تحقق الرواية نفسها في حيّز جنسها.

فضيلة ياسين شقيقة الروائي وكاتمة أسراره:

كاتب ياسين غنيمة الأدب



| **مكي أم السعد** – الجزائر



الكاتب والمسرحي الجزائري كاتب ياسين (1929 - 1989)، صاحب مقولة «الفرنسية غنيمة حرب» تحوّل، بعد أكثر من عشرين سنة عن رحيله، إلى «غنيمة» إعلامية، تستغلها السّلطة السياسية، التي عارضها طويلاً، في تبيض صورتها، ويختفي وراءها كتّاب، أمثال رشيد بوجدرة، قصد كسب مشروعية لدى القارئ. «الدوحة» زارت شقيقة كاتب ياسين، كاتمة أسراره، ورفيقته في الأوقات الصعبة سنوات الثمانينيات، وفتحت معها حواراً يكشف وجهاً آخر من حياة صاحب «نجمة» (1956). تتحدث «فضيلة» شقيقة الأديب في هذا الحوار عن ملامح شخصية ياسينية ظلت مطمورة لسنوات.

غالباً ما ترفضين المشاركة في الملتقيات المنظمة سنوياً، من طرف وزارة الثقافة، حول أعمال وحياة كاتب ياسين. لماذا؟

- ما يقام من ملتقيات يبقى دون مستوى أعمال كاتب. يتوجب أن يسند الأمر لدارسين وباحثين متخصصين. اللافت أن الدراسات التي تمت بالمراكز الثقافية الفرنسية في الجزائر كان طابعها أكاديمياً، وجاداً أكثر من الملتقيات الرسمية. أتمنى أن يلتفت مستقبلاً منظرو الملتقيات إلى أفكار ياسين ومؤلفاته. كما أرجو أن تعود مسرحياته إلى الركح (الخشبة)، وان تعرض مؤلفاته بالمكتبات. غايته كانت التقرب من الشعب، وليس شيئاً آخر.

كيف تفسرين احتفاء وزارة الثقافة، سنويا، بكاتب ياسين، الذي عاش معارضاً ومقاطعاً للدوائر الرسمية؟

- الحاصل اليوم أنهم يرخصون لفسحة ملتقيات، في وقت يبقى فيه مسرحه مغيباً خوفاً من أفكاره. وقد تنبأ بذلك عندما قال لي يوماً: «يا فضيلة أنا لن أموت، وحتى لو حدث ذلك فسأكون أكثر خطراً». كتاباته التي كانت مفاجئة ومحيرة للفرنسيين، لم تلق الحفاوة نفسها بالجزائر، حيث كان مجهولاً تماماً. لم يتلق أية مساعدة من الوزارة ولا من وسائل الإعلام الحكومية. السلطات كانت تتخوف من انعكاس كتاباته وآرائه على الجماهير. فالرئيس الأسبق هواري بومدين طلب منه أن يكتب دون إقامة لقاءات، خشية انتقاد أداء الحكومة، كما أن انتقاده لحكم الرئيس أحمد بن بلة عرضه لمضايقات ومطاردة، ودفعه للهجرة مدة سنوات إلى فرنسا. عندما عاد التقى ببعض المناضلين المثقفين، أمثال علي زعموم، رضا مالك ومحمد سعيد معزوزي، وساعدوه على تكوين فرقة مسرحية، تحمل تكاليفها واستمر عملها لعام 1978. وزارة الثقافة لم تعترف به سابقاً ولا حتى اليوم بدليل إبقاء أعماله في الظل، لكن أعماله لا تسقط بالتقادم، ولا تفقد صلاحيتها، لأنها ذات قيمة إنسانية.

كيف كانت علاقته بالأوساط الأدبية، وبالكتّاب خصوصاً علاقته بالروائي رشيد بوجدرة الذي يذكر مرارا بأنه خليفة كاتب ياسين؟

- كان ياسين محاطاً بكثير من الأسماء الأدبية المتميزة، أمثال محمد ديب ومالك حداد، الذي عاش معه فترة من الزمن وعمل معه في صحيفة «ألجيري ريبيبليكان» اليسارية. بالنسبة للروائي رشيد بوجدرة، فهو بخلاف ياسين، كان يتودد للمسئولين، وكان يكره شقيقي في حياته وبعد موته. ياسين حذرني منه رغم أنه لم يكره شخصاً في حياته، والسبب في ذلك هو «الغيرة» التي أصابت رشيد بوجدرة مع الشهرة التي بلغها ياسين. بعد وفاة ياسين راح الروائي بوجدرة يقارب رواياته برواية «نجمة» ليمنحها نوعاً من الشهرة. شتان ما بين «نجمة» وروايات بوجدرة.

قيل الكثير حول حياة كاتب ياسين. ما هي الأشياء غير المعروفة التي من الممكن أن تضيفيها إلى سيرته؟

- موهبته وكيفية تشكلها. كاتب ياسين الإنسان. والتناغم الذي ميّز حياته، الجمع بين عدد من المواهب، والإلمام بفنون المسرح، الأدب نثراً وشعراً، والأهم من ذلك روحه «الوطنية» التي تفجرت في سن السادسة عشرة من عمره وجرته إلى زنزانات الاستعمار الفرنسي، كلها محطات تحتاج لإعادة الدراسة، ويمكن أن يهتدي الباحثون لها بقراءة جديدة لـ «نجمة»، دون إغفال أهم عنصر، وهي العائلة التي ذكت عبقريته، والتي تتجلى في «الأم» التي كانت مسرحاً قائماً بذاته، وجدي كاتب أحمد بن الغزالي، الذي كان يعمل كاتباً شرعياً، ويكتب بمجلة «الكواكب» التونسية ومجلة أخرى مصرية، ومكتبته المتفردة في المنطقة، كل هذا الزخم يضاف إليه جمع أفراد العائلة، منهم جدي لأمي كاتب صالح بين الشعر، الغناء، المسرح والكتابة، والأمسيات التي تقيمها العائلة للشعر والغناء الأندلسي بين 1910 و1920.

كثيرون كتبوا عن ياسين. على غرار بن عمر مدين وأحميده عياشي. وصدرت لحد الساعة أكثر من سيرة. من هو الكاتب الذي استطاع فعلاً الاقتراب من حياة كاتب ياسين؟

- عند المقارنة بين ما كتبه مثلاً بن عمر مدين وأحميدة العياشي أفضل الأول. وربما لا وجه شبه بينهما، لأن بن عمر درس أعمال ياسين جيداً لكنه لم يعرفه بنات القدر، فكتابة سيرة تتطلب الإلمام بالشخص وأعماله المسرحية، النثرية والشعر، وبمؤلفه «نجمة» الذي يحتاج لمختصين في الأدب من أجل فهمه. باعتقادي أن ما كتبته الناقدة الفرنسية «جاكلين آرنو» أهم بكثير، لأنها كانت صديقة شقيقي وصديقة العائلة وعلاقتنا ممتدة لخمسين سنة. فقد كانت تحوز كل وثائقه وساعدته على العودة إلى التأليف والنشر بعد أن قرر التوقف.

رد على فضيلة كاتب

بوجدرة: لن أتراجع عما قلت

نوّارة لحرش - الجزائر

الروائي رشيد بوجدرة المعروف بتصريحاته المثيرة للجدل، خرج هذه المرة لينبش ويخدش في حياة ومحيط كاتب ياسين، الذي يرقد في قبره منذ أكثر من عشرين سنة. ما المغزى من إثارة زوبعة عن كاتب ياسين بعد كل هذه السنوات من غيابه؟ هل يريد صاحب «الحلزون العنيد» أن يختلف فقط عن الذين احتفوا بكاتب وذكراه الأدبية والنضالية؟ حيث وجه انتقادات لاذعة لما أسماه بـ «المحيط المتدني لياسين» ووصف الأشخاص الذين كانوا يُحيطون به بـ «ذوي المستوى الثقافي المحدود والأميين». كما قال بأن ياسين كان يتردد على الحانات لأنه، من جهة لم يكن له مأوى، كما كان، من جهة ثانية، مُسَانَدًا ومحمياً من طرف بعض رموز وأجنحة السلطة.

لكن كيف يمكن لرجل يتردد على الحانات لأنه بلا مأوى وفي ذات الوقت يكون مُسَانَداً من بعض رجالات السلطة وصديقاً لهم؟ هذه التصريحات المتناقضة استنكرها بشدة الوسط الأدبي والإعلامي الجزائري، وكذا الوسط العائلي لكاتب ياسين. وقد كان بوجدرة قد صرح: «كاتب ياسين كان يحظى ويتمتع بالمساندة من بعض أجنحة السلطة آنذاك عكس ما كان يتصوره البعض». وذكر أنه كان صديقاً للوزير محمد الصديق بن يحيى والهادي لخنيري، المدير العام للأمن الوطني. ثم سرد بوجدرة بعض أفضاله على كاتب ياسين بالإشارة مثلاً إلى أنه هو من اقترحه على رأس مسرح سيدي بلعباس وأقنع الوزير رضا مالك بقبول الاقتراح. لكنه ندم في ما بعد - يضيف بوجدرة - لأن ياسين لم يكن يرغب في تولي المنصب.

وفي تصريحه لـ «الدوحة» قال بوجدرة: «أنا لا أعرف شقيقة كاتب ولم ألتق بها إلا شهر أكتوبر/تشرين الأول على هامش ملتقى كاتب ياسين، فكيف تقول إن شقيقها حذّرها مني وأنا لا أعرفها أصلاً؟». وأضاف: «هي لا تستحق أن أرد عليها، فهي تهذي، والجميع يعرف عنها شطحاتها». واستطرد بلهجة هادئة: «أنا لم أسئ لكاتب ياسين، بل على العكس تماماً، لقد رفعته عالياً بإشادتي بأدبه. نعم العكس هو الذي حدث، لقد حاضرت من أجله و من أجل أدبه بعمق وبحب وأشدت به ككاتب جزائري ومغاربي وعربي، كما أشدت بكتاباته وبروايته «نجمة» على الخصوص، وما تدعيه شقيقته بأن كاتب ياسين يكرهني أو أنا أكرهه لا أساس له من الصحة». صاحب «التطليق» قال أيضاً: «والله أنا قلت كلاماً كثيراً وجميلاً عن كاتب ياسين. ولا أدري لماذا السيدة فضيلة أخذت فقط بعض انتقاداتي لحياة ياسين وركزت عليها وجعلت منها قضية وأثارت بها ضجة بهذا الشكل». وختم بوجدرة تصريحه للدوحة بتأكيده أن لجنة ملتقى كاتب ياسين ستقاضي السيدة فضيلة على تصريحاتها الأخيرة التي أساءت فيها لشخصه واتهمته فيها بمحاولة تشويه سمعة شقيقها.

فاتسلاف هافيل

«حين يكون للشعراء صوت مسموع مثل صوت أصحاب البنوك»

عام الموت الذي ودعناه، أسدل ستاره برحيل أيقونة أخرى من دعاة الإنسانية. إنه المسرحي العبثي فاتسلاف هافيل رئيس جمهورية التشيك الأسبق، سليل مرتفعات بوهيميا، أرض جمهورية التشيك التي شهدت عبور غجر رومانيا، حاملين معهم البوهيمية إلى فرنسا القرن التاسع عشر. هافيل الأديب والمسرحي ولعله بوهيمي في أعماله المصنفة ضمن مسرح العبث «حفلة في الحديقة» (1963)، و«المهلة»(1968)، و«الرحيل» (2008).. وهو أيضاً حاصل على تسع شهادات دكتوراه فخرية. أما هافيل الرئيس فهو المناضل والسياسي المعارض والمعتقل لسنوات في سبيل الحرية والعدالة. وقد بلغ ذروة نشاطه السياسي إبان غزو حلف وارسو لتشكوسلوفاكيا فيما سمي بـ«ربيع براغ»، وعقب ذلك منعه القادة الشيوعيون عام 1969 من ممارسة عمله ككاتب فاضطر للاشتغال عاملاً يدوياً في مصنع بيرة. وكان له إسهام بارز في إعلان «ميثاق 77» احتجاجاً على قمع الحريات، وكذلك في تأسيس «لجنة الدفاع عن المضطهدين» عام 1979.

ومن موقع النضال ضد السلطة الشمولية في التشيكوسلوفاكيا سابقاً، التي دار تاريخها في فلك النازية تارة والاتحاد السوفياتي تارة أخرى، وما قبلهما من ذاكرة حروب النبلاء



والكنائس، واضطهاد الأقليات التي أثرت على المجتمع التشيكوسلوفاكي، صعد هافيل هرم السلطة في ثورة سلمية وحدت مطالب المضطهدين، عرفت بـ«الثورة المخملية» في تشرين الثاني/نوفمبر من العام 1989. وقد تولى رئاسة تشيكوسلوفاكيا في 29 كانون الأول/ديسمبر 1989، وبعد اختلاف التشيك والسلوفاك أعيد انتخابه رئيساً لجمهورية التشيك في 2 فبراير 1993 حتى 2 فبراير 2003.

هافيل، وهو يخطط لإسقاط الشيوعية التي كان بعد سقوطها فعلاً، عميق الأثر في أوروبا، خطط أيضاً، وهذا ما حصل، لإطلاق الحريات المدنية في الدين والتعبير والصحافة، وقد سنت في بدايته تشريعات جديدة أدت إلى تغيير النظام ومنح حق التملك وإنشاء نظام الاقتصاد الحر في ظل دولة الحق والقانون. ونظراً لمرجعيته الحقوقية التي كرسها في فترته الرئاسية كما ناضل من أجلها من قبل ميدانياً وفي أدبه، نال هافيل جائزة غاندي للسلام الرفيعة اعترافاً بمواقفه تجاه السلام العالمي وحقوق الإنسان. ولعل آخر مواقفه الحقوقية هاته ما قاله في القذافي قبيل تدخل الناتو، في تصريح لصحيفة «هوسبودارسكي نوفيني التشيكية»: «لفترة طويلة نظر المجتمع الدولي للعقيد معمر القذافي على أنه نوع من المهرجين ولكن في الحقيقة فإن الزعيم الليبي (مجرم مجنون)». وهافيل كان أيضاً مريداً روحيا للزعيم الهندي الراحل المهاتما غاندي.

كيف يمكن أن أشرح هذا التغير، الذي لم يكن محتملاً، في شخصيتي؟ ربما أفكر في الجواب بعمق أكثر عندما لا أصبح رئيساً، وهذا سيحدث في فبراير 2003 عندما يكون عندي وقت بعد انسحابي وابتعادي عن السياسة والحياة العامة، وأصبح - مرة أخرى - إنساناً حراً تماماً. عند ذلك سأكتب شيئاً غير الخطب السياسية.. وهكذا أجد الاضطراب الروحي والفكري نفسه، الذي أجبرني على تحدي النظام الشمولي السابق ودخول السجن، يتسبب في أن تكون عندي شكوك قوية في قيمة عملي الذاتي، أو إنجازات الأشخاص الذين عينتهم وجعلت لهم نفوذا».

فاتسلاف هافيل عندما جرب حظه كرئيس جمهورية معروف عن جغرافياتها المحيطة في أوروبا الشرقية التقليد الراسخ بانتقال أهل الأدب والفن إلى حلبة السياسة. يحذرنا في النهاية من الظن بأنه من الممكن للعالم عندما يحكمه شعراء أن يتحول إلى قصيدة.



أمير تاج السر

الزمن الجميل

في شهادته على العصر، التي ألقاها في ساحة المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون، بالخرطوم، العام الماضي، تحدث الدكتور حيدر إبراهيم علي، أستاذ الاجتماع المعروف، ومؤسس مركز الدراسات السودانية، كثيراً عن الهم السياسي والثقافي لبلاده، منذ سنوات طويلة، تحدث عن إشراقات جيله، وإخفاقاته، ونظرته الخاصة لمستقبل السودان في ظل المتغيرات الكثيرة التي حدثت في العالم.

لقد تحدث دكتور حيدر، عما يصطلح عليه بالزمن الجميل، مستغرباً من تلك الإحالة، وعما يقصد بذلك الزمن، حين يتأسى أحد على الزمن الجميل الماضي، ولا يكون جميلاً على الإطلاق. ويرى حيدر إبراهيم، شخصياً أن السودان لم يمر بزمن جميل قط، حتى يبكي عليه أحد، واستشهد بعصر الاستعمار المستبد، وعدم الاستقرار السياسي بعد أن انتهى ذلك العهد، وما مسألة الزمن الجميل تلك، سوى اختراع، مرادف للتأسي بلا أي سند واقعي.

في هذه المسألة، أختلف كلياً مع الدكتور حيدر إبراهيم. فنحن لسنا وحدنا، نتأسى على زمن جميل مضى، ولكن تشاركنا ذلك، كل الشعوب تقريباً. الماضي الجميل هنا، لا يعني رغداً في العيش أو حياة بلا متاعب، أو بلاداً هادئة مستقرة، تعطي كل ذي حق، حقه، ولكن بالقطع يعني، علاقة الفرد مع مجتمعه، وخلو ذهنه الشخصي من كل أنواع القسوة التي سيصادفها فيما بعد. فالذي عاش صغيراً في فترة الستينيات، من القرن الماضي، يرى تلك الفترة، أخصب أيام حياته، يبكيها بحرقة، ويتمنى عودتها، الذي يعيش صغيراً في أيامنا هذه، التي لا نعتبرها زمناً جميلاً، سيأتيه يوم يبكيها، باعتبارها أفضل أيام حياته.

في رأيي أيضاً، توجد كثير من الدلائل، التي تصف زمناً بالجميل، وآخر بالقبيح، وتفضل أحدهما على الآخر، وأقول صراحة فيما يختص بالسودان، إن ماضيه الاجتماعي، أفضل آلاف المرات من حاضره الاجتماعي الذي نعيشه اليوم، هناك توجد سطوة الأخلاق التي تجعل جاراً، أباً لأي طفل يسكن في الجوار، وحامياً لكل أسرة تقطن.

سطوة التقدير، التي تجعل مدرساً في المدرسة الابتدائية، مهاباً، حتى وهو سائر في الطريق، أو يتسوق من السوق، وأذكر حتى الآن، الأستاذ عطا، الذي كان يطوف أحياء مدينة بورتسودان، على دراجته ليلاً، يتفقد الحفلات الضاجة، حتى إذا ما عثر على تلميذ من تلاميذ المدرسة، اقتنصه، وعاقبه عقاباً شديداً، ونتيجة لذلك، لم يعد أحد، يجلس في أي حفل عرسي، حتى لو كان في بيته. والآن لا نستطيع السيطرة على أبنائنا، لا نستطيع انتزاعهم من سطوة النوكيا، والبلاك بيري، وصفحات الفيسبوك التي يصادقونها أكثر من مصادقتهم لأفراد العائلة.

يوجد زمن جميل بلا شك، توجد أيام عذبة لن تعود، ولذلك لا نستطيع إلا أن نتذكر، ونردد في كل مناسبة: لو عاد الزمن الجميل!!.

الشاعر العراقي يوسف الصائغ في ذكرى رحيله

ما زال غزالاً يطارده قاتلوه

إنعام كجه جي - باريس

كنت طالبة في الثانوية حين كتبت قطعة أدبية وأرسلتها إلى يوسف الصائغ، شاعري المفضل، آنذاك، الذي كان يحرر صفحة في مجلة «ألف باء» البغدادية بعنوان «أفكار بصوت عال». وكنت أتوقع، في أحسن الأحوال، أن ينوه بها أو يحيلها إلى بريد القراء. لكنه تواري من صفحته وأفسح في المجال لخاطرتي التي نسيت، اليوم، موضوعها.

ذلك كان اللقاء «المعنوي» الأول بيننا. وعندما دخلت كلية الآداب في جامعة بغداد لأدرس الصحافة، قبل أربعة عقود، وجدته أمامي طالباً كهلاً يعد أطروحة ماجستير في الأدب، يقف في حديقة الكلية محاطاً، دائماً، بطالبات تكسرت قلوبهن وهن يقرأن مرثيته البديعة لزوجته، «سيدة التفاحات الأربع»، التي نزفت دمها وماتت أمام ناظريه في حادث سيارة في جبال الشمال. إن الحزن يليق بالشعراء. وقد عرف الصائغ كيف يوظف أحزانه ومراثيه في أشعاره، وتبنى، بجدارة، صورة الإنسان المقهور أمام الخسارات. كان خسراناً في الحب. وخسراناً في السياسة. وخسراناً في الصداقات. وقد مات في دمشق خاسراً وطنه الذي احتله الأميركان.. الوطن الذي أبى، في قصيدة شهيرة له، أن ينظر إليه من ثقب الباب بل من قلب مثقوب.

سافرت لإكمال دراستي في باريس ودخل الصائغ المعتقل بعد انهيار ما كان يسمى بالجبهة الوطنية التي شارك فيها حزبه الشيوعي. ولما عدت في زيارة قصيرة سمعت أنهم قد أطلقوا سراحه وهو يقبع وحيداً في بيته، صوب الكرخ، لا يزور وقلما يزار بسبب مراقبة الأمن لمن يتردد عليه. وحين اتصلت به صاح حالما سمع صوتي: «تعالي... ولكن أوقفي السيارة في الشارع العام وأكملي سيراً». كان صاحب الدكان المقابل لبيته يكتب التقارير ويسجل أرقام السيارات. وحين وصلت متسترة بالمغيب، فتح الباب قبل أن أرن الجرس ثم أغلقه على عجل وأسدل الستائر. إنه واحد من تلك البيوت البغدادية التي بنيت في خمسينيات القرن الماضي، تتقدمها حديقة واسعة ذات شذى ليليّ وتطرز جدرانها تلك السحلية المحلية الشهيرة باسم «أبو بريص». لكن سقوف يوسف وجدران بيته الداخلية كانت، كلها، مرسومة بتهويمات وأشكال هلامية لكائنات تشبه الملائكة ولحوريات ذوات شعر مسترسل يتطاير بفعل ريح مفترضة.

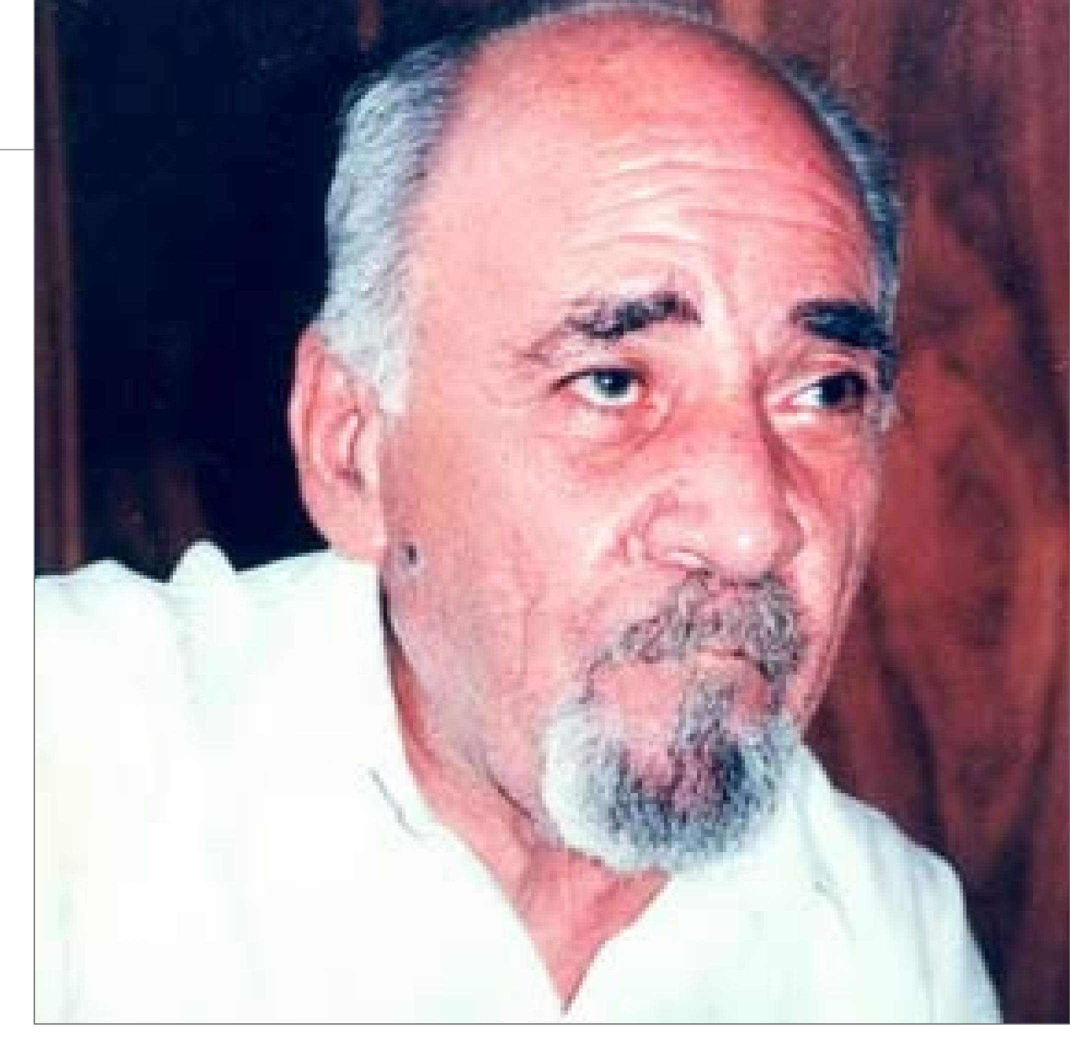
قال لي إنه يضجر كثيراً ولا يجد ما يفعله سوى الرسم، إحدى الهوايات التي رافقته منذ طفولته الموصلية وكان يجد فيها تخفيفاً من وحشته. أليس هو الذي رسم سقف كنيسة «الطاهرة» في الموصل على غرار رسوم مايكل أنجلو لسقف كنيسة «سيكتين» في الفاتيكان؟ تذكرت أنني كنت شاهدة، في مرسم ضياء العزاوي، على ولادة لوحة اشترك يوسف الصائغ في رسمها مع الشاعر شفيق الكمالي ومع العزاوي. ولعلها كانت سذاجة مني، يومذاك، أن التقطت صورة للثلاثة مع اللوحة غير المكتملة، المسندة إلى قائمة الرسم الخشبية، ونشرت موضوعاً عنها في جريدة «الثورة»، مع ما قد يسببه ذلك من إحراج لهم بسبب اختلاف مشاربهم السياسية والتقائهم كأصدقاء. من منا لم يكن ساذجاً في تلك الفترة الواعدة من أواسط سبعينيات بغداد، أيام الجبهة الوطنية؟

لم أطل المكوث في بيته لأنه كان خائفاً عليّ. وقبل انصرافي أعطاني مجموعة وريقات مربعة صغيرة من النوع الذي يستعمل لتسجيل الملاحظات، وأخبرني أنها قصائد كتبها في المعتقل ويريد إيصالها إلى أصدقائه الذين كان أغلبهم قد هرب من البلد، وطلب مني أن أسلمها، في باريس، إلى صديقنا المشترك الفنان والشاعر محمد سعيد الصكار. وهكذا كان. وفي تلك القصاصات قرأت:

«بابي مفتوح طول الليل
مرّ به اثنان:
شرطيّ سريّ، وصديق سكران»

وقرأت:

«كنت متكئاً في سريري
وإلى جانبي امرأة عارية
فجأة فُتح الباب
جاء رجال ثلاثة
أخذوا امرأتي وخلوا إلى جانبي
امرأة ثانية...»



ثم دارت الأيام و«تاب» الصائغ عن شيوعيته وبدأ يحرر صفحة في جريدة «الثورة»، كما عاد إلى الوظيفة وصار مديراً عاماً في وزارة الثقافة والاعلام. وفي إحدى المرات، زرته في مكتبه في دائرة السينما والمسرح، وتصادف وجود الصديق والزميل محمد كامل عارف عنده، وقد أصر على أن يخرج بنا إلى الشرفة العريضة الملحقة بالمكتب والمطلة على دجلة وحيّ «كرادة مريم»، وهو يسخر معنا من تلك الوجاهة التي لا تناسبه كثيراً. ثم صرت ألتقيه، بين سنة وأُخرى، حين كان يأتي إلى باريس برفقة صديقه الشاعر حميد سعيد لكي ينقلا إلى المثقفين والصحافيين العرب والأساتذة الفرنسيين دعوات لحضور مهرجان «المربد» الشعري في بغداد.

في باريس، لم تكن هناك عيون تراقب. وقد زارني الصائغ وصحبه في شقتي وكان نزقاً في مرارته وهو يحنق على رفاقه الذين «يتسكعون في هذه البلاد» بينما يعاني العراق وأهله من ويلات الحرب مع إيران. ثم فوجئت به يهاتفني في وقت مبكر، بعد يومين، ويدعوني لكي نفطر في أحد مقاهي «الشانزليزيه»، غير بعيد عن الفندق الذي كان يقيم فيه. ولما خرجت من نفق المترو وجدته واقفاً يدخن بعصبية، وسار بي، بدل المقهى، إلى «بار ألكسندر» الذي كان عند مفرق جادة جورج الخامس، وبدأ يشرب. وهو تحصيل حاصل لا يزعجني لأنني أعرف أن رجالنا يعاقرونها منذ الأزل. لكنني لم أفهم ذلك الهروب الصباحي إلى الخدر. وخمّنت أنه كان محتاجاً للكلام، وللابتعاد، لبرهة، عن الصحب الذين ما زالوا نياماً بعد سهرة الليلة السابقة.

يجيد يوسف الصائغ تقمص عدة أدوار في الجلسة الواحدة، وهو المحتال الصادق فيها كلها. فهو المريض، أو المقهور، أو المظلوم، أو العاشق المهجور، أو العدواني، أو المغرور. فإذا ما شعر أن أداءه بات يقترب من الخزعبلات وأنه يجالس صديقة قديمة تحاصره بالشكوك، خلع كل أدواره وهدأ منكفئاً على قدحه ولفّه حزن عميق. ثم، كما الصحوة، يرفع رأسه ويتأمل الأغراب السائرين في الشارع المتعالي ويهمهم مطلعاً هبط عليه، فجأة.

«هل لديك ورقة؟».

لم يكن معي سوى غلاف رسالة مهملة في حقيبتي، فتناوله وراح يكتب، مرتجلاً، على ظهره:

«إيه... إيه

يا رجلاً ضيّع نفسه في بغداد...

عبثاً تبحث عن نفسك في الشانزليزيه

كفّ عن التفتيش وتعلّم آخر عمرك

كيف تحبّ... وكيف تعيش».

ثم وقع الأبيات بتوقيعه المتصل وكتب «باريس 1985، 4 تشرين الثاني»، ودفع بالغلاف إلي وهو يؤكد، بلهجة موصلية تجمع بيننا، أنه لن يغفر لي، مطلقاً، أنني لا أهتم بمعاناته وسأبقى «كلدانية خوّافة». هل ذنبي أنني كنت أعتبره، دائماً، ذلك الشماس الذي يرتل الصلوات، بصوته المجروح، وراء الكاهن في القداس، ويهزّ المبخرة لكي تنتشر ضوعها بين المصلين؟ كيف أفصل شماس الكنيسة عن الشاعر الذي يمتهن غواية النساء؟ قال إنه سافر، تلك المرّة، وهو كئيب جداً لأنه يعرف أن السفر لن يقدم له شيئاً وأنه لن يُسرّ به ولن يبتهج. ومن مقدمات كلامه، عرفت أن الاعتراف سيمتد وأنه يريد مني أن أكون محاميته عند الأصدقاء المشتركين. وأخرجت آلة التسجيل الصغيرة التي لا تغادر، مع الكاميرا، حقيبتي، وطلبت منه أن نسجل الحوار لكي أنشره في المجلة التي كنت أعمل فيها. كما أخذت له صورة جاهد فيها لكي يبتسم. وحالما دار المسجل تخلى يوسف عن لهجته الموصلية وطلب كأساً أُخرى وراح يتكلم بالفصحى.

في الشريط الذي أستعيده، اليوم، أسمعه يشكو من الأصدقاء الذين انفضوا عنه بعد ما اعتبروه «خيانة» للمبادئ. يقول: «في السفرة الماضية، كان عندي شوق لهم لكن السفر برهن لي أنه شوق باطل. فأنا قد تبدلت وأصدقائي يتبدلون. إن مسافة من الزمن فصلت بيني وبينهم فلم نستطع أن نبدأ من حيث انتهينا. لقد وجدت لديهم ملامح جديدة، وعندي

دمامل جديدة. وعندهم دمامل قديمة وعندي ملامح جديدة. أما اللغة فلم تعد صالحة بحيث أن شوقي لم ينطفئ فحسب، بل أحسست بأن شوقي لم يكن في محله. ولم يعد السفر يعني لي شيئاً لأنني لم أجئ لأبحث عن باريس، فأنت تعرفين أن الأمكنة لا تهمني ولا الشوارع ولا الأسماء... تلك الأسماء التي تبهر الناس لكنها لا تبهرني. وحتى نسوان باريس لم يبهرنني».

حاولت أن أستفزه فقلت له إنني رأيت السائحات العربيات، في هذا الشارع، يهرعن للسلام على محمود درويش أو التقاط صورة مع نزار قباني، فلماذا لم تلتفت له إحداهن..؟ هل هو شاعر مغبون على صعيد الشهرة والانتشار بين القراء العرب؟

أجاب أن الأمر لا يشغل باله كثيراً. أما إذا كان مغبوناً فلذلك أسباب معروفة: «لقد كنت، منذ بدايتي، شاعراً سياسياً، أي محسوباً على فئة سياسية. ولم يكن شعري يعجب تلك الفئة. ولو راجعته فلن تجدي فيه ما يشكل إعلاماً لأي جهة سياسية، بل على العكس من ذلك، لم يكن يجاري التيار. كان شعراً لا ينتقد أو يجرح أو يعاني أو يكشف حال منتم سياسي. ولم يكن في نية أولئك الذين انتميت إليهم أن يجعلوا من شعري حالة أو أن يروجوا له. بل إن كثيراً من قصائدي ما كانت تسرهم. لقد فتحت السياسة الأبواب لكثيرين من الشعراء وروّجت المؤسسات السياسية لكثيرين. في حين لم تروّج لي تلك المؤسسات لأن شعري لم يكن في الخط الإعلامي الذي تريده. أما الفئات الأُخرى فلم يرق لها شعري، أيضاً. ولهذا السبب أنا مغبون قليلاً. ثم إن شعري لا يصلح للغناء. فهو لا يشبه شعر نزار قباني بحيث يمكن أن تغنيه نجاة الصغيرة أو أم كلثوم. إنه ليس شعراً للترنيم، ولا هو شعر غزل صاف بحيث يحفظه الشاب ويقوله لصديقته. وشعري، أخيراً، فيه من الخصوصية بحيث لا يتاح إلا لمن يعرف التجربة التي عايشت. فمن أين يأتيه الرواج إذا كنت، أنا نفسي، لا أسعى إليه سعي الآخرين له؟ علماً أن في شعري من الصدق ما قد يتنافس مع الآخرين».

سيكارة عاشرة وكأس ثالثة وانتفاضة جديدة: «لماذا على الشاعر أن يكون نجماً؟ أنا يحرجني هذا وأخجل منه. وهو قد يرضيني ضمن حدود صغيرة، كأن أكون شهيراً بين الذين أحبهم، ويعجبني أن يوصلني شعري إلى الحبيبة وأريدها أن تحبني لشعري. أن يكون شعري هو البداية. أن يحبني الصديق لشعري. أما عموم الناس فلا أطمئن، أصلاً، إلى قدرتي على أن أكون شهيراً بهذا المستوى. ولا أفهم كيف يحب الناس شاعراً. إنها حالة اجتماعية غير ثقافية، مثل هامبرغر «أبو يونان» في بغداد، هذا المطعم الذي كان رائجاً جداً بحيث لا يعرف صاحبه، ذاته، لماذا اشتهر. وهناك من الشعراء من يشتهر على الطريقة نفسها لأسباب كثيرة، لست منصرفاً إلى تأملها».

كان منفعلاً وساخراً ومقهوراً في ذلك النهار الخريفي الجميل، فخجلت من استفزازي له وقلت له إنه نجم على المنبر ويعرف كيف يجيد الإلقاء وكيف يتألق ويحوز الإعجاب و... قاطعني: «إن لم يحسن الشاعر قراءة شعره فأي شيء يحسن؟ إن لم يعرف كيف يقول للحبيبة... أحبك... فماذا يعرف إذاً؟ إن شعري يصلح لي وقد كتبته لكي أنفعل به. وعندما أقرؤه وسط حالة شعرية تخلقها صالة، وجمهور لا أعرفه ولا أميّز شخصاً فيه، ولا أنظر إلى عينين مسحورتين تسمعانني، أحس بأن هناك حالة غريبة تصعّد فيّ حمّى من نوع خاص، وكأن القصيدة تخرج مني للمرة الأولى، وكأني أسمعها مع السامعين، وأفهم نفسي من جديد. لا، بالتأكيد لست نجماً ولست مسؤولاً عن نجوميتي داخل القاعة. إن المسؤول هو الحالة الشعرية التي لا أفتعلها ولا أسعى إليها. وأعترف أنني، أحياناً، أحاول أن أقرأ جيداً فتكون النتيجة أسوأ القراءات. وإذا توخيت الدقّة فأنا شخص غير جيد الإلقاء لأن نطقي ليس سليماً، والسين أتلفظها، بعد أن سقط سنّي، ثاء، ومخارج الحروف عندي ليست واضحة، وصوتي مبحوح. وأذكر أن سيدة جاءتني وأنا أقرأ الشعر في تونس وقالت إنها معجبة بصوتي. فقلت لها إنها المرة الأولى التي أجد فيها من يعجب بمرض وبتعب الحنجرة».

نحن الآن وقت الضحى، والحركة تتصاعد في الشارع الذي يضم أفخم متاجر باريس، والعابرات يتمهلن عند الواجهات، ثم يمضين تاركات نفحات من عطورهن. والشاعر الآتي من بلاد الحرب يتفرج مبتئساً مثل يتيم في عيد. هل هي الحرب والمخاطر والإيقاعات المتسارعة ما جعله يطرح الغنائية ويتبنى قصيدة الضربة الموجزة؟ إنه يرى أن قصيدته تغيرت بسبب تبدل خبرته وتجاربه وبفضل التمكن، ويقول: «عندما يملك الإنسان تجربته يستطيع أن يعبر عنها بأبسط ما يمكن وبأقل الكلام. أما الذين ما زالوا على حافة تجربتهم فإنهم يحتاجون إلى وصفها لأنهم لم يتعمقوا فيها. وقد كنت

العدد القادم:

د.حجر أحمد حجر البنعلي يكتب:
إيليا أبو ماضي
قتلته سيجارة وخلدته أشعاره



خربشات على وريقة في «الشانزليزيه».

أصف مشاعري ولا أفتحها، أي لا أضعها أمام الآخرين لأني لست ممتلكاً لها. أما اليوم فأتحدث عن تجربة أعرفها جيداً وأصادقها، وهي نفسي. وعندما أفتح نفسي تخرج الكلمات بسيطة وواضحة. إنها القدرة على كشف جزء كاف من التجربة بحيث يصبح هذا الجزء دلالة على حالة كاملة.

أين ذهبت، أيضاً، استعاراته من التوراة والإنجيل ونشيد الإنشاد التي كان بعضهم يسميها سرقات؟

«لماذا يسمونها سرقات؟ لقد كنت متأثراً بتلك القراءات ثم شحب تأثيرها عليّ. إن هناك من يتهمني بأنني استعرت جملة من هنا أو صورة من هناك. ولم لا؟ لقد أخذ إليوت نصف الإنجيل والتوراة في «الأرض الخراب» دون أن يتهمه أحد بالسرقة. إن تأثري بالإنجيل لم يعد بتلك الفاعلية. أنا لي، اليوم، أناجيلي الشخصية التي أعبّ منها ومن ذاكرتي المليئة بالتراكمات. وإذا عدت إلى قصائدي القصيرة وأعدت قراءتها واحدة تلو الأخرى لوجدت أنها ليست سوى قصيدة واحدة طويلة في مجموعها ولها سياق واحد. إن كل حالة أعيشها تمنحني سلسلة من الصور، وهكذا تصبح القصيدة القصيرة مقطعاً من حالة، وتستمر هذه الصور وتبدأ بالتراكم وتتحول إلى ما يشبه السيناريو، صورة مضافة إلى صورة مضافة إلى صورة. وأنا أقوم بالمونتاج المناسب. وإذا صح التعبير فأنا أطمح إلى القصيدة ـ السينما، أو القصيدة ـ الفيديو التي تشبه خبرتنا مع الفن في أحسن صوره المعاصرة. اسمعي:

«الدنيا غائمة
وحبيبة روحي نائمة
والقهوة فوق النار
يختلط الآن شميم الحب
بعطر القهوة وهي تفوح
ورائحة الأمطار»

واسمعي:

«يدها دافئة
ويدي باردة
خلطنا أصابعنا
وقطفنا معاً زهرة واحدة».

وإليك هذه:

«نافذة مطفأة
تلوح فيها امرأة
مشدودة فوق سرير حديد
وقطة تشوى على المدفأة
وطفلة نيئة
ووطن حر وشعب سعيد
ونيّتان:
نيّة طيبة، ونيّة سيئة».

وهذه:

«أنت الآن هي الوطن المحتل
وأنت القس المغتصب
والمغتصبون صهاينة عرب
يا طفلة روحي
أعرف أن فلسطين ستعود إلينا
يوم تعودين».

أسأله، بعد تردد، إن كان سعيداً بمنصبه الوظيفي الرفيع فيأتيني صوته المبحوح، في شريط التسجيل العتيق، وهو يقول إنه يعيش في دعة لكن الحزن يتسلل إليه، أحياناً، ويحاصره فيشعر بالوحدة لأن أصدقاءه بعيدون ولأن الحزن هو أشرف الفصول. أليس هو الذي كتب في مسرحية «الباب»: «لا بأس بالحزن إذا كان ابن أوادم»؟ إن حوصلته ضيقة وهو لا يطيق اللاتفاهم، ويقول إنه يتصور، في لحظة ما، أنه قد تفهم، وفي اللحظة التالية يكتشف أن كل ما بناه من التفهم غلط، فينعزل ويبقى وحده. تصبح لغته وحده. أحلامه وحده. شهواته وحده. ومشاريعه وحده.. «وعند ذلك أجلس وأحصي دموعي مثل نيرون».

«حين أعود إلى بيتي كل مساء
يخرج حزني من غرفته مرتدياً
معطفه الشتويّ ويسير ورائي
أمشي يمشي
أجلس يجلس
أبكي يبكي لبكائي
حتى ينتصف الليل ونتعب
إذّاك أرى حزني يدخل للمطبخ
يفتح باب الثلاجة
يخرج قطعة لحم سوداء
ويعدّ عشائي».

تزوج يوسف، بعد زوجته وحبيبته جولي، لكن جثتها المدماة في العراء ظلت تسكنه وتتسلل إلى قصائده. ويقول لي إنها عندما ماتت فإنه لم يبحث عنها وراءه بل راح يبحث أمامه، فربما يصادف الحبيبة هناك. «هي لم تمت وحدها فحسب، بل متّ أنا نفسي كثيراً.. ثم انتفضت فزال القبر والكفن».

ظل السؤال الكبير معلقاً في نظراتي. ولم أتلق جوابه إلا بعدما غادر يوسف الصائغ، مع وفد المربد، عائداً إلى بغداد. لقد ترك لي، ورقة مستلة من دفتر، خطّ فوقها بالحرف المرسوم ما يلي:

«غزال يطارده قاتلوه... فيهرب
عيناه واسعتان وقلبه أخضر
حتى إذا حاصرته بنادقهم
توقّف محتمياً بوداعته
وأمال لهم رأسه
وحدّق فيهم حزيناً وقال لهم:
تعبت فلا أستطيع الفرار
افعلوا ما تشاؤون».

توفي يوسف الصائغ في الخامس من كانون أول (ديسمبر) 2005، في دمشق، بعد أن عاش 72 عاماً، وفيها ووري الثرى.

موعد في الربيع

| **ربيعة ريحان** - المغرب

لا أدري لماذا تكون أمي مصممة على الذهاب مع قريبتها لالة خديجة النحيلة والمحنية الظهر قليلاً كل ربيع وأحياناً في الصيف إلى هضبة سيدي بوزيد المطلة على البحر والمدينة إطلالة فخمة، مع أنها لا تحتمل جنون أبنائها السبعة ولا عبثهم الممسوخ، وتعرف أنهم على الطريق كما في البيت سيجرؤون على القيام بأفعال رهيبة ومضحكة لا تخطر لأحد على بال وكأنهم عفاريت مسجونة طلعت للتو من علب مغلقة.

أمي تخطط لأيام مع قريبتها لتلك (النزاهة) المرتقبة بتنسيق مع زوجيهما، وكأنهما مغادرتان إلى آخر الدنيا، وأنا أكون صامتة أراقب كل شيء وأبدع في كل لحظة أساليب خاصة للابتعاد عن طريقهم وعدم الوقوع تحت طائلة تتالي تلك الحركات المليئة بالتفاصيل المفزعة.

ورغم جمال لالة خديجة وبياضها المصفر فأطفالها بشعون بأنوفهم المفلطحة الشبيهة بأنف أبيهم وسيقانهم العظمية، كما أنني لا أدري لماذا تصر أمي وقريبتها على عدم ركوب الحافلة من سيدي بوالدهب إلى محطة سيدي بوزيد مع أننا نصطحب في رحلتنا قففاً ثقيلة مليئة بالخبز والكعك واللحم والصحون والأسياخ وملاءات نفترشها فوق العشب ونحن جالسون خلف سور قبة الولي الصالح على يمين المقبرة.

قبل أن نصل إلى هناك بساعتين أو أكثر بقليل يكون أولاد قريبتنا قد هشموا أشياء كثيرة على الطريق كمثل القناني الفارغة واللمبات المحروقة، كما ركلوا العلب الصفيحية من منطلقنا بدرب الصومعة مروراً بدرب بوجرتيلة ثم الطريق المسفلت العابر بين مقبرة سيدي بوزكري والميناء، كما قاموا بإيذاء بعضهم البعض باللسع بالحريكة التي ينتزعونها من حواف مجاري المطر أوالوخز بالعيدان وتبادل الرمي بالحجارة والدفع المباغت في الحفر ولكم بعضهم البعض على الوجه أو على الأصح فوق الأنف، وطوال ما هم يفعلون ذلك تظل أمهم المسكينة تخبط على خديها من خلف نقاب الموسلين المطرز وقب جلابة الكابردين اللذين يشبهان كثيراً ما ترتديه أمي وتتوعدهم بالعودة الملفقة إذا هم لم يهمدوا فيهربون منها وهم يسابقون الريح.

وحين نصل بعد جهد إلى أعلى الهضبة كنت أتصور أنهم سيكونون أقل عفرتة لأنهم فعلوا الكثير وتقافزوا بما يكفي وأدموا ركبهم وأصابع أقدامهم عبر الحواجز الصخرية في الطريق، لكن الشروع في مد الملاءة ووضع القفف عند قوس قزح الألوان الربيعية الزاهية المختلطة برائحة البحر لا يشكل شيئاً بالنسبة لهم ولا هم يرغبون في أزيد من البحث عن مصادر جديدة للعب المريع.

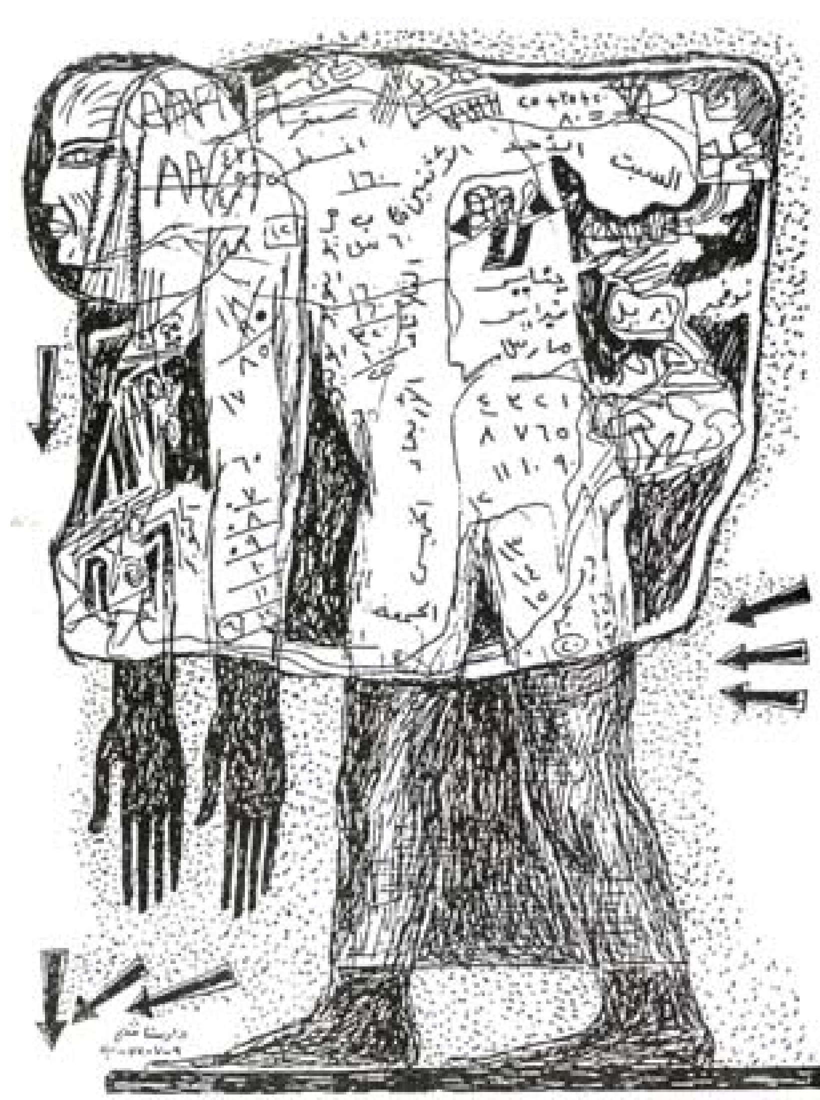
وبينما أمي وقريبتها تقومان بدورهما بإتقان وهما تتحدثان بلطف وتخرجان الأواني وترصانها بعناية كما تطلعان الكعك المدور وتتحققان من طراوة اللحم في السلطانية الخزفية وبناعة النعناع المعاشي تكلف قريبتنا أكبر أولادها والذي يليه بصنع كانون من الحجر للشواء.

ربما كنوع من التحسيس بالمسؤولية تطلب منهما ذلك، لكن للأسف تكون تلك العملية ذاتها مليئة بالمفاجآت الجديدة

التعسة إذ وهم يقلبون الحجر بحماس يسعدون بوجود تلك الحشرات الزاحفة كالعناكب وغيرها التي يلتقطونها ليسوها في رؤوس بعضهم البعض على وقع صرخاتهم العنيفة المرعبة، فتهمس لي أمي ألا أخاف لأنها تعرف أنني أفزع لمجرد مرأى أي من تلك الحشرات أو الزواحف مهما كانت صغيرة.

وأعجب ما في الأمر أن أمي المعروفة بدورها الناصح وبصرامتها لا تتدخل إطلاقاً لإيقاف جنون هؤلاء الأولاد ولا تعلق على تصرفاتهم أمام قريبتها المسكينة إلا حين العودة إلى البيت، ربما لإدراكها ألا مجال لإصلاحهم فتكتفي بضمي وطمأنتي وأنا ألتصق بها :

- عفاريت يأكلون من العينين. يا حفيظ يا ستار.



عصمت داوستاشي - مصر

ثم تدعو لأمهم :

- الله يكون في عونها لالة خديجة.

كنت أعجب أيضاً من استمتاع أمي بحماقة تلك النزهات وعدم تأسفها على شيء، خصوصاً حين تصل الأمور إلى الذروة عند إشعال النار في الحطب والإمساك بعناد بأسياخ اللحم المشوية بعد التهام ما بها وتحريكها في كل اتجاه أو التلويح بها للمبارزة، وكانت تلك إحدى حالات شلل القريبة وتلاشيها من الفزع وهي تحاول الإمساك بأي واحد من الأطفال لإيقاف ذلك اللعب المرعب الذي تنقصه فقط عمليات القتل الفعلي، ولو كانت هناك جراء أو قطط رضيعة أو كتاكيت لدى السكان في الجوار لأتوا بها بلا رحمة كالمجرمين وصوبوا ثم قذفوا بها بكل دقة ووحشية في النار مهللين مثلما فعلوا مرة في الفرن عندما ذهب بهم أبوهم إلى قرية غير بعيدة.

حصل ذلك كثيراً قبل أن أكبر قليلاً وأتخذ قراري لوحدي بعدم الذهاب بتاتاً إلى تلك النزهات، ليس فقط بسبب عدم تحملي لمغامرات الأولاد المتهورة الرعناء وفوضاهم، بل أيضاً من أجل الابتعاد عن البنت الكبرى الكريهة حياة، التي صارت أكثر أناقة مني وصارت تحاول أن تقص عليّ حكايا عن حبيبها الجالس خلفها في الفصل، وهي تستعمل معي ضروباً غير مسلية لمحاولة العبث في صدري، أو تطلب مني أن نتعرى معاً لنتفقد أجزاءنا التحتية كنوع من التفحص البريء، ثم تسألني أسئلة مبهمة عن المضاجعة، وهي تحاول أن تصعد فوقي بوجهها الناعس من رغبة ما.

وحين كبرنا أكثر وأكثر كانت الحصيلة الكارثية مذهلة، فمليكة البنت الوسطى فقدت عينها اليسرى وللأبد، وأحمد الأصغر ظل يعرج من كسر مزدوج في الساق لم يعالج منه بشكل جيد حسب التصوير الشعاعي المتأخر، وسعاد وليلى وعبدالرحيم وسعيد وحياة انكسرت أسنانهم الأمامية أو تفرمت وجرحوا واكتووا بالنار في أطرافهم وفي مواضع أخرى وبدرجات متفاوتة لا تزال آثارها للآن في حالة جيدة مثل الزخارف.

وحين فاتحت أمي بعد سنين طويلة عن سر تشبثها باقتسام تلك النزهات مع قريبتها المسكينة وأطفالها العجيبين بدت لي وهي ترد كأنها تضفي على كلامها شيئاً من الزهو والخصوصية، فأمي كانت تتشبث بالذهاب مع تلك القريبة إلى (النزاهة) إياها لأنه كان مسموحاً لهما تقريباً هما الاثنتان من طرف والدي البحار وزوج لالة خديجة الموظف في الكهرباء من بين كل نساء العائلة(الحاجبات) في أسفي مدينتنا المحصنة العتيقة بأن تنعما بذلك القسط الوافر من الحرية والانطلاق.

ثلاث قصائد

سنان المسلماني - قطر



ما الذي أسرى إليك ؟

ما الذي أسرى إليك؟
همُّ السكوت
همُّ الرضا
والسكينة التي عرشت
على باب صحوك
أم يقظة الغافي على أحلام الوعود ؟
وأنت ما بين كرّ وفرّ
في ليلك الدامي
تغني مالَذَّ لابن زبيبة
من عصف تحدّر
من نبض الرعود
أرخيت سترك تبتغي فضل المعنَّى
ولكن،
كنت في صمتك
تجتبي سر الوجود
ما الذي أسرى إليك
وأنت للحزن خليلٌ
للمزن سليلٌ
صرخة الجاثي
في ظل ملك ضائع
أم خوف السجود ؟
ناحت على باب جفنك دمعة
وخرَّت آهةٌ
وألفيت قولك في ضيق اللحود.

ما الذي أبقاك ؟

ما الذي أبقاك ؟
لا شيء يغري بالبقاءْ
لا الأهل أهلٌ يا زماني
لا الوجد ظلٌّ للأماني
كم هوى في الصدر
مطروحاً وناءْ !
ما الذي أبقاك شيئاً
من نثار الحلمِ
يجري في شرايين الفناءْ
إذ تجلّى الهمُّ في الليل
نبراساً قميئاً وداءْ ؟
أي وعدٍ جارحٍ
أبقى الحنينَ
مضغةً مجروحةً
وِرْدَ أسباب الشقاءْ ؟
ما الذي أبقاكَ والأصحابُ ولّوا
كالنجيمات الشواردْ
من فضاء أسود القلبِ

مقطوعِ الرجاءْ
ترقبُ الأيامَ تمضي
في جحيمِ اليأسِ
نهراً من عناءْ ؟.

تأمَّلْ

فتأمَّلْ كلَّ ما أخفيتَ في قلبِ المجرَّة
كلَّ ما سطرتَ من نزقٍ، ولهٍ
في الظلِّ يا ابن بهيِّ القولِ
أو صورٍ للحبِّ ، حسرةْ
وتحيَّنْ فرصة الإفلاتِ، لكنْ
كيف للموهومِ أن يسلو المبَرَّةْ؟
أن يعرفَ الحزنَ المذَوَّبَ من غيمِ المسرَّةْ
شوقاً لما قدْ فاضَ من نفسِ الأبيِّ
وجوعاً بدَّلَ الإقبالُ عسرَهْ
فتأمَّل كلَّ ما أخفيتَ يا منْ
غيَّرَ الإقلالِ والإحلالُ عذرَهْ
وتشيَّأ دمعةً للزَّهرِ حيناً
خفقةَ الطيرِ المضيِّعِ سرَّه
وتخير
لعبة الإفصاحِ والإضمارِ دُرَّهْ
أيا ابنَ منطوقِ الرؤى
يا ابنَ الثواني والأماني
والليالي المستعِرَّةْ
يا ابن الخيالِ الرّحبِ والصُّورِ المحيطاتِ
المدرَّةْ
ربأتَ ليلَ الواهينَ عن كمد
فكيفَ ليلُ العارفينَ والدُّنا إرَّةْ؟

المرآة

| د. علاء عبدالمنعم إبراهيم - مصر

لم يكن من عادته أن يفعل هنا، يقف أمام المرآة يتفحص ملامحه، بدا له وجهه أنحف بكثير مما كان يظن، ولاحظ أن شاربه أكثر كثافة من المعتاد، فوجئ بخلو رأسه من الشعر، اندهش لكتل اللحم المتدلية من بطنه بفعل ضغط الحزام، انتابته رعشة مؤرقة فور وقوع عينيه على صورتهما المنعكسة على المرآة، كانا مُتشابكي الأيدي، هي بفستانها الأبيض الذي رفضت أن تؤجره فوافق على شرائه لها عن طيب خاطر، وهو ببدلته التي أصر على أن تكون بيضاء، لاحظ أن ابتسامتها كانت مصطنعة، لم تكن حينها كذلك، وَدَّ لو مدَّ يده ليقرب الشفتين داخل الصورة فتصير الابتسامة أكثر طبيعية.

حاول أن يحدد السبب: هل هو الكرش المتدلي، أم الشعر المتساقط، أم النظارة التي اضطر أن يرتديها نتيجة عمله الإضافي، أم الأسنان المسوسة بفعل عشقه للحلويات؟ لماذا الآن؟ صرخ بحرقة وهو يلاحظ ملابسها المبعثرة على السرير وحقيبة السفر مُعدة لاستقبال أكوام الملابس، كان كل شيء يسير بدقة وألفة كالمعتاد، استيقظ من النوم بتملل، وجدها واقفة في المطبخ تعد الفطار كالمتعاد، تجيد إعداد الفول بالزيت الحار والبيض بالبولوبيف، دخل المطبخ عليها باغتها بقبلة عابرة «انتَ صحيت؟» قالتها بتلقائية، ارتدى ملابسه، جلس معها وولدهما على المائدة، لم يتكلما كالعادة، نهض مسرعاً «أتوبيس حمادة هيعدي عليه ولا آخده في سكّتي؟»، «لا خده أحسن»، ودّعها بقبلة باردة، لم تردّها إليه كالعادة.

عاد من العمل منهكاً، «هل الغداء جاهز» سأل وهو يدرك الإجابة، فعلى مدار سبع سنوات لم تتأخر يوماً في إعداده، بدت على وجهه علامات السعادة وهو جالس على المائدة، فاليوم آخر الشهر ومع ذلك فالمائدة تحتوي على حمام محشي بالفريك وبامية باللحم الضاني، لابد أنها تريد منه شيئاً، صار الحمام مع البامية طقساً لا تمارسه إذا كانت ستطلب منه شيئاً غالياً: فستان سواريه لحضور زفاف ابنة عمها، خاتماً ذهبياً للتباهي به أمام زوجة أخيها، موبايل بكاميرتين وخطين مثل الذي اشترته أمل جارتها، اعتاد أن يكون نفعياً «آكل الحمام والبامية وبعدين يحلها ربنا»، حاول أن ينفلت منها بعد الغداء، ولكنها باغتته، إذن الآن ستطلب، «خير عاوزه ايه المرة ده؟» سادت لحظات من الصمت الذي زاد هواجسه من ضخامة المطلوب، «أوعي تقولي عوزه عربية ولا فيلا» حاول اصطناع الضحك ليقضي على مخاوفه، ولكنها بادرته بعبارة مقتضبة «احنا لازم نسيب بعض» كانت الجملة حادة ومكثفة لدرجة جعلته ينسف الحدود بين الحقيقة والحلم، حاول أن يكذب أذنه، ولكنها لم تمنحه الفرصة للاستفسار أو التملص، أسرعت إلى حجرة النوم وبدأت في إخراج الملابس من الدولاب، فتحت حقيبة السفر وبدأت في حشوها، لم يهرول خلفها، لم يطرح الأسئلة، وإنما اندفع تجاه المرآة وظل محملقاً فيها، إلى أن أيقظه صوت الحقيبة وهي تغلق، التفت إليها بسرعة وسألها: لماذا.

فأجابته وهي تستدير: لأنك صرت بلا رائحة.



هناك مؤثرات عربية- إسلامية جلية في قصائد نوابغ الشعر الروسي. نفذت إلى الرؤى الفلسفية للشعراء الروس، ولامست أبعادهم النفسية والروحانية والمعاني القيمية والإلهام الشعري والصياغات الفنية وجماليات التصوير. مهدنا بها لأربعين قصيدة روسية فريدة ومبكرة، تنتسب إلى القرن التاسع عشر- بداية القرن العشرين، نظمها عباقرة الشعر الروسي الكلاسيكي، في عصريه الذهبي والفضي، (ديرجافين، بوشكين، شيشكوف، فيلتمان، تيوتتشييف، ياكوبوفيتش، موروفيوف، ليرمونتوف، بولونسكي، بالمونت، بونين وغيرهم). اجتهدنا، بما هو متاح وممكن من كتب ودوريات روسية نادرة، في اختيار أشعارها والكشف عما تكنزه من آيات القُرآن الكريم المترجمة إلى اللغة الروسية نهاية القرن الثامن عشر- القرن التاسع عشر. وأهم ميزة لهذه الأشعار الكلاسيكية تنحصر في ثراء الاقتباسات المباشرة، من آيات القُرآن الكريم وسيرة النّبيّ مُحَمّد (صلى الله عليه وسلم)، المستقاة من تراجم أنجزها دبلوماسيون ومستشرقون روس منهم: فيريوفكين، كولماكوف، نيكولاييف، بوغوسلافسكي، سابليكوف.

ولا شك أن هذه الاقتباسات أضفت فرادةً وبهاءً على موضوعات تلك القصائد وصيغها البلاغية وصورها الشعرية ومدها الروحاني والجغرافي. كما وهذبت تبليغ ما اهتدى إليه الشعراء الروس من الإيمان الورع وما فاهوا به من مناجاة وتأملات ومواعظ مستوحاة من كلام الله إلى جمهورهم، مفصحين وبجلاء عن ملامسة الوحي القُرآني لبابهم وأرواحهم التواقة إلى الإيمان والاطمئنان.

وتكشف روايات وقصائد الكسندر بوشكين، عن أنه استأنس وتأثر بقيم وعبر كتاب الله السميح وقصص الأنبياء والأقوام، التي تعرف عليها من الترجمات الفرنسية والروسية لمعاني القرآن الكريم وتفاسيره التي مدت قريحة الشاعر بوشكين ومخيلته بزاد الشعر اللذيذ. ويبدو أن هذا الإيناس، الروحي- الإيماني، لامس وأثرى خطاب بوشكين الفلسفي-العقائدي ونحا نحو الشعري. ما تجسد وبان في إيقاع سجع القرآن الفريد، الذي لم يألف له شاعر روسيا الأكبر كفواً لا في إبداعاته الشعرية والنثرية ولا في قراءاته الأدبية والدينية. الأمر الذي تجلى وسطع في قصائد، (من وحي القُرآن) و(النّبيّ) و(أغنية تترية)ومقطوعته الشعرية (المغارة السِّرية) التي نظمها بوشكين بوحي من سورة الكهف التي قرأها في موسم الشّتاء بمنفاه في قرية ميخائيلوفسكي (في مدينة بسكوف). هذه السُّورة الكريمة بعثت وبقوة في ذاكرة الشاعر بوشكين مغارة القرم، الباردة والمكفهرة والمظلمة، وذكرته بحالة النّفي والعزلة التي عانى منها إبان حقبة الملاحقة.

من وَحي القُرآنِ

ألكسندر بوشكين

| ترجمة - **د. ناظم الديراوي**×

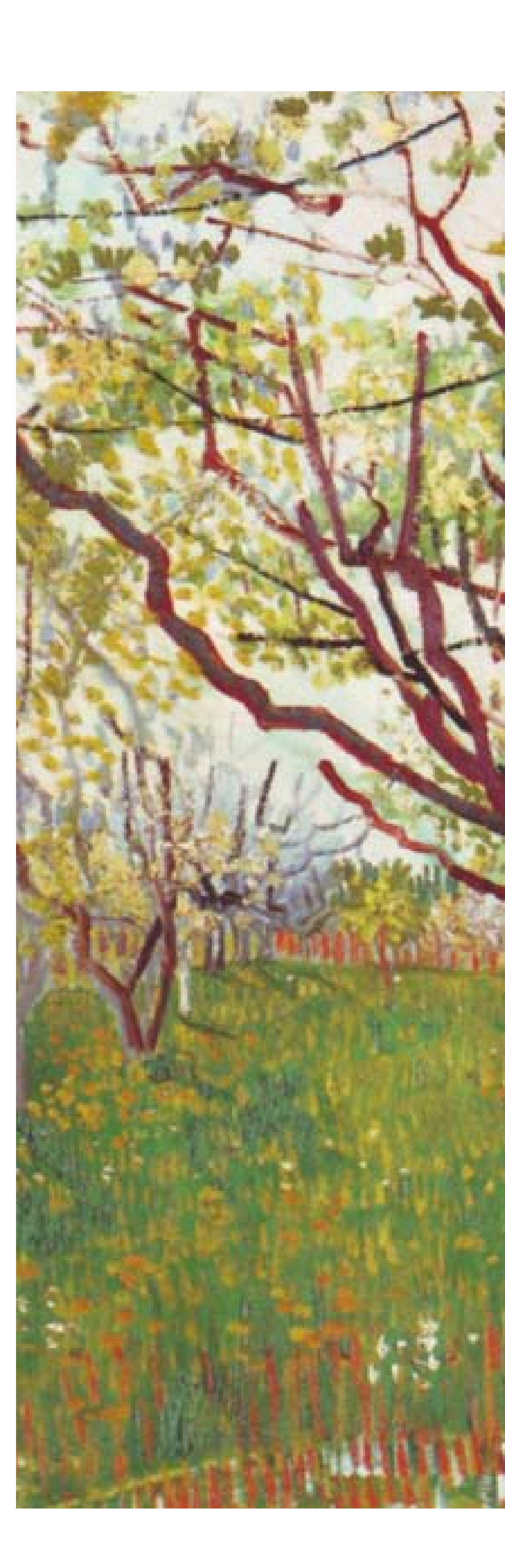
أُقسمُ بالشفع والوتر
أُقسمُ بالسيف وَوَقعة الحقِ
أُقسمُ بنجم الصُبح
أُقسمُ بصلاة المساء.
كلا، ما تخليتُ عنكَ.
أَلَسْتُ أنا الذي اصطحبَ رأسَ
مَنْ أَحَبّ وآواهُ، في سكينَة،
بعيداً عن عسف يطارده؟
أَلَسْتُ أنا الّذي سَقاك
في يوم الظمأ من ماء الصحراء؟
أَلَسْتَ أنا الّذي وَهبَ لسانكَ
سُلطاناً قديراً على الألبابِ؟
بمروءة ازدرِ الباطلَ
واسلكْ بثقة صراطَ الحق
وأحببْ اليتامى، وبلغ قُرآني
المخلوقاتَ المرتعشةَ.

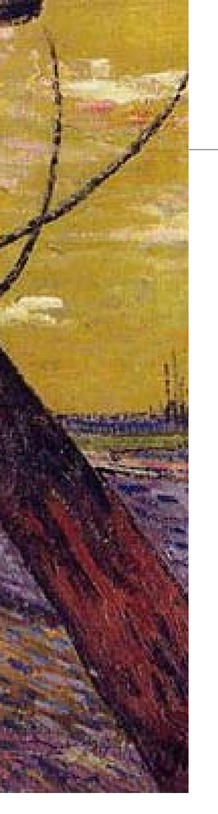
2

يا زوجات النّبيّ الطّاهرات
يا مَنْ مُيّزتُنَّ عن جميع الزّوجاتِ
مريعٌ لَكُنَّ حتى شبح الفحشاء.
عِشْنَ بحشمة في ظل الطمأنينة العذبة
وَتَسَتّرْنَ بخمارٍ العذراء.
واحتفظْنَ بالقلوب الوفية
للمتعة الشرعية والمُحتشمة
نعم- لنْ تَبصرَ وجوهكنّ
النظرةُ الماكرةُ المُدنسة.
أمّا أنتم، يا ضيوف مُحَمد
يا وافدينَ إلى أُمسيته،
حذار من تعكير مزاج نبيٍّ
ببهارج الدُنيا.
فالنّبيّ يمقتُ، حين يَسمو
إلهامه المُقدس، اللّغْويينَ
والكلمات المختالةَ والفارغةَ
أَجلّوا مأدبَته بخشوع
وانحنوا بعفَة
لنسائه الشابات الملتزمات.

3

عبس النّبيُّ، وبَسر،
أن أزلفت منه خُطى الأعمى،
وسعى كي لا يتجاسرَ المنكر،
وتظهرُ الحيرةُ عليه.
لا للمُعرضين مُنحتَ يا نبيّ
المُصحفَ من كتابَ السماء
باطمئنان بَشّر بالقُرآن
ولا تُكره الكفارَ فيه.





لِمَ يتغطرسُ الإنسانُ؟
أَلأنّهُ ظهر إلى الحياة عارياً،
ليعيش ما لا يُزيد عن قرن،
ويموتُ ضعيفاً كما ولدَ ضعيفاً؟
أَلأنّ الرّب يُميتهُ
ويُحييه بمَشيئته ؟
ويحميه من السماءِ
في السّراءِ والضّراءِ ؟

أَلهذا وهبهُ الرّبُ الثمارَ،
والخبزَ والتّمرَ والزيتونَ
وبارك أعماله في التّلِ
والحقلِ والبُستانِ؟

لكنّ الملاكَ أَذّنَ مرتين
ورَعدُ السماءِ على الأرضِ يدوي
والأخُ يفرُّ من أخيه
وَالابنُ يرتدُ عن أُمّه.
والكلُ ماثلُ أمامَ الرّبِّ
ممسوخٌ من الرعبِ،
والكَفَرةُ يتساقطونَ،
تُغطيهم النارُ والغبرة.

4

في قديمِ الزمان، شاءَ الجّبار
المُتغطرسُ الجمُ،
أن يتبارى معك، أيُها القدير،
فقهرتَ كبرياءَهُ،
إذَ قُلتَ يا رّبّ ،
أنا الذي أمنحُ العالمَ الحياةَ
وَأُعاقبُ الأرضَ بالموتِ ،
وَيدي تطول الجميعَ.
وأنا أيضاً، قالَ هو، أمنحُ الحياةَ
وَأُعاقبُ بالموت. أنا كفواً لك يا ربّ.
لكنّ كلمتك الغاضبةَ يا ربّ
أصمتت التَبجحَ الشائنَ،
من المَشرِقِ أُطلِعُ الشمسَ أنا
فأطلعها أنتَ من المغربِ!

5

الأرضُ مستقرةٌ–السماءُ قِبابٌ،
ساندُها أنتَ يا خالق،
أجلَ لَنْ تهوي على الأرضِ والماء
ولن تسحقنا.

نعم أنتَ أشعلتَ في الكونِ
أنوارَ الشمسِ فأضاءَتَ السّماءَ
والأرضَ، كوَهجِ فتيلِ سراجِ بلورٍ
مغمورٍ بالزيت.

للخالقِ صلوا، فهو القدير
يوجّهُ الريحَ، في يوم السعيرِ
ويزجي الغيومَ إلى السّماء،
ويمنحُ الأرضَ ظلّ الشّجرِ.

هو الرّحيمُ ، لمحمد
فتح القرآن المُنيرَ
أجل، سنشعُ بالنور أيضاً،
وستزولُ الغشاوةُ من العيون.

6

ليسَ عبثاً أن تزوروني في منامي
في معمعة القتال برؤوسٍ حليقةً،
قابضين على أسيافٍ مُضرجة بالدماء،
في الخنادقِ، فوق البرجِ، فوق السورِ.
يا أبناء الصحاري اللظى
اسمعوا النداء السّار!
سوقوا السّبايا اليافعات إلى الأسر
وَتقاسموا غنيمة الحرب!.

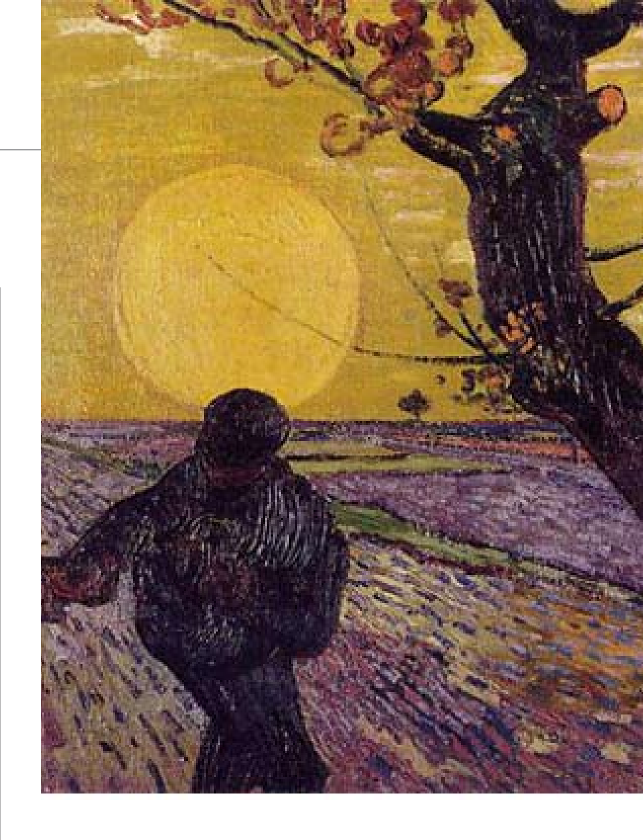
نعم أنتم الذين انتصرتم: المجد لكم!
أمّا المتخاذلون فالخِزْي جزاؤهم×!
لم يلبوا نداء الحرب،
ولم يصدقوا الأحلام العجيبة.

غنيمة الحرب أغوتهم،
فانبروا يقولون الآن نادمين:
خذونا معكم، غير أنكم ستقولون:
لن نأخذكم معنا.

أما شهداء المعركة الأبرار،
فقد دخلوا الآن جنة عدن.
وفي نعيم لا يؤوده شيء
تراهم يغرقون.

7

قُم أيها الوجل
في كهفكَ
يَظلُ السراجُ المقدسُ
مُنيراً حتى الصباحِ.
بدعاءٍ من القلبِ
اطرد يا نبيّ
الهواجسَ الكئيبةَ
والأحلامَ الماكرةَ!
ورَتّلْ صلاةَ الصلاحِ
إلى الصباح
ورتّلْ كتابَ السماءِ
حتى مَطلعِ الفجرِ.



8

يا مَنْ تُتاجرُ بالذمة
على حسابِ المتسولينَ البؤساءِ
لا تُصبْ عَطاياكَ
من أيادٍ سخيةٍ تأملُ الجزاءَ
فتميمُ الكرمِ ما يُرضي السماءَ
في يوم المساقِ.
كحقلٍ رَحبٍ بذرتهُ بالطيباتِ
سيجزي أعمالكَ بأعظم العطاء.

وأن أشفقت مما رُزِقتَ
من أتعاب الدنيا
بصدقة بخيلة على مسكينٍ
وَيدك مغلولة،
فاعلم أنّ كُلّ عطاياك تتلاشى
مثل غبار على حجر
غسله مطرٌ غزيرٌ
واللّه لن يقبل منك تلك المنّة.

9

إلى الله رفَعَ
عابرُ السبيلِ، الكليل، تذَمُّرهُ
وقد تاه في فناءِ الصّحراءِ
ثلاثةَ أيامٍ وثلاثَ ليالي،
حيثُ أضناهُ الظمأ
والشوقُ إلى الظلالِ.
وأرهقَ الهجيرُ والعفر العيونَ.
وبكربٍ يائسٍ ساقَ في الحولِ،
وما إن رأى نبعاً تحتَ نخلة.
اتجهَ مُسرعاً نحو نخلة الصحراءِ
وبنهم من البارد المتدفقِ
رَطّبَ اللّسانَ الشائطَ والعيونَ،
وَقُربَ الحميرِ الوفيةِ
استلقى وغفا،
وبمَشيئة مالك السماوات والأرضِ
توالتْ عليه أعوامٌ طوالٌ.
وَإذ أزفتْ ساعةُ
يقظة عابرِ السبيلِ،
سمعَ صوتاً خفياً يقولُ:
(أمن زمنٍ بعيد
غفوتَ بعمقٍ في البيداء؟)
فأجاب عابرُ السبيلِ:
الشّمسُ الآن
في كبد السّماء
وَأمس أضاءتْ
فوقَ سماءِ الصّباحِ.
وقد رَقدتُ بعمقٍ
من الصّباحِ إلى الصّباحِ.

لكنّ الصوتَ قالَ:
(يا عابر السبيلِ
لقد نمتَ أطولَ،
انْظر: نمتَ شاباً،
وصَحوتَ عجوزاً،
والنّخلةُ بَلتْ،
أمّا النّبعُ الباردُ
فقد نضبَ ماؤهُ ويبسَ
في الصحراء القاحلة
ومنذُ أمد طوَيل
طمرت الرمالُ السهول
وابيضّتْ عظامُ حميركَ)

من هول الفجيعة
تملك النَحيبُ العَجوزَ
فبدا رأسهُ المرتعشُ مُطأطأً
في فناءِ الصحراء،
وبغتة حدثتْ مُعجزةٌ.
إذ انبعثَ الفاني في حلة جديدةٍ
وعادَ النبعُ مملوءاً
بالبُرودَة والسديم
ومن جديد، بدتْ النّخلةُ
تلوحُ بظلالِ رأسها.

ونهضتْ عظامُ الحمير البالية
واكتستْ الجسدَ ونهقتْ،
وأحس عابرُ السبيلِ بالقوة
ودبّ انبعاثُ الشبابِ في الدماء
وامتلأ الصدرُ بمشرحات طاهرةٍ،
وبرعاية الرّبّ انحدرَ في الطريقِ.

ميخائيلوفسكي\1824

× تصدر القصيدة ضمن كتاب «النبي محمد في الشعر الروسي الكلاسيكي» – يصدر قريباً عن مؤسسة دراسات الثقافة الإسلامية–موسكو

أزهار وسط شرشف السرير

زويا بيرزاد

| ترجمة - **سمية آقاجاني - ويدالله ملايري**

كانت (روشنك) في السادسة من عمرها حين تعلّمت الحياكة. ذات يوم، قالت لها جدّتها التي تحيك منذ سنواتٍ شرشفَ سرير كبيراً بألوان مختلفة: «يا بنتي، بدل المشاكسة واللعب، اجلسي واحبكي هذه الأزهار، لنلصق الأزهار بعضها ببعض فننتهي من خياطة الشرشف بسرعة».

رمت (روشنك) الأحجار الصغيرة التي كانت تلعب بها «يك قُل دو قُل»(1)، وجلست إلى جانب الجدّة تحبك الأزهار البيضاء والحمراء والزرقاء والصفراء والزهرية.

كانت الأزهار الأولى التي حبكتها عوجاء لا تشي بجمال، لكن جدتها تقول «لا بأس. نضع هذه الأزهار في أسفل الشرشف كي لا تقع العيون عليها».

في المدرسة كانت كتابة حرفي «آ» و«ب» بالنسبة لها سهلة. كان «آ» خيطاً مستقيماً يعبر دائرة نسيج، و«ب» خيط يمتد لتلحق بدائرة آتية. كتابة أقواس «ح» و«خ» و«ج» أسهل من إعداد أوراق الأزهار التي تحبكها للشرشف. صارت (روشنك) من الأوليات في تلك السنة والسنوات التي جاءت بعدها. كانت تحبك أزهاراً جميلة متناسقة، لكن الجدّة تقول : «لم تعد هذه الأزهار تصلح بعد لوسط الشرشف. علينا أن نحبك أجمل الأزهار لوسطه». كانت الجدّة تحبك أزهاراً تندهش (روشنك) من جمالها.

كانت الحفيدة والجدّة تحبكان وتتحدثان، لكن الجدة هي التي لها حصّة الأسد في الكلام، وحصّة (روشنك) أغلب الأحيان أن تصغي إليها. كانت العجوز بشعرها الأبيض الطويل الخفيف المتناسق الذي تجمعه على قمة رأسها، وبطرحتها الصوفية في الشتاء والحريرية في الصيف وبجسدها النحيف، كانت تأخذ الطفلة معها، وهي تسافر إلى الماضي. كانتا تسافران إلى بيت طفولة الجدة، حيث الحوش الكبير المبلّط المحاط بالغرف الكثيرة، وشجرة الدلب القديمة إلى جانب بركة الماء وسط الحوش. تقول الجدة إنّ جدتها زرعت الشجرة. تتجول الجدة في البيت، وهي تلقي التحية على أهل البيت، لتكشف لـ (روشنك) عن أشياء من خلال سردها لقصص الذين عاشوا في البيت. و(روشنك) ترى الجدة، كما كانت شابة خجولة جميلة مغامرة في ذلك الوقت. ويكبر الشرشف يوماً بعد يوم، والحفيدة والجدة لا تسألان عن المقياس الذي يتوقّف عنده الشرشف.

حين أنهت (روشنك) الثانوية ماتت جدتها. قبل موتها، طلبت برتقالة. كان الفصل صيفاً، فلم يكن في السوق برتقال، فأعطوها بطيخاً. أكلت من البطيخ، وقالت: ما أحلى هذه البرتقالة. وماتت.

حين مضى أسبوع، ثمّ أربعون يوماً على وفاة الجدة، دخلت (روشنك) غرفة المرحومة. كان الشرشف قد غطّى نصف مساحة الغرفة، والزهرة الأخيرة تنقصها ورقةٌ.



أكملت (روشنك) الزهرة وبدأت بحبك زهرة أخرى.

حين كانت تحبـك الزهرة الأربعين بعد المئة، بعد موت الجدة، سمعتْ جرس الباب الخارجي. نادت عليها أمّها بعد دقائق: صبّي الشاي يا (روشنك)، عندنا ضيوف».

جاءت (روشنك) بالشاي.

صرخ الرجل: «بعد عشـرة أعوام من عملك كربة البيت، لم تعدّي تجيدين صب الشـاي. تصبيه فـي الصينية، مثل اليوم الأول».

احتضنـت (روشـنك) الطفـل وخرجـت مـن الغرفـة، وتلاحقها نظرات الصبيتين الخائفة، وهما تكتبان واجبهما المدرسي.

كان الشرشـف بأزهـاره الملونـة مطروحاً فـي القبو. وضعت (روشـنك) الطفل على الشرشـف بهـدوء وغطته بجانب منه، لتبدأ بخرز الصنارة في الشرشف.

احتجّـت بناتهـا الثلاث في اليـوم الذي طلّقهـا زوجها قائلات:

«العجوز يريد صبياً!»

«العجوز يريد صبياً؟»

«العجوز يريد صبياً».

لكن (روشـنك) لـم تصرخ، لـم تبك. نزلت مـن الدرج ودخلت القبو. إحدى أزهار الشرشـف بقيت ناقصة. أخذت صنارة الحبـك. ثم رمتها. انتفضـت الصنارة على الأرض عدة انتفاضات فجمدت. بسـطت (روشنك) الشرشف حتى غطّـى أرض القبو كلّها. بدأت تمشـي بيـن الأزهار. وقعت عيناهـا على الأزهـار الأولى التي حبكتهـا الجدة، الأزهار التـي لم تكن جميلة، ثم رأت تلك الجميلة منها. رأت بعض الأزهار المجهولة، فتذكـرت جدتها حين قالت: «أمك حبكت هذه الأزهـار. لم تكن موهوبـة أبداً في الحبـك»، ثم رأت الأزهار التي حبكتها نفسـها. كانت الأزهار الأولى خجولة، ثم صارت جميلة وصغيرة، لتتحوّل أخيراً إلى أزهار كبيرة بألوان زاهية متناسـقة، تشبه أزهار الجدة الأخيرة. رفعت (روشنك) الصنارة من الأرض.

لم تعلّم (روشـنك) بناتهـا الثلاث الحبـك. وحتى بعد مرور سـنوات عدة على موت (روشـنك)، لم يعرف أحد، ولم يسأل من حبك أزهار وسط الشرشف؟ هي أم الجدة؟

---

(1) لعبة من لعب الأطفال.

مسألة زينون

باتريك لولر*

| ترجمة - **أحمد شافعي**

1

قالت آرييل «لم أفعلها في مغسلة السيارات قط». كانت مثلي، طالبة في السنة الثانية، ولكن الفارق أن لديها هوندا سيفيك، وهو ما يجعل الحياة لذة. كنت أحمل كيسين ممتلئين بأرباع الدولارات أخذت أحشو بها الآلة وأضغط على الأزرار زراً بعد زر: الغسيل المزدوج، الشطف المثالي، التشميع المزدوج، التجفيف.

2

لشريكي في الغرفة غواية عجيبة. في المحاضرة الأولى له في كل صف، وبعد أن يقرأ الأستاذ اسمه ضمن الأسماء، يطلب منه أن يناديه باسم غير الاسم المدرج في القائمة. وكان الأساتذة جميعاً يستجيبون بطبيعة الحال، ولكنهم لم يعرفوا قط أن له اسماً مختلفاً في كل صف. ففي واحد هو فريد، وفي الآخر ألبرت. أما أنا فقال لي إن اسمه آدم، وإن لم يكن لدي أي دليل على أن ذلك هو اسمه الحقيقي.

3

حدثتني آرييل عن التقدم لمادة المسرح. قالت إنهم يعرضون دائماً مسرحية يونانية في نهاية كل فصل دراسي. رأت أنني سوف أبرع في دور تيرسياس. وضعت في يدي حجراً عليه رسمة طائر. «حصلت عليه السنة الماضية، وأريدك أن تحتفظ به. اكتشفت فيما بعد أنه نفس الطائر الموشوم على وركها. لم أقل لآرييل أو آدم إنني لا أحب الكلية. كنت أتخصص في الفلسفة.

4

كان آدم يحمل مسجلاً معه في جميع صفوفه. قال «اسمع، أنا الآخر أتدرب للحصول على تيرسياس، فلا تزعل إذا لم تحصل عليه». ثم أدار المسجل ليتدرب على حواره وسمعت كلمات أوديب «قل ما تشاء، لا معنى لشيء». حين رأت آرييل شريكي في الغرفة قالت «أوه، فريد ساكن معك». فعرفت حينها أنها في صف الأدب العالمي، حيث اسمه فريد.

5

أفترض أنه أمر بديهي، ولكن أفضل ما في الكلية هو ممارسة الحب مع آرييل. أن نستلقي في الفراش لنتدرب على دور تيرسياس، وأنا في بداية الأمر أتلعثم، إلى أن قالت آرييل «ليس عليك إلا أن تقرأ الوشوم».

6

سألتني آرييل «لماذا تنادي زميلك في السكن بآدم في حين أن اسمه فريد»؟

قلت ممثلاً تيرسياس «لترين اليوم مولدك وفناءك». قالت آرييل ممثلة أوديب «إنك لا تجيد الكلام ما لم يكن الكلام ألغازاً وأحاجي». كانت تساعدني في حفظ الدور. جسم آرييل فسيفساء من الوشوم. كان يبدو كأنها تجلب ذاتاً أخرى إلى السرير. وكان جسدانا معاً ينسربان أسفل وشم الطائر.

7

كانت لآدم شريكي في الغرفة عادة اعتبرتها باعثة على الضيق. كان يسجل لنفسه وهو يمارس الجنس مع النساء. وكنت أجلس إلى مكتبي، وبطاقات الشفاء العاجل مصفوفة أمامي والحجر ذو الطائر، وهو يشغّل هذه التسجيلات. طلبت منه أن يكف عن ذلك، لكنه لم ير في الأمر مشكلة. قال «اسمي ليس آدم». ثم راح يتكلم بلكنة بريطانية.

8

قلت لأمي على التليفون إنني لست سعيداً في المدرسة. قلت أيضاً إنني قابلت امرأة تعجبني كثيراً. قالت إن أسرتنا «مميزة من وجهة النظر الآنا كارنينية». قلت لها إنني لن أتقدم لصفوف كثيرة لأنني مريض. ومنذ ذلك الحين بدأت أتلقى بطاقات الشفاء العاجل من أفراد عائلتي. قال شريكي في الغرفة إن عنده امتحاناً هائلاً. وكانت يداه حنرتين وهو يقول هذا.

9

«الحياة أم المدرسة.. لا فارق. الأمر كله يعتمد على الشخص الذي تمارس معه الحب» هكذا قالت آرييل. كان ينبغي أن أستشعر قدومها.

10



طابع بريد يوناني

11

آرييل عندها وشم لطابع بريد. كان شريكي في الغرفة يتكلم عن «جمع الطوابع» و«توصيل الطرود». قال شريكي في الغرفة إنها غير طبيعية. «فمنذا الذي يشم على جسمه طابع بريد؟». قالت آرييل إن أمها كانت تعمل في مكتب للبريد، وإنها ماتت وهي طفلة صغيرة. «وهذا الطابع من هذه السنة. شوف بكم كانوا يبعثون الرسالة». قلت «شكله في غاية الغرابة». قالت «يوناني».

12

كان أستاذنا مصاباً بالخرف، ولكننا لم ندرك الأمر إلا قرب منتصف العام، فقد كان أستاذاً للميتافيزيقا. كان في منتصف المحاضرة يغمغم بأشياء عن ترتيب سطح «بيت الكينونة»، مقتطفاً مقولات من كانط بصوت أجش، ومنشداً أبياتاً عن ما قبل السقراطيين.

13

قالت آرييل «جامعني كأنك الشخصية التي تلعبها». كان جسدانا منسحقين في مقود السيارة. «قصدك أن أتحسس كثيراً». «بل إن تغمض عينيك». كان آخر ما رأيته صابوناً مخضراً على الشبابيك.

14

لآرييل ذيل حصان وبشرة فاتحة وشعر أسود فاحم. قلت لها «أتعرفين أن شريكتك في الغرفة تبعث على الاكتئاب بصورة لا أحتملها». قالت «لا، ليست كذلك. فقط لأن كاثرين

لا تفعل ما تفعله أنت.. إنما أمها طبيبة نفسية متخصصة في مواساة الأحزان. وأبوها مدمن كحول. هذا ما تقوله».

15

كانت غرفتي ملآنة بزملاء من غرف أخرى في الطابق وشريكي في الغرفة يشغل أحد تسجيلاته. كان يصدر صوتاً كأنه صوت قطار. «المحطة ياللي نازلين.. المحطة ياللي نازلين» بلكنة بريطانية مريعة.

16

لكرستين عينان كشافتان للخطأ بصورة مرعبة. عرّفتني بنفسها «شاعرة سابقة ومنتحرة مستقبلية». قررت أن أتظاهر ضد الحرب إعجاباً مني بالفرقة التي كانت تعزف على الحلبة.

17

كلما انغمست في التدرب على دور تيرسياس، رأيت لمحات من حياة كرستين. تناولت دفترها. قرأت: الزمان يحمل نفسه على ظهره.

18

بمجرد أن تم اختياري للقيام بدور تيرسياس، بدأت أرى نُذُراً. كانت آرييل ستلعب دور جوكاستا، ورأيت الطائر الموشوم على وركها كما لو كان يطير. الطالب الذي اختير للعب دور أوديب لم تكن له غير عين واحدة. «ولذلك لن تكون المسرحية مأسوية بالقدر الكافي» كما قال أستاذ المسرح.

19

كانت الدنيا أكثر جمالاً وغموضاً من أن يحتويها مبنى واحد أو كتاب واحد. بعد امتحانات نصف العام، أدركت أنني أرسب. وفيما عدا محاضرات الفلسفة، لم أعد أحضر نهائياً. أعتقد أنني كنت متحيراً فيما يمكن أن يحدث.

20

قالت كرستين «ما الدنيا إلا قفص». صححت لها «مسرح». قالت وهي تشعر بضيق تام «ألا تعرف حتى عن أي شيء تدور المسرحية التي تمثل فيها؟».

21

ظللت أتلقى بطاقات الشفاء العاجل من الأسرة. أصبح على مكتبي الكثير منها. لدرجة أنه لم تتبق مساحة للمذاكرة. غطت البطاقات الحجر ذا الطائر الذي أعطته لي آرييل. يمكنني أن أقول إن آرييل لم تكن سعيدة معي بقدر ما كنت سعيداً معها. شاركت في مظاهرة مناهضة العولمة لأنهم وزعوا فيها بيرة. قلت لآرييل إن الوقت غير مناسب بالنسبة لي فيما يتعلق بالالتزام. قالت إنه لا مشكلة. قلت شيئاً من قبيل الوشوم البالية ولم يكن قول ذلك لائقاً.

22

التعليمات الأساسية في امتحان الفلسفة كانت عبارة عن «حاول وأنت تجيب الأسئلة الـ 33 التالية أن توضح فلسفة زينون».

23

سألني شريكي في الغرفة عن حال تيرسياس. قلت إنني أعـرف دائماً ما سـوف يقوله الممثلـون، ولكنني لا أعرف أي شـيء عما ينبغي لي أنا أن أقولـه. نظرت إلى ما كتبته كرستن:

«الترحال في الدنيا

ذهاباً وإياباً، ذهاباً وإياباً

استزراع الحقل».

قلـت «ذلك يبدو مقبضاً». قالت كرسـتين «المشـكلة أننا بحاجـة إلـى طريقة جديـدة نتخيل بها يـأس حياتنا. نحن مرغمـون على تصور الـكادح في الحياة بوصفه سـيزيف يدحرج صخرته. والأمر ليس كذلك. الأمر هو استزراع باشو للحقل». يومهـا عرفت أنها هي الأخـرى تحضر صف الأدب العالمي.

24

توقف شريكي في الغرفة عن استخدام اللكنة البريطانية. فجأة اسـتولى عليه الصمت، وصار مزاجياً، وطلب مني أن أناديه بـ «راندول». قالت كرستيل «أوه، راندول ساكن معك. لا بد أن تكون السكنى رائعة مع شخص يكتب مثل هذا الشعر الرائع». قلت «ولكنه لا يكتب شـعراً. واسمه ليس راندول». زعلت كرسـتين. «فما اسمه إذن؟». ولما لم أستطع أن أجيب قالت إنني مثير للشـفقة. وما كنت لأدخل في جدال حول هذا الأمر.

25

قرب نهاية الفصل الدراسي، بات شريكي في الغرفة يريد أن ينادى بسـوفوكليس. بدأت أفكر في ترك المدرسة. قالت آريـيـل إن النكتة التي أطلقتها عن الخدمة المدنية لا تعجبها. قلت إنني لم أقصد أن تأتي بذلك الإيحاء.

26

قالت آرييل «اكبر بقى». ولكنني لم أكن مستعداً بعد.

27

قلـت لآرييل إن كل شـيء مربك بصـورة لا تصدق. كنت أحتاج أن أنهل من الحياة نفسـها، لا من تصور أحدهم عنها. كنت أشتهي إلى جرعات ضخمة من التجارب. سألتني آرييل «فماذا سوف تفعل إذن؟ سترجع لتعيش مع أبويك؟»

28

حينهـا أدركـت أن لدى آرييل أنظف سـيارة فـي الحرم الجامعي.

29

لعبت جوكاسـتا رائعة، وحينما قالـت «انس خوفك من الزواج بأمك» انبعث في كل فرد من الجمهور خوف جديد. كان سوفوكليس جالساً وسط الجمهور ومسجلته في حجره.

30

بـدون أن تكون وشـوم آرييل أمام عيني، نسـيت أغلب حواري، ولكنها لم تكن مأساة.

31

بكى الطالب الذي يلعب أوديب أمر البكاء. بعد المسرحية، ترك سـوفوكليس شـريكي في الغرفة مسجله على سريري وبجانبه ورقة كتب فيها «لعلك تود يا تريسـياس أن تستمع إلى هنا، وإن كنت بالطبع تعرف بالفعل ما فيه».

32

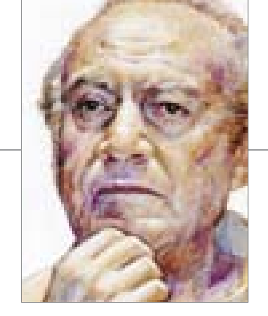
فيما بعد، كانت كرستين واقفة أسفل شباك غرفتي وسط الجليد الطازج. كانت ترفع المسجل. صحت فيها عبر الفتحة التـي أحدثها المسـجل في زجاج الشـباك «اتركيه». كنت قد رميت كل شـيء عبر الزجاج المكسور كتبي، بطاقات الشفاء العاجل، هدية آرييل.

33

ظلت كرسـتين واقفة وفي يدها المسجل المكسور، وظل الجليـد يتسـاقط. خطر لي أننـي لم أر من قبـل منظراً بهذا الجمال. تنامـى البياض من حولهـا. أردت أن أصيح عليها ولكننـي فجأة رأيت كل شـيء في غاية الوضـوح ولم تعد كلماتي قادرة على عبور الزجاج المكسور.

---

*باتريك لولر Patrick Lawler كاتب أميركي فاز في عام 2010 بجائزة القص المبتكر من أميركان بوك رفيو. أصدر ثلاثة كتب شعرية من بينها «وأبداً لا يكون الغريق طويلاً بالقدر الكافي» (1990)، «قراءة كتاب محروق» (1994)



د. محمد عبد المطلب

الفصيحة والعامية

من جنايات المجتمع على اللغة العربية، تلك الدعوة التي تظهر ثم تغيب ثم تظهر، ثم تأخذ في الانتشار بين فئة من المثقفين تزعم أن العامية هي اللغة الرسمية لكل مجتمع عربي، ثم تصعد من هذا الزعم لتكون دعوة لتدريسها في معاهد التعليم المختلفة، أي أن تصبح لغة الحديث اليومي هي اللغة الرسمية نطقاً وكتابة.

وخلال هذا الجدل بين الفصيحة والعامية يأتي سؤال دائم: هل من الأفضل الصعود بالعامية إلى مستوى الفصيحة، أم النزول بالفصيحة إلى مستوى العامية؟ وهنا نطرح سؤالنا على هذه الدعوة المزدوجة عن المقصود بالعامية: هل المقصود عامية كل قُطر من أقطار الوطن العربي؟ أم المقصود عامية كل إقليم من أقاليم كل وطن؟ هل المقصود عامية الريف أم عامية الحضر؟ بل إن السؤال يستمر في تردده عن عامية الأحياء داخل المدينة الواحدة.

ولا ينحصر السؤال في حدود البيئة المكانية، بل إنه يستدعي البيئة الزمنية، ذلك أن من خواص العامية أنها سريعة التطور والتغير، ويمكن - في هذا السياق - أن نقارن بين عامية القرن التاسع عشر الميلادي، وعامية نهاية القرن العشرين، بل إن عامية بداية القرن العشرين تغاير عامية نهايته، ويفسر سرعة التغير، أن العامية لا تمتلك القواعد التي تضبطها، بحيث تجعل منها لغة مكتملة تصلح للحديث والكتابة معاً.

واللافت أن الجدل حول الفصيحة والعامية موغل في القدم عرض له (الجاحظ) في كتابه (البيان والتبيين) كما عرض له كثير من الدارسين القدامى، ومنهم ابن الأثير في كتابه (المثل السائر) وربما كان أهم ما لاحظه: أن كثيراً من مفردات العامية فصيحة صحيحة، مثل: الأرض والسماء والرجل والباب والماء والنار والتراب، والحق أن الطرح القديم لهذه القضية اتسم بقدر كبير من الموضوعية في مواجهة ظاهر تعبيرية انتشرت في المجتمع العربي آنذاك، أما في الزمن الأخير فإن استعادة القضية كانت بهدف إعلاء العامية لتكون هي البديل الرسمي للغة الفصيحة.

وقد تنبه الرواد الأوائل - في العصر الحديث - إلى خطورة الدعوة للعامية، لأنها ارتبطت بالاستعمار الغربي الذي سعى جاهداً لإحلال العامية محل الفصيحة، ترسيخاً للفرقة والتجزئة بين أقطار الوطن العربي، بحيث يكون لكل قطر لغته المستقلة التي تخصه.

والذي نحب التأكيد عليه أن هناك ما يشبه الإجماع بين الأمم قاطبة، أن العامية لا يمكن أن تحل محل الفصيحة في كل مستويات الإبداع الأدبي، كما أنها لا تمتلك القدرة على التعبير عن كل ظواهر الحضارة، وكل دقيق من ثمرات العقل والروح، إذ كل هذا من ممتلكات الفصيحة، وبخاصة صياغة القوانين واللوائح التشريعية والتنفيذية، ولكي تتمكن العامية من أداء بعض هذه المهام، فهي في حاجة إلى جهد علمي يوازي الجهد العلمي الذي بذله علماء اللغة طوال ألف وخمسمئة عام لتنظيم مفرداتها وتراكيبها والعلاقة التي تربط بينهما، ورصد التطور الذي أصاب هذه وتلك.

والمؤسف أن للعامية دعاة مجاهرين، وآخرين مستترين، وقد حققوا بعض النجاح، إذ تسربت العامية إلى بعض وسائل الإعلام والنشر، وهي أجهزة لها خطورتها في التأثير والتوجيه، إذ أتاحت للعاجزين عن الفصيحة، والفقراء في الثقافة والفكر أن يكون لهم هذا الحضور الضار.

إن إلغاء الفصيحة لحساب العامية، يعني ظهور جيل جديد لا صلة له بلغة القدامى والمحدثين من الأجداد والآباء، ومن ثم تنقطع صلته بالتراث، فليست مفردات اللغة مجرد أصوات لها دلالة، بل إن كل كلمة تمثل نسقاً ثقافياً مستمداً من تجارب الحياة وخبراتها، ومع ضياع الذاكرة الثقافية للأمة العربية، يأتي ما هو أخطر: غياب التراث الديني، وانقطاع صلة الأجيال بكتبها المقدسة، ثم كيف لهؤلاء أن يؤدوا فروض دينهم التي لا تؤدى بغير الفصيحة؟

جحيم الخيبات والحكمة

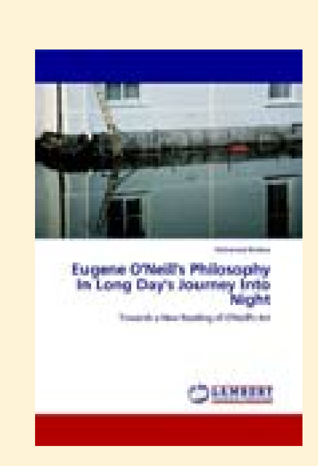


صدر حديثاً عن دار الآداب، النسخة العربية لرواية «تحت العريشة» للكاتبة اللبنانية هيام يارد، وقد سبق أن صدرت الطبعة الأصلية للرواية باللغة الفرنسية عن «منشورات سابين فيسبايسر» بفرنسا، وفي 2009 نالت عنها الكاتبة جائزة «فينيكس» أول جائزة أدبية فرانكوفونية تمنح في لبنان ضمن «صالون الكتاب الفرنكوفوني».

«تحت العريشة» رسالة إلى جدة حكيمة تنحدر من أسرة أرمنيةٍ فرت من اسطنبول نحو لبنان مع بداية منابح الأرمن. الجدة لازمها شبح الموت منذ الطفولة، مع وفاة أمّها أثناء ولادتها، ثم وفاة زوجها وهي في سنّ الواحدة والثلاثين، وهي شاهدة على الحرب اللبنانية من منزلها البيروتي، ورغم هول ما رأت من هذه الحرب إلا أن شخصيتها ظلت متفائلة ومؤمنة بقيمة الحياة، وخلال فترة الحرب الأهلية، التي تصور الروائية جحيمها، تتشبّث الجدّة بالبقاء في منزلها إلى أن توفيت إبان حرب تموز/يوليو. وعبر هذه السيرة تتحوّل الرواية تدريجياً إلى حكاية طويلة من أربعة وستين فصلاً تصور أماكن وحقباً مختلفة من تاريخ لبنان المعاصر، عبر سيرة الجدة كمثالٍ للحكمة والصبر حاولت الحفيدة الاقتداءً بها، وتكرار نموذجها في الحياة لكنها فشلت في تطبيق ذلك في حياتها، فمارست، بدلاً من الأمل، خيبته.

كتب





عن دار «Lap» الألمانية صدر مؤخراً للكاتب المغربي محمد الكرافس كتاب جديد باللغة الإنكليزية تحت عنوان: Eugene O'neill's Philosophy In Long Day's Journey Into Night. الكتاب عبارة عن قراءات نقدية في فلسفة الكاتب المسرحي الأميركي يوجين أونيل اعتماداً على مسرحيته: «رحلة يوم طويل في جنح الليل». ومن خلال ربط مضامين المسرحية بالمقومات الدرامية التي جاءت بها أهم التيارات الأدبية والفلسفية الغربية في النصف الأول من القرن العشرين في الغرب، يقف الكاتب على إسهامات تجربة يوجين أونيل في تحديث المسرح الأميركي المعاصر.
للكاتب محمد الكرافس مجموعة من الدراسات الأدبية ومن إصداراته في الشعر والرواية: (الظل يتعرى: شعر 2009)، (حلم يتلوى في زورق: شعر 2010)، (تضاريس الخبز والوطن: رواية 2010).

قتلة الأرض!

| عمر قدور - دمشق

لم يدخل الوعي الإيكولوجي «البيئي» في حياة شعوبنا، ولكي نكون منصفين فإن هذا الوعي لم ينتشر عالمياً بالقدر الكافي، أو على الأقل بالقدر الذي يطمح إليه دعاة حماية البيئة أو علماء الإيكولوجي. في نشرات الأخبار نسمع عن مؤتمرات للدول الأكثر تصنيعاً، وعن خلافات بينها حول نسب ضئيلة للحد من انبعاث الكربون مثلاً، دون الغوص في ما يعنيه هذا الخلاف على أرض الواقع، ودون البحث في ما يعنينا منه؛ نحن الذين نقاسم أولئك الأثرياء مستقبل الأرض دون أن نمتلك القدرة على التفكير فيه، أو المشاركة في رسم استراتيجياته، حتى الآن.

في كتاب إدوارد ويلسون «مستقبل الحياة»، الصادر عن الهيئة العامة السورية للكتاب (2011) بترجمة عدنان حسن، ترتسم أمامنا الصورة المتكاملة لحيوية كوكب الأرض، فالمؤلف مختص في المجهريات، أو ما يسمى المتعضيات، وهي الكائنات الدقيقة التي تشكل نسبة عالية من غلافنا الجوي؛ هذه الكائنات التي تسبح في كل مكان حولنا دون أن نراها، أو ندرك وجودها، أو أن نخمن تأثيرها الكبير في الدورة البيئية ككل. هذه الكائنات الصغيرة لا يراها الرومانسيون أو الشعراء وإن كانوا يشيدون بعظمة التنوع الحيوي، أما علماء الإيكولوجي فإنهم يقسمون التنوع في كل مكان إلى ثلاثة مستويات؛ في القمة توجد المنظومات البيئية كالغابات المطرية والصخور المرجانية والبحيرات. تليها الأنواع المكونة من المتعضيات الموجودة في المنظومة البيئية، من الأشنيات والفراشات السنونوية الذنب إلى أنقليس الموراي والبشر. في القاع توجد تشكيلة من الأجناس التي تشكل الصفات الوراثية للأفراد الذين يؤلفون كل نوع من الأنواع على حدة.

يكون كل نوع من الأنواع مرتبطاً بمشتركه بالطريقة الفريدة التي يستهلك بها بشكل مختلف، ويفترس، وينافس، ويتعاون مع الأنواع الأخرى. إنه يؤثر أيضاً بشكل غير مباشر على المجموعة بالطريقة التي يبدل فيها التربة والماء والهواء. عالم الإيكولوجي ينظر إلى الكل كشبكة من الطاقة والمادة المتدفقتين باستمرار إلى داخل المجموعة من البيئة الفيزيائية المحيطة، وبالعكس، ومن ثم بالعكس أيضاً لخلق دورات المنظومة البيئية الأبدية التي يعتمد عليها وجودنا. على سبيل المثال: يحتاج الإنسان الزراعة في عيشه، ونوع الزراعة التي يمارسها لها تأثير كبير على التربة، مثلما لغنى التربة بالكائنات الدقيقة تأثير على الزراعة، وعندما يفرط الإنسان في استخدام الأسمدة أو الكيماويات فإنه قد يسبب ضرراً للكائنات الدقيقة في التربة ويفقدها غناها الحيوي الذي سينعكس على الزراعة بدوره. الملمح الأخطر هنا أن القضاء على جزء من الكائنات الحية



وبقاء الجزء الأكثر مقاومة قد يسبب خللاً بنيوياً لصالح الكائنات المضرّة. بحساب بسيط قد يؤدي الاستخدام غير الرشيد للكيماويات إلى الحصول على محصول وفير آنياً، لكنه في المقابل يكون قد ضحى بعناصر الغنى الحقيقية المستمرة، وهذا ما قد يستحيل تعويضه أو يقتضي تعويضه دورات بيئية مديدة. بعيداً عن المثال التقليدي السابق؛ يقول علماء الإيكولوجي إن حجماً متصاعداً من الكائنات الحية ينقرض قبل اكتشافه حتى، وإن حجماً آخر مهدد بالانقراض بسبب صعوبة الحفاظ على البيئة المناسبة له، والمسألة هنا تتعدى موضوعة الغنى بمفهومها الأخلاقي إلى الآثار الاقتصادية المترتبة عليها، فصيد بعض الطيور مثلاً قد يؤدي إلى انخفاض كبير في وجودها أو انقراضها، وإذا كانت هذه الطيور تتغذى على نوع محدد من الديدان فإن انقراض الطيور سيعني تكاثراً ضخماً جداً للديدان التي ستتغذى بدورها على كائنات أخرى فتهددها بالانقراض. ضمن هذه الدورة البيئية سيكون من شأن تفصيل صغير أن يهدد، على المدى البعيد، توازناً بيئياً كاملاً. حتى إن استحضار بعض الحيوانات إلى غير بيئتها الأصلية قد يهدد البيئة الجديدة بسبب نمط استهلاك هذه الحيوانات الطارئة، لقد حدث ذلك في استعمار أميركا، والمثال الأنصع عليه هو الخلل البيئي الذي تعرضت له جزر هاواي.

لنا إذن أن نتخيل حجم الضرر الذي خلفته الثورة الصناعية على البيئة، وهو ضرر ينذر بالكارثة إن لم يتوقف قريباً، ومن حسن الحظ أن الإنسان امتلك تكنولوجيا نظيفة تساعده على الحفاظ على الكوكب، إن هو غلّب الاعتبارات الإنسانية على الجشع الرأسمالي. لا يدعو علماء الإيكولوجي للعودة إلى الوراء، بل يدعون إلى نوع أرقى من النشاط التكنولوجي، وهو نوع تسمح به الطبيعة نفسها دون أن تتأذى، أما الأذى القديم فالبيئة تتكفل بترميمه على مرّ الزمن، بشرط أن يتوقف قتلة الأرض عن نشاطهم المسعور!.

حين تموت لغة يموت الأموات ثانية

ربما ستتسلط الأضواء على الشعر السويدي بعد فوز الشاعر توماس ترانسترومر بجائزة نوبل للآداب. دار خطوات للنشر والتوزيع، دمشق/ سورية، أصدرت الكتاب الثالث من «سلسلة الشعر السويدي» التي بدأت بها قبل عام بعنوان «الضرورة الوحيدة». حسب الموقع الالكتروني لدار النشر، سلسلة الشعر السويدي بدأت عام 2009 وليس قبل عام، والكتاب الثالث يحمل عنوان «رقصة القصيدة (آن سميث)»، مختارات من مجموعات الشاعر شَل أسبمارك، انتقاها المترجم جاسم محمد بالتعاون مع الشاعر، بدأت تجربة أسبمارك الشعرية مع مستهل خمسينيات القرن الماضي، وكان قد أصدر بين نهاية الثمانينيات ونهاية التسعينيات سباعية روائية بعنوان «زمن النسيان».

عموماً تنتمي تجربة أسبمارك الشعرية إلى ذلك النوع التأملي من الشعر، والذي يأخذ مادته من العالم المحيط. الآخر في شعر أسبمارك له تجليات كثيرة، فقد يكون الآخر الميت الذي لم يعد قادراً على التعبير عن نفسه، وقد تكون الأشياء أو ظلالها، وفي بلد كالسويد يعاني من مشاكل الهجرة قد يكون الآخر هم المهاجرون الذين يعانون الغربة (أكفّنا استحالت مفاتيح من أبوابكم المغلقة/ ووجوهنا براءةً مفتعلة أمام هذا الشك كله/ لقد تخطينا الحواجز/ وحين تسمعون الإشارات في أبواق السيارات والطناجر/ من أعوام خارج الزمن والعقل/ نكون قد عثرنا على قارة جديدة لكم).

استنطاق المهمش نجده أيضاً في قصيدة بعنوان «المخذولة: كفاف واهن فحسب» حيث يسرد مقطعاً من سيرة امرأة مجهولة قد تصلح لأية امرأة مجهولة أخرى، سيرة تنتهي بالألم الذي لا يُفصح عنه (تجلس منحنية حول فراغها المملّ/ تجتهد في إخفاء فقر حالها/ مديرةً ظهرها لكل الذين يعلمون). لكن ألم الانفصال يتبدى في نص آخر (لماذا تحكي عنا كما لو أن وداعنا كان في رخام؟/ الوجع في راحة اليد يقول لي/ إن الذي خلع من وركك/ ما هو بحجر وإنما لحم يقطر/ وما كانت عيناي من حجر/ حين خلعتا من صورتك عن العالم/ إنهما جرحان يحاولان الرؤيا).

في تجربة أسبمارك نقرأ العالم، لكننا إن أصغينا جيداً نقرأ خصوصية السويد عبر ذلك الملمح الشعري الذي يبدو بارداً في البداية لكن جليده سرعان ما يتكشف عن رقة إنسانية جارحة.

حكاية الحطاب وأميرة القمر



| **سامي كمال الدين** - القاهرة

حكايات «عقلة الأصبع» التي قرأناها في المدرسة ونحن صغارا، تعود إلى السيرة الشعبية اليابانية «الحطاب وأميرة القمر» والتي ترجمها الدكتور أحمد فتحي عن (جمعية نوافذ للترجمة بالتعاون مع مؤسسة اليابان الثقافية).

ربما قبل ألف عام عاش حطاب عجوز مع زوجته في كوخ متواضع بجبل من جبال اليابان، وحيدين بين الجبال والوهاد وأعواد الخيزران، حتى وجد طفلة صغيرة في كوخ ومعها قطع ذهبية، وعبر 192 صفحة نكتشف عالم هذه الأميرة الصغيرة التي حلت بها لعنة فهبطت من السماء إلى كوخ الحطاب العجوز، تتابع الحياة معه، كلما كبرت عاماً اكتشفت جزءاً من حكايتها.. وكلما ازداد الحطاب ثراءً، منذ حلول تلك الطفلة / الأميرة على الغابة، والقطع الذهبية المتناثرة تخرج للحطاب من أعواد الخيزران.

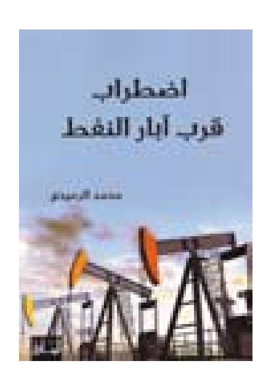
نقف في الحكاية على قصص لنبلاء وملوك، وقصور هجرها أصحابها، ودخان يصعد من قمة جبل فوجي، لنكتشف أن سيرة «الحطاب و أميرة القمر» سيرة شعبية يابانية حقيقية بلا مؤلف، فقد اكتشف اليابانيون هذه السيرة من خلال عدة مخطوطات قديمة تصحبها رسوم توضيحية للعالم الذي عاشت فيه أميرة القمر مع الحطاب وزوجه العجوز، ثم وقوع الإمبراطور بعد ذلك في هوى الأميرة.

واقع ومستقبل
المشاكل العربية الكبرى

عبدالله الحامدي

«كأن الزمن لا يمر بنا».. كم يبدو هذا التعبير شفيفاً في توصيف الكاتب الكويتي وأستاذ علم الاجتماع في جامعة الكويت الدكتور محمد الرميحي، للحالة الدائرية المفرغة التي يدور فيها العرب حتى الآن، أو حتى اللحظة التي مثل فيها كتابه الجديد «اضطراب قرب آبار النفط» الصادر حديثاً عن دار الساقي للطبع، ذلك أن ريحاً من نسائم الربيع العربي اعترت صفحاته، ولعلها منحت الكتاب قسطاً أوفر من التفاؤل وسط الحالة العربية المحبطة تاريخياً وهو يتطلع إلى غد أفضل للعرب.

الرميحي في كتابه الجديد، وكما عوّد القارئ، يطل على موضوعه برؤية بانورامية ممتدة إلى نهاية تشعباتها، مع نظرة أخرى فاحصة ومدققة في الوقت نفسه، الأمر الذي يضع القارئ أمام صورة جليّة رغم «الحالة المضطربة» التي يتناولها الكتاب، والتي تداخلت فيها الأبعاد المحلية مع الإقليمية، والعربية مع العالمية، نتيجة لعوامل كثيرة، لكن الرميحي يجملها في أقل من ذلك، بمقدمة الكتاب: «ابتليت منطقتنا المشرقية بعاملين اثنين، الأول أنه أنيط بها حل مشكلة عجز الغرب عن حلها، وهي ما عرف عندهم بـ (المسألة اليهودية)، حيث أنشئت دولة إسرائيل فأصابت المجتمعات العربية باختلالات عميقة، والثاني كتب علينا نتيجة صدفة الجغرافيا، أن نغذي هذا العالم الصناعي الكبير بالطاقة»، وهنا مربط الفرس، أو الأس الجوهري لما تدور حوله مقالات الكتاب بعناوينه المتقاربة أحياناً، المتباعدة أحياناً أخرى.



فالكتاب يحتوي مجموعة مقالات كتبت في أوقات مختلفة، لكنها ظلت متجددة، كونها تتناول عللاً مستعصية وعقداً لم تحل، إذ لا أحد ينكر المشاكل التي تواجهها البلدان العربية، بيد أن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح: هل تكمن هذه المشكلات في السيطرة الأجنبية على مقدّرات العرب ومفاصل حياتهم، أم في الأنظمة العسكرية، أم في الهزائم المتكررة؟ يحاول الكاتب البحث عن نقطة بداية لما أصاب دولنا ومجتمعاتنا العربية من مراوحة وتراجع وفقر ومخاطر تحيط بها، ويفنّد بعض المحطّات التي أسهمت في اضطراب المنطقة العربية، وفي الحشد الجماهيري حول شعارات قلّما يتغيّر مضمونها، لكنّها لا تقدّم الحلول وتستمرّ في تجهيل الإنسان العادي، ومن هذه المحطّات: ما حدث بعد الحرب العالمية الأولى من سيطرة أجنبية على مقدرات العرب، وتسلّط العسكر على مقدّرات السياسة العربية، والانتكاسات أمام الهجمة الصهيونية.

يتوزع الكتاب على أربعة فصول، تلت المقدمة، ويتطرق الفصل الأول (نحن والخليج) إلى العلاقة العضوية الجدلية بين المشكلات الداخلية في الكويت ودول الخليج بصورة عامة، وبين المصالح الخارجية للدول الكبرى وما تريده من المنطقة، فنقرأ مثلاً «حرب ودين وسياسة.. على هامش إعلان حماس كويتية» و«إرهاب قرب آبار النفط» و«العراق ومعركة العرب الليبراليين».. وكلها مقالات تدور حول واقع ما بعد الاحتلال العراقي للكويت، وما تبعه من احتلال أميركي للعراق، فضلاً عن المعضلات العربية المزمنة، ومن المهم القول هنا إن الكاتب يجترح الحلول الموضوعية خلال عملية الاستعراض، أي أنه يكشف الداء ليصف الدواء، ففي مقالة «قراءة في الأهداف البعيدة للاحتلال الأميركي للعراق» يؤكد الرميحي أنه لا تستطيع دولة أو مجموعة دول أن تعيش مرفهة نسبياً وتترك جيرانها في قاع الفقر، وأن هناك توجهاً عالمياً سوف يسري إقليمياً، مفاده أن المنطقة يجب أن تعمل بمثل ما تعمل به الأواني المستطرقة، حيث الفائض من هنا يذهب إلى المنخفض من هناك، مع الإشارة إلى أن الفائض ليس مالياً فقط، بل هو قيمي أيضاً، وأخيراً يشدد الرميحي على أن الديمقراطية ليست وصفة تكميلية ومظهرية تسد ثغرات النقد الدولي المحتمل، بمعنى أنها ليست انتخابات دورية، وصناديق انتخاب، ووجاهة شخصية، بل هي أساساً في مجملها مساواة المواطنين جميعاً تحت ظل القانون.

في الفصل الثاني (العرب وإيران) طائفة من المقالات بعناوين جذابة وموحية: «إيران والعودة إلى المستقبل»، و«العيش في منطقة الدخان»، و«ماذا تريد إيران من لبنان»، و«خيار الفرس أم تفاح أوروبا؟»، و«نيل الأسد واللعبة الإيرانية»، ويستهل الرميحي في هذه المقالة الأخيرة بقصة

تتداولها النخبة الإيرانية لتوصيف العلاقة بين الولايات المتحدة وإيران، وتقول القصة إن شخصاً اتُّهم بأنه دائماً يدوس على ذيل الأسد متعمداً، فلما قيل له إن الأسد مؤذ ويمكن أن تكون لعواقب دوسك ذيله أضرار كبيرة، رد الرجل: ماذا أفعل؟ كلما وضعت رجلي في مكان أجد ذيل الأسد!

أما الفصل الثالث (عاشوراء في الأشرفية) فقد خصصه الكاتب لحصيلة مقالاته التي كتبها أثناء زيارته إلى الشام، ويحكي الرميحي في الأولى منها: «أن تقضي أيام العيد بين أقرب مدينتين في بلاد الشام التاريخية، بيروت ودمشق، كمثل ما فعلت، فأنت أقرب إلى الأحداث العربية السياسية، في أسبوع العيد استطاع حزب الله اللبناني أن يحقق حدثاً غير مسبوق في تبادل الأسرى من اللبنانيين والعرب، بين لبنان وإسرائيل، وهو بذلك يضع خطاً واضحاً لحدود قوة إسرائيل العسكرية في مقابل العمل السياسي المستنير».

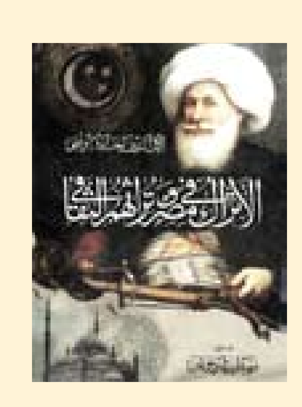
في الفصل الرابع والأخير (العرب والمستقبل) يذكّرنا رئيس التحرير السابق لمجلة «العربي» بافتتاحياته لها، خصوصاً تلك المطولة منها، لكن الشأن هنا مختلف: «جار الله عمر وهاشم آغاجاري» و«قديم العرب وجديدهم» و«لماذا صناعة الكراهية؟» و«أولويات العرب.. قراءة في المعكوس» و«فكر السراديب» و«المرأة العربية في قمة العالم» و«قرن عربي في التيه السياسي» و«يبكون أوطانهم في عمّان» و«احتضان الحياة والتنمية في الرسالة الإسلامية».

يذكر إن كتاب «اضطراب قرب آبار النفط» يقع في 224 صفحة، (وإن الدكتور محمد الرميحي كاتب وصحافي كويتي، وأستاذ علم الاجتماع في جامعة الكويت)، وقد صدر للدكتور محمد الرميحي عن دار الساقي من قبل: «أصداء حرب الكويت» و«سقوط الأوهام» و«عصر التطرف» و«الخليج 2025».

الثقافة
بين القاهرة وإسطنبول

رجب طيب أردوغان ينبهنا إلى أننا يجب ألا ننسى الدور التاريخي لتركيا خاصة في علاقتها بمصر، وذلك من خلال تقديمه لكتاب «الأتراك في مصر وتراثهم الثقافي» الصادر عن دار الشروق للمؤلف أكمل الدين احسان أوغلي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وقد قدم رئيس الوزراء التركي «هذه الدراسة تعد الأولى في مجالها تبين لنا بوضوح إلى أي مدى يرتبط مصير تركيا بمصير مصر، وإلى أي مدى يرتبط مصير إسطنبول بمصير القاهرة.. وأراني على ثقة بأن هذا العمل الذي بين أيدينا سوف يسهم بشكل جاد في دعم تلك العلاقات، ويقرب المسافات بين الشعبين أكثر وأكثر».

يقدم الكتاب دراسة شاملة عن التراث الإسلامي إبان الحكم التركي العثماني في مصر، محاولاً من خلاله التعريف بكيفية تشكيل الوجه أو النموذج «المصري العثماني» نتيجة لتطور القاهرة الذي كان يحاكي اسطنبول في البداية، ويكشف دور الثقافة التركية وتأثيراتها المختلفة في المجتمع المصري، من حيث



المدارس الحديثة والكتب التركية التي كونت الرافد العثماني المصري إلى جانب الوجه الثقافي «التركي العثماني» في مصر.

في الفصل الأول كشف أوغلي عن التأثيرات التركية في المجتمع المصري اعتباراً من مطلع القرن الـ19 الميلادي، مؤكداً أن هذا التأثير كان أكثر قوة وتشعباً في عصر محمد علي باشا (1822 – 1848) مقارنة بالعهد العثماني السابق عليه والذي امتد لثلاثة قرون، وشمل التأثير طرز الحياة الاجتماعية في الملبس، والمأكل، والموسيقى، والغناء، وأساليب التسلية والترويح وغيرها.

أما الفصل الثاني (الطباعة في مصر وما طبع بها من آثار الثقافة التركية) فتناول دور الطباعة كعنصر من عناصر النهضة المتشعبة الجوانب التي خاضها محمد علي لتأسيس جيش قوي على الطراز الأوروبي، ولم يكن استخدام الطباعة قاصراً على الأغراض العسكرية فقط، بل شكل مصدراً رئيسياً لتخريج الطلاب القادرين على الترجمة من اللغات الأوروبية، ثم طباعة عدد كبير من الكتب في مصر، بلغ عددها 253 كتاباً في مطبعة بولاق، ومطابع أخرى مثل ديوان الجهادية، سراي الإسكندرية، وكانت الكتب التي تطبعها مطبعة بولاق تلاقي استحساناً ورواجاً في تركيا.

كما تضمن الكتاب ثلاثة ملاحق، الأول للأسماء التي أطلقت على مطبعة بولاق، والثاني للمصححين والكتب التركية التي قاموا بتصحيحها، والثالث لأسماء الملتزمين والكتب التركية التي طبعت على حسابهم.

عبوة شعرية على أنقاض العراق

| **محمد غندور** - بيروت

في العام 2002، قدَّم الروائي اللبناني إلياس خوري تحفته الأدبية «يالو» وهي رواية تسرد الحرب الأهلية اللبنانية (1975 - 1990)، من دون دم أو رصاص أو قتل. نجح في إيصال ما يريد قوله من دون أن يسفك الدماء، روى تاريخ بيروت خلال الحرب وما عانته، ولكنه لم يتطرق إلى بشاعة فعل الرصاص و«هدير» سيارات الإسعاف.

يبدو الوضع مختلفاً مع الشاعر العراقي عبدالزهرة زكي الذي قرّر أن يكتب عن الحرب في بلاده بواقعيتها ووحشيتها وأهوالها. في ديوانه «شريط صامت» الصادر حديثاً عن دار المدى، أفلت العنان لقلمه لسرد ما يحلو له من روايات. إذ تحوّل فعل الكتابة لدى زكي إلى حاجة ماسة للتعبير عن الغضب والرفض والقرف من أوضاع البلد. باتت الكتابة متنفساً للشاعر، وكأنه يريد القول إنه فعل ما كان يجب أن يفعله منذ زمن. لم يبحث كثيراً عن صوره الشعرية، بل حاول نقلها من الشارع إلى قصائده، نمّقها قليلاً وأطلق سراحها.

انتبه أيها القارئ، وأنت تتصفح الديوان، أخفض رأسك خوفاً من رصاصة طائشة، واهرب قبل أن تصلك قنيفة ضلت طريقها، واحتم من قناص ينتظر الفرصة المناسبة لاصطيادك، وحاذر الركوب في سيارة لا تعرف أصلها وفصلها خوفاً من عبوة ناسفة، وعد إلى البيت قبل حلول الظلام، كي لا تكون هدفاً سهلاً، وإذا كنت من ذوي القلوب الطريّة، لا تنظر إلى جثة مرميّة على جانب الطريق، وإذا صادفت قاتلاً، لا تنظر مباشرة في عينيه خوفاً من أن يرميك في أقرب قبر مفتوح.



ما يعانيه العراق منذ العام 2003، ساعد زكي على التمرد والتصميم على تقديم عمل مستوحى من تلك الأحداث. ويحتاج هذا الفعل إلى جرأة كبيرة، خصوصاً أن اللغة الواجب استعمالها، ستقع في فخ البساطة في بعض الأحيان، ولن تكون على قدر كبير من العمق والإبداع.

قراءة الديوان أشبه بالتنقل في حقل للألغام، لا تعرف متى ستنفجر القصيدة، ومتى سيخطف القارئ إلى عالم زكي الذي رسمه بعناية، ليبرهن أن الشعر قادر على محاكاة الواقع، ونقل الصورة بكل تفاصيلها بموضوعية (بين القدمين المضرجتين بالدم، أسفل المقعد/ لم ينتبه عمال الإنقاذ لهاتف يرن / سيارة الإسعاف تنطلق بسرعة بالجسد القتيل، ويرتفع الدخان بعيداً/ ويمر السائقون ناظرين وجلاً إلى الحطام/ ووسط الدم أسفل المقعد الهاتف يرن).

ينقل صاحب «اليد تكتشف» (1993) الوجع والهم اليومي للمواطن الخائف دوماً من الموت الذي يرافقه حتى إلى أحلامه (سبقها دمها والحقيبة إلى الرصيف، قبل أن تترك صرختها تجري وراءهم بين الهواء والغبار والخوف وصوت الرصاص الذي ما زال يلعلع في قاعات الدرس).

يكمل زكي في «شريط صامت» مشروعه الشعري الذي بدأه مع قصيدة «هذا خبز» عام 1990، بعد الحصار الأميركي على العراق، والحصار الذي مارسته السلطة فيما بعد على المبدعين. وفي عام 2011، يكتب صاحب «كتاب اليوم... كتاب الساحر» (1999) معاناة شعبه من الاحتلال الأميركي، ومن الحروب الصغيرة والكبيرة بين العراقيين أنفسهم، ولكنه يكتب أيضاً عن الألم الذي يعتصر روحه جراء ذلك.

لم يَخَفْ زكي من الكتابة بوحشية، بل أرادها قاسية قوية ومتفحّمة (بين الحديد المشتعل ورائحة النار، تفحّمت جثتها، وعلى صدرها تفحّم جسد الرضيع... لكن ثديها مازال حانياً، يدرُّ حليباً ورحمةً على فمه الصغير). وفي أجواء الخطف والقتل والذبح وأزيز الرصاص وجد صاحب «كتاب الفردوس» (2000) مساحة للحب «من قبو الخطف» (تنفسي الهواء بعمق، ستجديني فيه أحرسكِ وأسهر عليك).

هذه اللعبة الشعرية التي أرادها زكي وفّق فيها، خصوصاً في النصوص القصيرة المكثفة التي أتت معبرة وواقعية وبليغة، بيد أن بعض النصوص الطويلة شابها الملل والرتابة وتوقع الأحداث قبل الوصول الى نهاية القصيدة - المجزرة، وقد حملت بعض قصائد الكتّاب عناوين صادمة كـ «برصاص قناص» و«بانفجار عبوة ناسفة» و«الجثة» و«الدم يحفر مجراه» و«الجثة تنتظر».

رغم شعريته المحضة كان، لكي يعرف قيمة أعماله، يرسلها إلى أصدقائه فإذا أثنوا عليها قام بإرسالها إلى المجلات لنشرها.

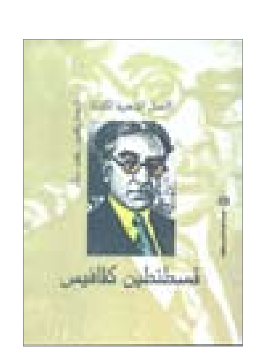
الترجمة العربية
أعمال كفافيس الكاملة

| عاطف محمد عبد المجيد- القاهرة

«لعلنا لن نعثر على ترجمة واحدة لأعمال كفافيس الشعرية على مستوى لغات العالم تضم ما تضمه ترجمتنا هذه من شمولية لكل ما يعرفه اليونانيون وغير اليونانيين من أعماله الشعرية». فيما اقتصرت الترجمات العربية السابقة على تشكيل مختارات متفاوتة في العدد ومعايير الاختيار ومناهج المترجمين فضلاً عن رهافة الترجمة ذاتها». هذا ما قاله الشاعر والمترجم رفعت سلام في مقدمته لترجمته لأعمال الشاعر اليوناني الكبير قسطنطين كفافيس الكاملة والتي صدرت مؤخراً عن الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة.

تضم هذه الترجمة القصائد المنشورة والقصائد غير المنشورة والقصائد الأولى وقصائد النثر (وهي قصائد كفافيس غير المتوفرة في طبعات الأعمال الشعرية لكفافيس وقد عثر عليها المترجم خلال بحثه في أرشيف الشاعر المنشور مؤخراً)..وكذلك القصائد غير المكتملة التي لم يمهل الزمن كفافيس لإنهائها خلال السنوات الأخيرة من حياته.

لقد قضى رفعت سلام ثلاثة عشر عاماً عاكفاً على ترجمته للأعمال الكاملة لقسطنطين كفافيس أو كفافي المولود في السابع عشر من أبريل من العام



1863 وقد كانت السنوات التي قضاها في صباه في لندن سنوات هامة في تشكيل حساسيته الشعرية فضلاً عن قراءته للأدب الإنجليزي.

كان كفافيس يكتب في العام الواحد حوالي سبعين قصيدة لكنه مع ذلك لم يكن يحتفظ منها سوى بأربعة أو خمسة قصائد فيما كان يقوم بتبديد الباقي.وكان، لكي يعرف قيمة أعماله، يرسلها إلى أصدقائه فإذا أثنوا عليها قام بإرسالها إلى المجلات لنشرها.

نشر كفافيس مجموعته الشعرية الأولى في العام 1904 وكان حينها في عامه الحادي والأربعين. ومنذ ذلك الوقت بدأ النقاد في الكتابة عنه وعن أعماله. بل وألقوا المحاضرات عن شعره.غير أن كفافيس الذي التقى عدداً كبيراً من الأدباء اليونانيين خلال زياراته المتكررة لأثينا لم يلقَ ما يستحقه من الاستقبال الأدبي.ويبدو أن أهميته لم يتم تداركها قبل وفاته لنفس الأسباب تماماً التي جعلت منه الآن الشاعر اليوناني الأكثر أصالة وتأثيراً في هذا القرن، ومنها نفوره من البلاغة التي كانت سائدة آنذاك وسط الشعراء المعاصرين في اليونان إضافة إلى نزوعه إلى الكمال الجمالي، وإبداعه عالماً أسطورياً غنياً خلال سنوات نضجه.وفي نهاية مقدمته يقول رفعت سلام: «ما أكثر الدروس الشعرية والنقدية والثقافية بل حتى الأخلاقية التي تنطوي عليها هذه الأعمال الشعرية والنقدية..وما أكثر وأعمق العِبرا!».

أما و.هـ.أودن فيقول في كلمة له تصدرت هذه الأعمال الكاملة: «منذ أن تعرفت على شعره قبل ثلاثين عاماً ظل كفافيس مؤثراً في كتابتي».

ومن أقوال قسطنطين كفافيس التأملية: «نحن نعمل باجتهاد..من أجل القادمين..لإعداد قواعد حياة..خطة حياة..ربما أكثر فائدة لأن حياتهم قد تكون أطول».

برع رفعت سلام في ترجمته لأشعار كفافيس ونثره مستخدماً لغة سلسة كأنها تقترب من الأصل..وقد بذل مجهوداً كبيراً في إنجاز هذه الترجمة.. يستحق عليه التقدير والثناء، وكانت ثمرته هذه الأعمال الكاملة التي سيستفيد منها كوكبة من المبدعين والقراء العرب أينما كانوا..وكذلك سيبقى كتابٌ كهذا مرجعاً مهماً في المكتبة العربية يقدم نفسه لكل من يريد الاطلاع على أشعار كفافيس ونثره وكتاباته التأملية.

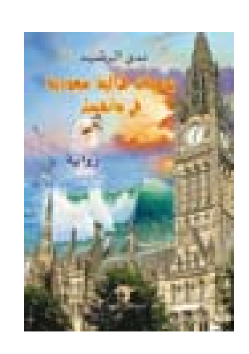
يقول كفافيس في قصيدة له عنوانها «أتى إلى هنا للقراءة»:

أتى إلى هنا للقراءة
كتابان أو ثلاثة يرقدون مفتوحين
لمؤرخين وشعراء
لكنه قرأ بالكاد لمدة عشر دقائق
ثم توقف
وهو ينعس على الأريكة.

مذاق الوداعات

صدر مؤخراً عن «دار سندباد» للنشر والتوزيع بالقاهرة رواية «يوميات طالبة سعودية في مانشستر» وهي الرواية الأولى للشاعرة السعودية الشابة ندى الرشيد. وتسرد فيها عبر 860 صفحة فترة إقامتها الدراسية في مانشستر ببريطانيا. وعلى ظهر الغلاف الذي صممه الفنان أحمد طه نقرأ من تقييم د. أسماء أبوبكر لتجربة المؤلفة:

«تعمد الكاتبة في صوغ موقفها الأيديولوجي إلى تقنية أدائية توظف فيها شكل الرحلة لتسجل يوميات طالبة سعودية تنسرب كروح نقية مسكونة بهاجس الغربة، طافحة لرواسبها العميقة وملتحفة بالرحيل، غادرت لتوها مدينتها التي تعشقها، مستسلمة لمستويات متعددة من الاغتراب، أعمقها اغتراب الذات إلى أقصى توجعاتها عبر ثنائيه الرحيل والعودة الإجباريين، مما يحقق مثاقفة أيديولوجية وجمالية، بين بيئتين وعالمين يتراوحان من البصرة إلى مانشستر ثم العودة إلى الرياض فيما بعد، لوجوه تجمع بينها رائحة المطر وشبق المدن، ويباعد بينها المناق المختلف للبيئتين، حينما تكون نفس الذات الإنسانية هي محور الفعل المتغير بتغير الأمكنة، فيتبلور صراع لا يخلص لانتصار إحداها على الأخرى، وإنما يتدفق ويستمر، فتنهزم أمامه الذات حيناً وتنتصر حيناً آخر، ويبرز الحس الانتظاري لدى الشخصية ضمن علاقات إنسانية متنوعة، وما بين الرحيل النفسي والارتحال الواقعي تنبت الإيحاءات وتتولد الدلالات الممزوجة بطعم المطر والذكريات الأليفة والأليمة، ترافقها مجموعة متنوعة من المتناصات التاريخية والسياسية والشعرية التي تؤسس لتناغماتها الإيقاعية، فتتماهى مواجع الذات مع مواجع الوطن ويسكن هاجس الرحيل فضاءات الروح الإنسانية».



والجدير بالذكر أن الشاعرة ندى الرشيد صدر لها من قبل ديوانان شعريان: الأول «كل عام وأنت لي» عن دار شمس للنشر بالقاهرة عام 2009، والثاني «رسائل الندى» عن دار سندباد للنشر بالقاهرة 2010، ولها تحت الطبع الجزء الثاني من رواية «يوميات طالبة سعودية».

برلمان نجيب محفوظ

صدر حديثاً للروائي سعيد سالم كتاب بعنوان «نجيب محفوظ الإنسان»، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن العدد التاسع من السلسلة التي تصدرها الهيئة بعنوان «نجيب محفوظ». الكتاب يشتمل على أبواب متعددة توضح جوانب من شخصية محفوظ الإنسان وعلاقته الودية بالآخرين ورؤيته للكون والخالق والإنسانية. كما يعرض الكتاب في فصل تحت عنوان «فيض من الذكريات»، مواقف كثيرة نقف عبرها على الحس الفكاهي في شخصية محفوظ من خلال العديد من قفشاته المرحة وتعليقاته الساخرة في مجالات السياسة والأدب والحياة الاجتماعية، وكذلك في المواقف الحرجة التي كثيراً ما تعرض لها خاصة في ندوات «سان ستيفانو» التي كانت مفتوحة في وجه الجميع، والتي يعتبرها الكاتب أنها كانت بمثابة برلمان ديموقراطي أطلق عليه برلمان نجيب محفوظ، من حيث أنه جو مثالي لممارسة حرية الفكر والكلمة في جو من الحب والتسامح واحترام الرأي الآخر.

ويضم الكتاب كذلك أبواباً أخرى، تتطرق إلى حصول محفوظ على نوبل وموقفه من التطبيع وعن محاولة اغتياله، كما يسرد الكاتب أحداث اللقاء الأول الذي جمع الكاتب بالأستاذ محفوظ، وهو اللقاء الذي أسس لعلاقة يأتي هذا الكتاب ثمرة لذكرياتها وتاريخها، وهو شهادة من واقع معايشة الروائي سعيد سالم للأستاذ لسنوات عديدة، سواء في لقاءات الصيف أو من خلال الخطابات المتبادلة معه بشأن موضوعات وقضايا متعددة، مما يضفي على الكتاب غاية توثيقية استناداً إلى الاحتكاك المباشر بهذا الروائي الكبير.





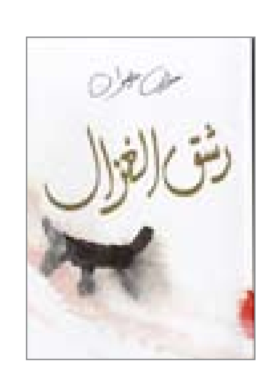
عبــر نصها الطويل تطلعنا ســوزان عليــوان على حالة مــن التناغم الشعري مع تجربتها الخاصة.

كل التفاصيل ورطة حب

يتشكل الحب «كقوس قزح، لا يختصره لون واحـد».. حـب أرادته الشـاعرة غصنـاً، حينا يقف عليه غراب، وحينا تتفتح فيـه وردة.. على هــذه الحالة التأمليــة تواصــل الشــاعرة اللبنانية ســوزان عليــوان الكتابة عــن الحب، وهو موضوعتها الأساســية في مجمل تجربتهــا الشــعرية. ويأتــي ديوانها الثالــث عشــر «رشــق الغــزال» وهو طبعــة خاصة فــي 70 صفحة بغلاف من تصميم الشــاعرة، اســتكمالاً لهذه التجربــة. الديوان عبــارة عن قصيدة طويلة مقســمة إلى مقاطــع، يبدأ كل منها بجملة مطبوعة باللون الأحمر.

عن دلالة اختيارها لعنوان الديوان، تتحدث الشاعرة في أحد حواراتها الأخيرة قائلة: للعنوان أكثر من دلالة، فـ «الرشـق» حسب لسان العرب هو «الرمي بالسهم» وهـو أيضاً «الرمي بالنظرة»، ولـه دلالات أخـرى فيما يخص الغزلان، «المرشق من الظباء: التي تمد عنقها وتنظر، فهي أحسن ما تكون». غير أن الشاعرة تترك القراءة مفتوحة وإن كانت تلمح في نصها ترجيح القراءة إلى «كبرياء غزال يمد عنقه نحو السماء» :

«في المعاناة
نواة معنى



كل صباح يتخطى صاحبيه
وللرياح العاتية بصيرة صقر
وملمس سماء/»
«حين أرفع رقبتي قليلاً
لأتفقد الفراغ وما فاتني
أجد الهلال الذي تركنه يتكون مشنقة مكتملة/»

«في جوقة الأصدقاء
على غير هدى
في الحشا لوعة وفراغ غزالة
بدندنة أتظاهر
برفع نخبي
كإكليل في دخان..»

وعبر نصهــا الطويل تطلعنا ســوزان عليوان على حالة من التناغم الشعري مع التجربة الخاصة، و«رشق الغزال» وإن كان مرآة لفضاء شخصي داخلي، فهو نــص يجنح فــي انكشــافاته إلى التفاصيل اليومية ومحاورة مكوناتها وشخوصها بكامل الحميمية والعتاب، حتــى إذا ما انتقــل النص مــن الحالة الخاصــة إلــى العامــة، فهو فــي هذا الانتقــال يضــع القارئ في ســياقات صعبة مــن التجــاذب والانقطاع، من تشكيل لغوي شفاف ورومانسي، إلى انزياحــات صوفية حســية تســتدعي التــذوق والتأمل والإنصــات، خاصة حين يضــاف إلى كل هذا تلــك الكلفة الشكلية للنص واشتغاله المتقون على عنصــر الإيقــاع الخارجي حتــى يكاد يوهمنــا أحيانــاً كثيرة أنــه قائمة من التفعيــلات الموزونة، لكنــه في واقع النص نتاج حرص لافت من الشــاعرة، على تناغم الشكل بانزياحات الصورة الشعرية. وهو تناغم ليس على حساب الإيقاع الداخلي للنص، فالشاعرة تبرر اعتمادهــا علــى الثنائيــات والأضداد اللغوية التي تشكل نســيج الانزياح والتصوير وتشــكيل الصــورة، وهنا مــن صميــم رؤيــة عليــوان لمحيطها وانعكاســاته شــعرياً عليها، ومن ثم تبدو هذه الثنائيات كما تقول الشاعرة: «متنافــرة وهي في جوهرها في ديوان «رشق الغزال» ضفيرة العاشقين. رغم كل الصراعــات الدائــرة بينهمــا، على امتداد النص، توحدهما في النهاية دمعة العالم» حيث نقرأ في هذه النهاية:

«على كمنجات خفية
على عتب
واعتذار
وعناق عميق
كأني لأول مرة أراك
وجهك
ضحكتك
عيناك الأجمل من أن تكونا
دمعة من إذا
هذا العالم؟.»

في لحظة حاسمة من تاريخ المغرب إبان الاستعمار، حيث شرعت الحداثة باكتساح المدن العتيقة، كانت القصة المغربية تبسط خصوصيتها المحلية.

هموم المحلية في القصة المغربية

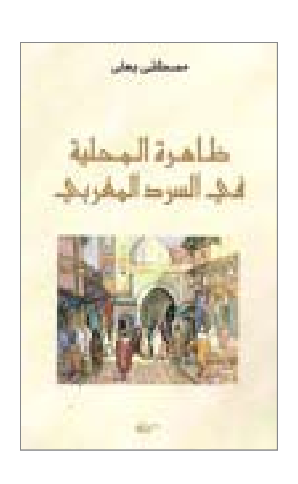
| محمد العناز

في موضوع قلما تناوله الباحثون صدر مؤخراً للقاص والباحث المغربي د. مصطفى يعلى كتاب تحت عنوان (ظاهرة المحلية في السرد المغربي: حفر عن خصوصيات المجتمع المحلي في نصوص القصاصين المغاربة الرواد)، ضمن سلسلة «الأربعة»، عن مطبعة الأمنية بالرباط.

الكتاب يقع في 348 صفحة من القطع الكبير، وهو يتمفصل إلى قسمين اثنين يكمل أحدهما الآخر:

القسم الأول، معنون بـ (ظاهرة المحلية)، وهو ذو طبيعة نظرية، ويتكون من أربعة فصول هي: (المحلية مفهوماً، المحلية تجلياً إبداعياً، المحلية نزعة، المحلية دعوة).

أما القسم الثاني (محلية السرد المغربي)، فهو قسم تطبيقي، يستنطق فيه الباحث النصوص السردية لعدد من القصاصين المغاربة الرواد، المنتمين إلى بعض المدن المغربية العريقة (فاس، أصيلة، تطوان، سلا)، وذلك عبر أربعة فصول: (العتاقة المهددة بالتحول، أصيلة مرتعاً لشطارة الطفولة المستعادة، الرؤية النقدية الإصلاحية للمجتمع المحلي، المحلية معبراً للالتزام).



ينطلق الكتاب من فرضية كون هيمنة ظاهرة المحلية على مختلف الأنشطة الثقافية، ومنها الإنتاج السردي في المرحلة المدروسة (من أوائل الأربعينات إلى نهاية الستينات)، لم تكن سوى نوع من الدفاع عن الذات وتحصينها أمام تغول الغرب المستعمر.

وهكذا حاول الباحث تحديد مفهوم المحلية، مانعاً التداخل بينه وبين مصطلحات ومفاهيم أخرى مجاورة، كالإقليمية والوطنية والقومية. كما توقف الباحث على أهم تجليات الظاهرة المحلية في الفن والأدب عموماً. مع سرد الوضع التاريخي العام الذي نشأت وترعرعت في ظله قبيل وبعيد استقلال المغرب. فتبين أن لهذه الظاهرة أسباباً ذات علاقة بشروط تاريخية موضوعية، احتضنها مناخ اجتماعي ونفسي وسياسي خاص ساد المغرب في الفترة المدروسة: «فتحت حوافز معينة، من عزلة تاريخية، وتسلط استعماري، وتجاهل مشرقي لما أنتجته القرائح المغربية من فكر وأدب، وإحساس بضرورة الاهتمام بكل ما هو مغربي في المجالات الفكرية، والأدبية، والفنية، والحضارية. نزوعاً منهم إلى استكشاف الشخصية المغربية واستعادة الهوية الضائعة، دون أن ينسيهم هذا الحماس انتماءهم العربي الإسلامي الذي قامت دعوتهم تلك بوازع منه وغيرة على العروبة والإسلام في هذه الديار» (ص.330).

فوفق ما يذهب إليه الباحث،فإن السرد كان من الميادين المناسبة لاحتضان التجليات المحلية بصورة مجسدة ورحبة، لما يملكه من إمكانات بليغة في التعبير عن المعاناة الفردية والمعضلات الاجتماعية والقضايا الوطنية والإقليمية والقومية، بل والإنسانية. ذلك أن قصاصي المرحلة، المغاربة القابعين في مدنهم التقليدية العريقة، مالوا إلى الاهتمام بمجتمعهم المحلي والتعبير عنه وعن همومه وتطلعاته، ورسم فضاءاته بصورة تفيض حباً واعتزازاً، لكنها لا تخلو من نقد ومؤاخذة بغاية إصلاحه.

فمن خلال الحفر في نصوص أشهر القصاصين المغاربة الرواد. يخلص الباحث إلى كون القصاصين المغاربة من أبناء مدينة فاس، كأحمد بناني وعبد الرحمن الفاسي وعبد المجيد بن جلون وعبد الكريم غلاب، قد انصرفوا

في سرودهم بحماس صادق، نحو رصد حركة مجتمعهم المحلي الفاسي في لحظة حاسمة من تاريخه الحديث والمعاصر، حيث شرعت الحداثة تكتسحه في عقر داره، فجعل ما هو أصيل وعتيق يصطدم بما هو دخيل وجديد. وقد تمكن أولئك الكتاب من بسط مختلف تجليات المحلية بخصوصياتها المكونة لشخصية مجتمعهم الضيق بيئياً وحضارياً واجتماعياً وسياسياً ونفسياً، لكن في مواجهة مأساوية مع نقائضها المصاحبة للاستعمار الغربي.

بعد ذلك، ينتقل الباحث إلى الكشف عن مدى تمثل أحمد عبد السلام البقالي للظاهرة المحلية في أغلب نصوصه السردية، التي تتخذ من مدينته أصيلة فضاء حميمياً لها، تتجمع فيه شتى الملامح المحلية المشكلة لمجتمع أصيلة الأكثر ضيقاً وتشدداً، والمكونة جمالياً عالماً تخييلياً ذا مواصفات خاصة، تتحدد في الصراع بين الأجيال في لحظة تاريخية عانى فيها هذا المجتمع من قسوة التقاليد والحرمان والفقر والممارسات السلطوية الأبوية والاستعمارية. وهو ما جعل نصوص البقالي تتميز هي الأخرى بنسقين اثنين لكنهما مختلفان إلى حد ما عما لوحظ في أعمال كتاب فاس، ونعني بهما حركة الشطارة المتحدية من لدن الأطفال والشباب، مقابل الطرد الصارم الذي مارسه المجتمع المحلي الأصيلي على أبنائه النجباء، وذلك حفاظاً على استمرارية وتأبيد هذا المجتمع بكل مواصفاته الماضوية.

ومن التنويعات المحلية المختلفة لظاهرة المحلية في السرد اهتدى الكاتب إلى أن الظاهرة قد تميزت في مدينة مغربية عريقة أخرى هي تطوان، بنزوع كتابها وخاصة محمد الخضر الريسوني، نحو الاحتفاء بالمظاهر الاجتماعية وطقوسها الراسخة، كالخطوبة والزواج والشعوذة والدجل والحرف التقليدية، وما إلى ذلك من المظاهر الإثنوغرافية، مع الاهتمام بما يشغل أصحابها من هموم وطموحات. وقد تم كل هذا بحس نقدي إصلاحي غايته التوفيق بين القديم والجديد، وبوعي «طوباوي» حريص على إعادة التوازن إلى المجتمع المحلي المختل، تساوقاً مع شعارات حزب الإصلاح الذي كان يتخذ مقره الرئيس بهذه المدينة.

ثم يصل الباحث في الفصل الأخير، إلى تنويع رابع يتجسد في قصص أحمد اشماعو بالنسبة لمدينة سلا العتيقة، كما تبدت في مختلف أنساق النص السردي لهذا الكاتب، لاسيما في المقدمة الطويلة، مكونة صورة أصيلة محببة وشيقة للمجتمع المحلي السلاوي، تدعمها الرغبة في فضح الظلم الممارس من لدن رجال السلطة والمال المحليين، وكذا من السلطات الاستعمارية الغاشمة، وهو ما ميز هذه الظاهرة لدى اشماعو بطابع الالتزام المعبر عن نفسه من خلال هذا المجتمع.

وينتهي الباحث إلى تأكيد اختلاف الرؤية المحلية لدى كتاب المدن المذكورة، بيد أنه يعود فيقرر بأن تجليات الظاهرة كثيراً ما تماهت لديهم، فقد اشتركوا في معظم الخصائص الجمالية بناء وأسلوباً.

ولا ينس الدكتور مصطفى يعلي تبرير نشر بحثه راهناً، في زمن إطلاق خرافة العولمة. فانطلاقاً من وعيه الحاد بالاختلاف الجذري ما بين العالمية المرتبطة بالتنوع الخصب والمثاقفة المثمرة من جهة، والعولمة العمياء العابرة للقارات والكاسحة لكل شيء والمجرفة لثقافات الشعوب المتنوعة رسمية وشعبية، من أجل فرض نموذج قطبي أميركي متوحش، من جهة ثانية، يؤكد أن سؤال الخصوصية في حاجة إلى إيجاد الأجوبة الضرورية من لدن الجميع.

العربية: دلالات وأصوات

صدرت عن المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم مؤخراً موسوعة معجمية بعنوان: «المستكشف» تتضمن ستة معاجم فرعية من تأليف الدكتور إدريس ولد عتيه أستاذ مساعد بجامعة قطر.

وتتضمن هذه الموسوعة المعاجم التالية:

- المعجم الصوتي: وهو تقديم جديد لنطق الحرف العربي من حيث صفته ومخرجه وكيفية نطقه.
- المعجم الدلالي: ويعتمد تعريف وتصنيف وترتيب 459 حقلاً دلالياً، هي الغالبة على المعجم العربي كله.
- معجم المحيا، وهو تصنيف وإحصاء لبعض الثغرات الاستعمالية للفصحى المعاصرة واقتراح للمناسب من التراكيب والألفاظ لسد تلك الثغرات، وفيها إضافة تعليمية لما تقوم به المعاجم في إنهاض العربية.
- المعجم الصرفي والصوتي (المتقارب الصوتي)، وفيه أحصيت آلاف الكلمات وصُنِّفت وجُدْوِلت في ست عشرة عائلة صوتية مبيناً فيها أوجه التقارب والتقابل والتضاد صوتاً وصرفاً ودلالة.
- معجم المستغرب (صوتي ودلالي وصرفي) وفيه صنف كثير من المادة الغريبة في العربية، جُدْوِلت وبيِّنت أوجه الغرابة فيها وزناً وصوتاً وسبب غرابة.

اليمن وفصول الجحيم في معركة بين إخوة «دمّروا خلال أحد عشر يوماً ما لم تدمره الحرب اللبنانية خلال أحد عشر عاماً مضت»

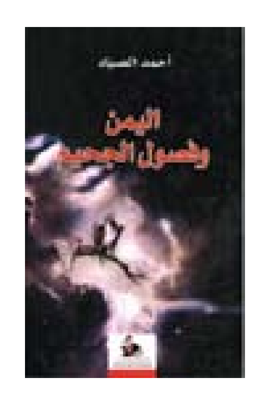
قبائل ماركس تتناحر في الجنوب

| جمال جبران - صنعاء

يصل الشاعر أرثر رامبو إلى ميناء عدن، فجر الثالث عشر من يناير 1986 في مشهد متُخيل على ظهر «المركب النشوان»، كئيباً وصامتاً ينزل إلى المدينة التي عاش فيها جزءاً من حياته. يصعد إلى تلة ويخاطب سكانها: «إنني أشتّم اليوم رائحة البارود»، ويعود من حيث أتى. ما هي إلا ساعات قليلة حتى تخرج الرصاصة الأولى من بيتها ويكون جحيم وبداية القتل على الهوية واللكنة. «إنها الحلقة الأولى من مسلسل الانتحار الجماعي». انسحب عقل «رفاق كارل ماركس» وتقدمت القبيلة.انقطع الحوار بين الإخوة الأعداء لتخرج الدبابات إلى الشوارع متحدثة بلغتها الخاصة، وفي حين انفردت الطائرات بالقصف من الجو كانت قطع بحرية ترمي بنارها و«عدن تحترق».

يسجل أحمد الصياد في كتابه «اليمن وفصول الجحيم» (دار رياض الريّس) سيرة تلك الأيام الدامية بين رفاق الحزب الاشتراكي الذي كان حاكماً لجنوب اليمن في تلك الفترة وماجرى قبل وأثناء وبعد الثالث عشر من يناير 1986. وقد تعمد الصيّاد التنويه في بداية كتابه «في هذا العمل من الحقائق قدر ما فيه من الخيال، أما تصنيفه فأتركه لتقدير القارئ».

هذه الحرية التي يقدمها كاتب العمل لقارئه يمكن أن تنهب بهذا القارئ المحتمل للبحث فيما وراء السطور والقالب الروائي التي جاء الكتاب في سياقها، بحيث يمكن اعتبارها قطعة من سيرة ذاتية طويلة حيث لا يمكن إسقاط نقطة بالغة الأهمية تقول إن أحمد الصياد وهو الرفيق الذي تقاطعت حياته بتلك الفترة التي يرويها كتابه وكان شخصاً محسوباً على الحزب الاشتراكي اليمني بعد هروبه من شمال اليمن إلى عدن، حيث توافرت له حياة فكرية وثقافية لم تكن متاحة له في مسقط رأسه قبل أن يتدرج في مناصب عديدة وصولاً إلى منصب الأمين العام المساعد لمنظمة اليونسكو وهو المنصب الذي ما يزال يشغله حتى اليوم.



وقد فضّل الكاتب تأطير تفاصيل ما جرى من أحداث في يناير الدامي ذاك في قالب يروي قصة عائلة من الشمال اليمني لديها ولدان يستقر الأول (صادق بن محمد المنصوري)،الراوي، في مدينة عدن بعد إتمامه دراسة الطب في إحدى الدول الاشتراكية وقتها وجاءت منحته الدراسية عن طريق الحزب الاشتراكي يومها، بينما يبقى الولد الثاني (عمار) في صنعاء مفضلاً البقاء هناك والتقرب للسلطة الحاكمة التي من خلالها سيصبح شخصاً نافذاً في البلد. ومن خلال هاتين الشخصيتين يمهد الصيّاد لرواية تفاصيل ما حدث خلال تلك «المذبحة» التي أودت بحياة ما يزيد على 16 ألف يمني قضوا بنيران الإخوة المتقاتلين، لكنه مع ذلك لم يرغب في الدخول عميقاً في تلك التفاصيل ولم يقم بتحديد الأسباب والأسماء التي أدت لوقوع ما كان مكتفياً الإشارة من بعيد تارة أو الاختباء وراء أسماء وهمية لشخصيات سياسية من قيادات الحزب الاشتراكي ما تزال تعيش حتى اليوم وتمارس دوراً على صعيد الحراك السياسي اليمني تارة أخرى،لكن لعل هنا هو ما جعله متهرباً من تحديد هوية الأسماء التي تسببت فيما حدث على اعتبار أنه كان شاهداً على المذبحة التي أظهرت الرفاق عراة من شعارات المدنية التي كانوا يرفعونها منطلقين من الإرث الثقافي الاشتراكي الذي درسوا على يديه وصار عنواناً عريضاً للجنوب اليمني. وربما من هنا كان حجم الصدمة التي تولدت في عقول من تابعوا تلك التجربة الاشتراكية في جنوب شبه الجزيرة العربية واعتقدوا أنها قد تكون نواة لمدنية كبرى تتجاوز اليمن الجنوبي لتصل إلى خارج جغرافيتها ولم يتوقعوا أبداً أن تنتهي التجربة بذلك الشكل الدامي الذي انتهت إليه.

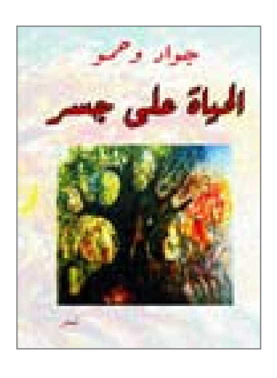
شاعر يعيش على جسر

| أنيس الرافعي - المغرب

بعد «نوافذ مشرعة على الليل» صدر للشاعر المغربي جواد وحمو مؤخراً ديوان «الحياة على جسر» (منشورات أنفو برانت، 2011). استلهم مظانه من محاورة نيتشوية وردت بكتاب «العلم المرح» بين الفيلسوف وروحه الثانية التي كانت تتوق لأن تسير في أعقابه عبر جسر ضيق هو الحياة، تعترضه الجبال والسيول والناس والوحوش، وكثيراً ما يفرق ويغرب الواحد عن نفسه ليصير شبحاً.

ومنذ البدء يكاشفنا المدخل الافتتاحي لهذا العمل الجديد، الموشى بلوحة غلاف سوريالية من توقيع الفنان الروسي بافيل تشيليتشو، بأن الشاعر قد وطد العزم والحرفة على أن «لا يسير بالعبارة أكثر مما تريد القصيدة»، لذا جاءت نصوص الديوان مضغوطة كالرقائق الزجاجية ومترعة ببلاغة الاختزال كما لو أنها كتبت بحد السكين.

غير أن لها تلك الطاقة الإيحائية على الإيغال في تدرجات المعنى والمضي بالقارئ إلى الجهة المقابلة للتأويل، كي يشارك «خالق الكلمات، وحافظ وجوه الكائن اللانهائية» على حد تعبير روني شار، هواية مطاردة الشعر، الذي يستحيل تارة «طريقاً ضائعة أو قرينة في العتمة»، وتارة أخرى «نافذة لا تطل على أحد في البعيد».



وهي مطاردة مشروعة في عرف الروح المكلومة بالوجود، ومن شيم شاعر بالغ القلق وغير مدخر لليقين من طينة جواد وحمو، «يبحث عن حصته في كل شيء زائل»، وقصارى حلمه هو «أن يقضي ما تبقى من حياته على جسر/ لا يعبر ولا يصل / يطل على كل ما يختفي في البعيد / وينتحر قبل أن يقترب».

الديوان جاء في 78 صفحة من القطع الصغير، ضاماً بين دفتيه للقصائد التالية : (جسد، الغرباء، سراب، خرائط، يجيء وينهب، النبي، الألم، الحوذي، الفقدان، أعمى، القلعة، جرثومة الليل، وعشب تحجر في يدي كعروة الفانوس). وهي عناوين تشي بالمهيمنات الموضوعاتية والعوالم الأسرارية التي تستوطن نسغ القصائد، وتقود سعيها الحثيث صوب وعود الآتي، التي يشهرها الشاعر كالعراف في وجه الزمن كلما انهارت أمامه البراهين الصلبة، وفي مواجهة الخوف بحثاً عن الأمل كي يجتاز سالماً صحراء الذاكرة.

في «الحياة على جسر» يوحد جواد وحمو بين جناحي الإيقاع والكتابة، وبين صرامة التفعيلة وانسيابية المحكي الشعري، لترتقي القصيدة بكامل خفقانها أعلى من شراك الحياة، وفوق أعطاب القلب، وبمحاذاة البعيد الذي يصقل الأفق. وبين فكي هذه الجدلية، يبدو الشاعر طاعناً في عزلته، وحيداً «يزحف في اتجاه غابة من المسامير»، منفرداً في مواجهة العالم، الذي لم يتبق منه شيء، متحصناً فحسب بأخيلته مثل فارس دونكيشوتي يجابه طواحين الهواء.

إلا أنه يعلو في كل حين على هذا القدر «بغرز أحلامه في شتى ما يحيط به»، و«يرحل صوب ضفة الوقت كي يجمع أنحاءه». إنه مناخ شعري ضاغط وسوداوي يشهد على عالم كابوسي سيؤول بعد حين إلى التآكل والعدم والفوات، والذات ليس أمامها بدّ من البحث عن وسيلة للخلاص و«اقتفاء المنتهى» ومراودة المسافات القصية، لأن مسكن الكائن أضحى «بلا أهل / والطريق سراب على أول الأحجية».

على ظهر الغلاف، نقرأ الكلمة التالية للناقد مصطفى الحسناوي: «جواد وحمو، الشاعر القادم من أعالي الأسئلة الشعرية والوجودية العميقة، مسكوناً بهواجس الحياة والموت والتمظهرات العلائقية المرئية واللامرئية، عابراً ليل الكائن الشعري شأن رامبو، بنعال من ريح، وخطى هائلة، شبيهة بتلك التي اقترفها تمثال السائر لجياكوميتي».

والأكيد، أن عبور هذا الديوان المتميز بناء ورؤية وخيالاً، لن يكون عابراً في مشهد شعري يعج بالمتشابه والمنمط، لأن النقلة النوعية التي حققها جواد وحمو في «الحياة على جسر» تنبئ بولادة شاعر «واثق الخطى» صوب منابع الشعر.



السّينما الفرنسية... تتحدث بالعربية

| باريس - **خاص بـ «الدوحة»**

مطلع السنة الجديدة يمثل موعداً لاستعادة شريط الأحداث الماضية، وبداية العد التنازلي للإعلان عن أهم الأسماء التي صنعت الفرجة السينمائية في فرنسا.

بينما تتوج هوليوود نجومها بالأوسكار، تحتفي فرنسا، على طريقتها، بخيرة مواهبها وكفاءاتها في الفن السابع، من خلال تسليمهم جوائز السيزار العريقة، التي تبلغ السنة الجارية دورتها السادسة والثلاثين.

لما أسس جورج كرافان (1914 - 2009)، القادم من القيروان التونسية، أكاديمية فنون وتقنيات السينما (1974) كشف، من البداية، عن نيته في مزاحمة جوائز الأوسكار، وتأسيس تقليد فرنسي وأوروبي مواز. وأطلق سنة 1976 الطبعة الأولى من الجوائز، التي تستمد اسمها من اسم النحات سيزار (1921 - 1998)، ومن اسم شخصية لعبها الممثل ريمو (1883 - 1946) في إحدى مسرحيات مارسيل بانيول (1895 - 1974).

انطلقت السيزار بتسليم ثلاث عشرة جائزة، قبل أن يرتفع عدد جوائزها إلى اثنتين وعشرين، بعد إضافة جائزة أفضل فيلم تحريك السنة الماضية.

كثير من الأسماء السينمائية الفرنسية العالمية تمنت وحصلت على الجائزة ذاتها، أمثال جون جاك انو، رومان بولنسكي، كلود سوتيه وغيرهم. ولكن المفارقة التاريخية تكشف أن أكثر الأسماء تتويجاً بالسيزار، هي ممثلة فرنسية من أصول عربية، جزائرية تحديدا: إيزابيل عجاني. التي حصدت جائزة السيزار لأحسن ممثلة خمس مرات. متقدمة على الممثل الشهير جيرار ديبارديو الذي حصل عليها مرتين فقط (1981 - 1991). وغالباً ما ابتسمت الجائزة للممثلين العرب، المغتربين في فرنسا، حيث حقق الجزائري طاهر رحيم عام 2010 ثنائية، الأول من نوعها، بتتويجه بجائزة أفضل ممثل وأفضل نجم واعد، عن دور البطولة في فيلم «نبي» لجاك أوديار.



مع اقتراب الحسم في دورة 2012، أوردت أكاديمية فنون وتقنيات السينما أسماء ثلاثة ممثلين عرب شباب ضمن قائمة ترشيحات الجائزة، في صنف أفضل نجم واعد في السينما الفرنسية. ويتعلق الأمر بكل من التونسيين نادرة عيادي وأيمن السعيدي والفلسطيني محمود شلبي.

نادرة عيادي برزت، السنة الماضية، بدور نورة في الفيلم الدرامي «بوليس» للمخرجة مايوين. والذي يتعرض ليوميات شرطة حماية القاصرين. حيث يصوّر كثيراً من مشاهد الاعتقالات، والمتابعات، وحدة التحقيقات واعتراف القاصرين والأولياء بالانحراف المعيش. فيلم يتضمن مشاهد ومقاطع صادمة أحياناً، ولكنها تختزن كماً من الواقعية. وحقق العمل نجاحاً في صالات العرض، حيث تعدت مبيعات التذاكر عتبة المليوني تذكرة.

نادرة التي انطلقت من الأدب، وتعلقت ببلزاك وزولا سنوات المراهقة، صارت محط اهتمام كثير من مهنيي الفن السابع في فرنسا. بالموازاة مع دراستها للحقوق، مارست المسرح، وفضلت في الأخير معانقة الفن الرابع، بدل البحث عن وظيفة إدارية تتناسب مع شهادتها الجامعية. متحدية رفض والديها الذين لم يقتنعا، في البداية، بخيارها الفني. ولكن، توالي نجاحات نادرة من الخشبة إلى شاشة السينما، دفعهما إلى تغيير رأيهما.

في فيلم «بوليس» تعكس نادرة (أو نورة) صورة غضب المرأة العربية. حيث تظهر في واحد من المشاهد وهي تصرخ في وجه والدها، المتزمت والمنضبط بموروث اجتماعي تقليدي، والذي يريد أن يفرض عليها الزواج برجل لا تعرفه. وسبق للشابة نادرة تقمص دور سعاد في «المحامون ورفاقهم» (2008) ودور صفية في«زيم وجماعته» (2005).

ويراهن أيمن السعيدي على حظوظه كاملة للظفر بأول سيزار. شخصية يحيى الإرهابي الإسلامي، التي جسدها في فيلم «الهجوم» لجوليان لوكراك، جذبت إليه الاهتمام. سيناريو الفيلم، المصنف في خانة «الأكش»، يعود إلى عام 1994، ليحكي بعض تفاصيل اختطاف طائرة الإيرباص التابعة للخطوط الجوية الفرنسية، في رحلتها رقم 8969 من طرف عناصر الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر، بمطار هواري بومدين، والتي كانت تحمل على متنها أكثر من مئتي راكب. وهي العملية التي كلفت أرواح ثلاث ضحايا.

الفيلم الحاصل، هذه السنة، على جائزة مهرجان سارلات، يعيد فتح واحدة من الملفات الحساسة، في العلاقات الثنائية بين الجزائر وفرنسا. والمعروف أن أيمن السعيدي اشتهر سلفاً بدور مراد في الفيلم الكوميدي الجزائري (Beur Rouge) 2006 «Blanc» وبمشاركته في فيلم «عدن غرباً» للمخرج غوستا غافراس.

أما الفلسطيني محمود شلبي فقد وجد له موطأ قدم بين النجوم بعد مشاركته الموفقة في فيلم «رجال أحرار» للمخرج الفرنكو-مغربي إسماعيل فروخي، وتقمصه شخصية المغني الجزائري سليم هلال، الذي ذاع صيته سنوات الخمسينيات.

الأكيد أن العرب ليسوا مستعدين للعب دور المتفرج في جوائز السيزار الفرنسية، فهم، من سنة لأخرى، ينضمون إلى قائمة المتوجين. ففي 2011 نالت الجزائرية ليلى يختي جائزة أفضل نجمة واعدة. فمن سيسير على دربها هذه السّنة؟



تمرّد على الشاشة

| طاهر محمد علي - الخرطوم

برودة الطقس التي عرفتها مؤخراً، الخرطوم لا تمنع توافد الجمهور، بشكل واسع، على فعاليات مهرجان الفيلم الأوروبي (27 نوفمبر/تشرين الثاني- 4 ديسمبر/كانون الأول)، الذي جاء هذا العام محملاً بجديد الفن السابع، ناقلاً ثقافة عشر دول أوروبية، قدّمت أفلاماً مثيرة، وطرحت موضوعات شدت اهتمام المتتبعين، على مدار أسبوع كامل.

جاء المهرجان في دورته الجديدة مختلفاً عن الدورات السابقة. حيث ألقى الضوء على تنوع أوجه الثقافة والحياة الأوروبية المعاصرة، واستهدف عبر أفلامه شريحة واسعة من الأكاديميين والهواة. مع ذلك، لم يفلح القائمون على المهرجان في تحقيق ما رموا إليه بغية تحقيق أطر التعاون المشترك بين البلدان الأوروبية والسودان في الجوانب الثقافية والفنية، وتناول قضايا مثل الهجرة والهوية، الإسلام وأوروبا، والفن والحياة. حيث أثار جدلاً بسبب عرض الفيلم الإنكليزي «آم إسليف» أو (أنا مستعبدة) حسب الترجمة، للمخرج غابريل رينج، الذي استطاع لفت انتباه العالم إليه بشريطه المتخيّل عن اغتيال الرئيس الأميركي الأسبق جورج بوش (2007).

سيناريو فيلم «أنا مستعبدة» (82 دقيقة) استند إلى رواية حقيقية للكاتبة والناشطة في حقوق الإنسان ذات الأصول السودانية «مندي ناظر». وتتطرق أحداثه لموضوع تجارة الرقيق في لندن في الوقت الحاضر، ونضال امرأة منفردة من أجل الحرية. وينطلق سيناريو العمل من جبال النوبة غرب السودان، عندما انتزعت «ماليا» ذات الاثني عشر ربيعاً من بين ذراعي والدها خلال إحدى الغارات، لتنقل عند بلوغها الثامنة إلى الخارج وتلتحق بابن عم سيدها بلندن، لتجد «ماليا» نفسها محاصرة في بيئة غريبة لا ترحم، حيث تُجرد من جواز سفرها وتعيش في رعب دائم مما قد يحدث لعائلتها. عرض الفيلم نفسه في كل من المجلس الثقافي البريطاني، والثقافي الفرنسي بالخرطوم. وتباينت الآراء حوله بين القبول والرفض من قبل النقاد الذين اعتبر بعضهم أن عرضه غير موفق في هذا التوقيت ولا يمثل محور المهرجان أو فكرة التعايش السلمي لكونه يهدم كل الجهود التي يسعى إليها السودان داخلياً لتحقيق السلام. بحسب الناقد السينمائي عباس سيد حداد: «الفيلم يصر على محطة الرق في التاريخ السوداني وينسى طاقمه الذي حصد جوائز عالمية أن يذكر بمن دعموا الرق في السودان عبر كل العصور. وهو لم يلامس في أي من نواحيه مفهوم الهوية والهجرة التي تعاني منها القارة الإفريقية». مشيراً إلى أن بطلة الفيلم لم تغامر للوصول الى لندن عبر البحر من طنجة ثم من كالي في فرنسا إلى بريطانيا، بل دخلت إلى عاصمة الضباب شرعياً عبر المطار، والتأشيرة على الجواز الأخضر سليمة. فالبطلة لم تكن لأبوين مختلفين فى العرق أو الدين. بل هي من منطقة جبال النوبة المسلمة، ويؤمن والدها بما يسمى (الكجور) وهو طقس يمارس في تلك المناطق. ويؤكد آخرون أن الفيلم لم يجسد أي جزء من محور الإسلام وأوروبا الذي دعا إليه منظمو المهرجان. ورأوا أن الفيلم يدعم الخوف غير المبرر لدى المواطن الأوروبي العادي من المسلم كشخص جديد في الحياة الأوروبية.

على العكس من ذلك، الناقدة الصحافية مشاعر عبدالكريم ترى أن الفيلم جاء مفعماً بالمشاعر الإنسانية الصادقة والصادمة في آن معاً. حيث لا يصدّق العقل أن المملكة المتحدة بها ما يفوق خمسمئة ألف شخص يعملون كرقيق - بحسب تصريح لمخرج الفيلم في مقابلة أجرتها معه القناة الرابعة البريطانية - كما أنه يعكس طبيعة أحوال الحياة تحت ظل الحروب والنزوح والتشرد من خلال حياة (ماليا) بطلة الفيلم، وهروبها من جحيم حرب بلادها إلى حرب أخرى من نوع آخر تتمثل في العنصرية والعبودية. كما أنه يطرح بشكل قوي حقيقة الرق في القرن العشرين، من وجهة نظر الكاتبة مندي ناظر، والجمعيات والمنظمات الحقوقية.

رغم الأفلام العديدة التي تمّ عرضها ضمن مهرجان الفيلم الأوروبي، مثل الفيلم الإسباني «مرحباً مستر مارشال»، والفرنسي «آلهة وبشر»، والألماني «أضواء نائية»، والسويسري «فيتوس»، إلاّ أن فيلم «أنا مستعبدة» ظل الفيلم الأبرز الذي أثار غبار حساسية قديمة ومتجددة.



في الدورة الـ «11» للمهرجان الدولي للفيلم

من بوليوود إلى مراكش

| **عبدالحق ميفراني** - مراكش

توج الفيلم الدانماركي «خارج المسموح» لمخرجته فريديريك أسبوك بالجائزة الكبرى للمهرجان الدولي للفيلم بمراكش، وعادت جائزة أحسن إخراج للفيلم الإيطالي «أعمال الرحمة السبعة» لمخرجيه جيانلوكا وماسيميليا نودي سيريو. فيما عادت جائزة لجنة التحكيم للفيلم الأسترالي «جرائم سنوتاون» لمخرجه جوستين كورزيل، فيما نال جائزة أفضل ممثل الأسترالي دانيال هينشال، أما جائزة أفضل ممثلة فعادت للممثلة الأميركية جوسلين جيينسن عن دورها في فيلم «من دون» لمخرجه «مارك جاكسون» من الدانمارك. كما فاز شريط «من الواد لهيه» لمحمد عواد بالنجمة الذهبية لأفضل فيلم قصير مغربي لـ«سينما المدارس» بمراكش.

واحتفت مدينة مراكش في الدورة الحادية عشرة للمهرجان الدولي للفيلم، «2 - 10 ديسمبر2011» بالسينما المكسيكية، من خلال عرض مجموعة من الأفلام المبرمجة ضمن خانة الاحتفاء بالفن السابع، إذ حل وفد سينمائي ضم كبار نجوم السينما المكسيكية. وشكلت الدورة هذه استمرارية لنهج الدورات الماضية، من خلال استقطاب كبار نجوم الفن السابع في العالم.

وضمت لجنة تحكيم الفيلم الطويل إضافة للمخرج الصربي إمير كوستوريكا، كلا من جيسيكا كاستان ممثلة من الولايات المتحدة، والممثلة الفرنسية نيكول كارسيا، فضلاً عن الممثلة الإيرانية ليلى حاتمي، وعبد القادر لقطع من المغرب، والمخرج الفلبيني بريونتي ما مندوزا، والمخرج والكاتب الروماني رادو ميهانيلينو، والممثلة الايطالية ماياسانسا، إضافة إلى المخرج والكاتبة الهندية آبار ناسين.

أما لجنة تحكيم الفيلم القصير فترأستها الممثلة الأميركية سيكورني ويفر، كما ضمت المخرجة المغربية فريدة بليزيد والممثل البلجيكي مريجيلان، والممثل الفرنسي باسكال كركوري والمخرج الفرنسي بيير سالفادوري.

وكان المهرجان قد افتتح بفيلم «عاشقة من الريف» للسينمائية المغربية نرجس النجار. وهو الفيلم الذي أعاد فتح نقاش قديم/ حديث حول اختيارات لجنة الاختيار للأفلام المغربية المشاركة في المسابقة الرسمية وهو ما دفع بأحد السينمائيين الفرنسيين للتعبير عن اندهاشه من هذا الاختيار الذي لا يراعي ما تنتجه السينما المغربية في السنوات الأخيرة من أفلام لافتة. كما كرم المهرجان في دورته الحالية، العديد من الوجوه السينمائية المغربية والعالمية وهكذا وإلى جانب الاحتفاء الخاص بالسينما المكسيكية كضيف شرف، حظي نجم بوليوود الممثل الهندي شاه روخان في افتتاح الدورة الحالية بتكريم خاص ولافت، وقد أكد اعتزازه بالتكريم من طرف مهرجان أصبح علامة بارزة في خريطة المهرجانات الدولية. وبعد تكريمه في قصر المؤتمرات، حظي النجم الهندي الأكثر شعبية في السينما الهندية باحتفال واستقبال خاصين وفي أجواء احتفالية بساحة جامع الفنا، حيث كانت حشود من عشاق السينما الهندية في انتظاره كما تم تقديم فيلمه الأخير «اسمي خان» .

كما كرم المهرجان الممثل والمخرج الفرنسي من والدين مغربيين، رشيدزم، فضلاً عن الممثل والمخرج والسيناريست الأميركي تيري كيليام، والمخرج الإيطالي ماركو بيلوتشيو «متمرد السينما الإيطالية» صاحب «القبضة في الجيب» الذي أخرجه سنة 1965.

وقد تميزت الأمسية للمهرجان بتكريم الممثل والمخرج الأميركي فوريست ويتيكر الحاصل على جائزة الأوسكار سنة 2007 عن دوره في فيلم «آخر ملوك اسكتلندا» الذي يجسد فيه شخصية الرئيس الأوغندي الأسبق عيدي أمين دادا، وقبل تسليم النجمة الذهبية لفوريست ويتيكر، قالت الممثلة الأميركية جيسيكا شايستين عضو لجنة تحكيم هذه الدورة، إن تكريم هذا الفنان هو تتويج لمساره الإبداعي الرائع، ومن المكرمين كذلك المخرج والسيناريست الأميركي تيري كيليام.

كما حظي الممثل المغربي محمد بسطاوي باحتفاء خاص.

ومن مميزات هذه الدورة أن المهرجان خصص مساحة من برنامجه لعرض أفلام المكفوفين، بالإضافة إلى حرص إدارة المهرجان الدولي للفيلم بمراكش على دعم المواهب، بحثاً عن أولى محاولات الشباب السينمائية وتخصيص جائزة تمكن الأفضل منهم من الشروع في إخراج أول فيلم قصير في ظروف تستجيب للشروط المهنية التي يوفرها الدعم.

السينما الإفريقية في أحضان مصر

سامي كمال الدين - القاهرة

آن الأوان لأن تعود مصر إلى حضن قارتها، ومن جنوب مصر، حيث مدينة الأقصر تنطلق فعاليات الدورة الأولى لمهرجان الأقصر للسينما الإفريقية في الفترة من 21 وحتى 28 فبراير/شباط المقبل.

يسعى المهرجان الذي تنظمه «مؤسسة شباب الفنانين المستقلين»، بدعم من وزارات الثقافة والخارجية والسياحة، وبالتعاون مع محافظة الأقصر إلى شيء مختلف بأن يقدم السينما الإفريقية التي يجهلها المشاهد المصري.

تضم الدورة الأولى للمهرجان عدة فعاليات ما بين مسابقة للأفلام الروائية الطويلة وأخرى للأفلام القصيرة (تسجيلي، روائي، تحريك)، وبين ورشة لشباب السينمائيين في القارة الإفريقية وملتقى لدارسي السينما.

ينظم المهرجان كذلك مسابقة لدعم إنتاج سيناريو فيلم روائي طويل.

نجم الدورة الرئيسية للمهرجان المخرج السنغالي الراحل عثمان سمبين (1923 - 2007)، حيث تقام ندوة تتناول تاريخه وأعماله وحياته ورؤيته للسينما، كما يقيم المهرجان ندوة بعنوان «الشفاهة في الفيلم الأفريقي».. ومن مفاجآت المهرجان فيلم «سائق الكارو» وهو أول فيلم إفريقي لرائد السينما الإفريقية «عثمان سمبين» الذي عاش طيلة حياته يبحث عن إفريقيا الأولى، وكان دائم الترحال في القارة الإفريقية، حاول أن يوجدها بتفكيره وليس بتعليمه، لأنه لم يستطيع استكمال دراسته التعليمية، لكنه استطاع الذهاب في بعثة إلى الاتحاد السوفياتي لدراسة الإخراج في معهد موسكو السينمائي، وكان يعرف أنه سوف يواجه تحدياً كبيراً في أن يكون الإفريقي نجماً سينمائياً في ظل العنصرية التي كان يعاني منها البعض.

لـ«سمبين» عدة أفلام منها «إمبراطورية سونغهي»، «بوروم ساريه»، «بنت سوداء»، «الحوالة المالية».

كذلك يحضر صاحب «وقائع سنوات الجمر».. المخرج الجزائري (لخضر حمينة) بانوراما مهرجان السينما الإفريقية، في محاولة لمعرفة تاريخ تطوير السينما الإفريقية.. ذلك أن لخضر لم يحصل على السعفة الذهبية من مهرجان كان بسهولة، فقد أبدت اللجنة دهشتها الكبيرة من مقدرة مخرج عربي على تقديم عمل بهذا التكنيك وطرح أفكاره بطريقة غير صادمة للمجتمع لكنها قادرة على امتصاصه والتعبير عنه.

المخرج سمير سيف يعقد لقاء خاص مع دارسي السينما قبل افتتاح المهرجان بيومين ولمدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الأخير يلتقط أصغر دارس للسينما صورة تذكارية مع أكبر ضيوف المهرجان عمراً من فناني القارة الإفريقية.

سيد فؤاد مؤسس ورئيس المهرجان أبدى اهتماماً كبيراً بالسينما الإفريقية لأنه يراها شرياناً هاماً لمصر ورابطاً سياسياً وحضارياً وإكمالاً للدور الذي لعبته مصر طوال تاريخها وتم تغييبها بقصد وهو أمر يمثل خطورة كبيرة، ونحاول سينمائياً استعادة هذا الدور لأن السينما بانوراما متكاملة وكاشفة ورابطة ومؤرِّخة لكل ما يحدث في العالم.

يشارك ضمن فعاليات المهرجان تسع دول إفريقية: أوغندا، رواندا، فانا، بوركينا فاسو، ليبريا، السودان، تنزانيا، إثيوبيا، كينيا.

وأكدت عزة الحسيني المديرة التنفيذية للمهرجان أنها تلقت طلبات من هذه الدول للمشاركة في المهرجان حرصاً منها على دور مصر الإفريقية.



عثمان سمبين

لخضر حمينة

مهرجان بيروت الدولي للأفلام الوثائقية

عينك على العالم

| **جهاد بزي** - بيروت

في «مسرح المدينة»، وعلى رصيف الحمرا، أقيمت النسخة العاشرة من «مهرجان بيروت الدولي للأفلام الوثائقية» (15إلى 20 كانون الأول/ ديسمبر).الحمرا، بما هي مساحة الحوار المديني المتيقظ في ساعات النهار والليل إن في مقاهيها أو حاناتها، والمفتوح على كل الشؤون، من السياسة إلى الثقافة وما بينهما، هي بحسب مدير المهرجان محمد هاشم، ليست مكان هذا المهرجان فحسب، بل بمثابة التتمة العادية والمنطقية له، حيث لم يبتعد النقاش حول الأفلام الوثائقية التي عرضت إلا بضع خطوات هي الفاصلة بين ردهة المسرح وبين المقهى الأقرب.

والنقاش هو ما يجب أن تثيره هذه الصناعة التي باتت عيناً للعالم على العالم، من أجل فهم أفضل وأعمق له، يتخطى التنميط الاستهلاكي، ويتخطى الخفة والاستسهال.

ولا شك في أن هذا المهرجان أثبت تخصصه وصار عنواناً للوثائقي بيروتياً، هو الذي يعاني صعوبات مادية تضاف إلى أنه في الأصل يتحرك بشغف القائمين عليه بالفيلم الوثائقي، يعملون عليه على هامش حيواتهم وانشغالاتهم اليومية التي تلتهم كل الوقت في العادة.

وعرض المهرجان هذا العام 43 فيلماً اختلط فيها العربي بالدولي في غاية مقصودة من الإدارة التي رأت وضع كل الأفلام في سلة واحدة لأن الإمكانات المادية والتقنية المتاحة للمخرجين العرب أصبحت توازي إمكانات نظرائهم حول العالم، كذلك التطور في الأساليب الفنية التي باتت تنافس دولياً.

نظرت الإدارة على الأرجح إلى النصف الملآن من الكوب العربي، ولا بأس بذلك إذا أردنا أن نرفع من شأن إنتاجنا بالطبع، مع عدم إغفال الهوة الواسعة بين المحاولات العربية التي لم تخرج بعد من فرديتها إلى صناعة تتوافر لها كل آلياتها في الغرب.

تزامناً مع الربيع العربي، هاشم يقول إن من التسرع رفع الثورات العربية عنواناً للمهرجان، خاصة أن الحدث نفسه ما زال يعيش مخاضاته وتعقيدات هذه المخاضات. على أن المهرجان عرض للثورات العربية من خلال ثلاثة أفلام هي «تحرير 2011: الطيب والشرس والسياسي»، وهو وثائقي مصري يرى فيه مخرجوه الثلاثة، تامر عزت وآيتن أمين وعمر سلامة، كل بعينيه، الثورة بلغته السينمائية الخاصة. الفيلم الثاني «ممنوع» للمخرجة أمل رمسيس، التقط مصر في الأشهر الأخيرة قبل يوم الثورة، حيث كل الممنوعات التي ستكون الثورة، في عمقها، محاولة لتخطيها. أما الفيلم العربي الثالث فهو التونسي «علمانية إن شاء الله»، لمخرجته ناديا الفاني والذي بدأ تصويره قبل الثورة بأشهر، إضافة إلى مروحة واسعة من الأفلام، من مختلف أرجاء العالم، لمجموعة متنوعة من محترفين وهواة عملوا عليها. وإذا كان لا مجال لعرض شامل لهذه الأفلام، فإن هذا التنوع بحد ذاته هو مصدر غنى هائل.

ضيوف المهرجان، كما أفلامه كانوا كثراً، ومن حول العالم، وقد أقيمت على هامش العروض ورشات عمل تعنى بالأفلام الوثائقية والتدريب على صناعتها، وهذا ما يعد به هاشم والمديرة التنفيذية للمهرجان عبير هاشم، بالاشتراك مع «سولو فيلم»، التي يديرها هاشم، وهي الشقيقة التوأم للمهرجان.

وتألفت لجنة تحكيم المهرجان لهذا العام من المخرجين المصري خيري بشارة، والصربي بوريس ميتيك والفلسطينية ساندرا ماضي، وتنافست الأفلام المعروضة ضمن ثلاث خانات، بحسب طولها الزمني (أكثر من ستين دقيقة، وأقل من ستين دقيقة، وأقل من ثلاثين دقيقة).

يبقى أن المنظمين قرروا أن يدفعوا تاريخ المهرجان لبضعة أشهر كي لا يتزامن مع ثلاثة مهرجانات أخرى تعنى بالوثائقي في الدوحة وأبوظبي ودبي، فلا يخسر زخمه الإعلامي. هكذا، سينتقل مهرجان بيروت للأفلام الوثائقية في دورته المقبلة الحادية عشرة، من خريف بيروت العام 2011 إلى ربيع بيروت 2013.



ناديا الفاني



«كوكلا» تعنى عروسة باللغة التركية
أعتبر نفسي هاوية ولست محترفة
ليس كل من أمسك الكاميرا أبدع بها.. في مجال التصوير الفوتوغرافي.

كوكلا رفعت..
الجانب الآخر للوجوه

د. إيناس حسني - مصر

هناك خيط رفيع فاصل بين الإبداع والجنون في فن التصوير الفوتوغرافي، ففن التصوير الفوتوغرافي فن ممتلئ بالأفكار الثرية القابلة للإبداع والتطوير والابتكار، وللحصول على صورة معبرة لابد من ابتكار طرق جديدة لاقتحام أعماق الشخصية والتغلغل بداخلها من خلال تشغيل الموسيقى مثلاً أو وضع ماسكات على الوجوه وحين تتصرف كل شخصية بتلقائية.

المصورة المصرية الشابة/ علياء رفعت الشهيرة بـ «كوكلا»، ولهذا الاسم قصة خاصة، ترويها «فجدتها تركية وعندما جاءت لتزور والدها فور ولادتها وجدتها نائمة على السرير وبجوارها دمية، فقالت لهم من منهما «كوكلا» وتعنى عروسة باللغة التركية وحينما قالت جدتها هذه الكلمة أعجبت أمها بهذا الاسم وتمنت أن تسميها كوكلا ولكن والدها أصر على أن يسميها اسماً عربياً أصيلاً في شهادة الميلاد، وبعدها أصبح الكل يناديها بكوكلا، وهو اسمها منذ أن كانت طفلة وليس اسماً فنياً أطلقته على نفسها للشهرة، كما يعتقد البعض. وعلى مدى الأعوام القليلة الماضية، استطاعت رغم سنوات عمرها أن تكون واحدة من أشهر المصورات اللاتي يجبن العالم بحثاً عن عادات الشعوب ومغامراتها، وبدافع من هذا العشق راحت تطارد اللحظات النادرة والمتميزة في شتى دروب العالم.

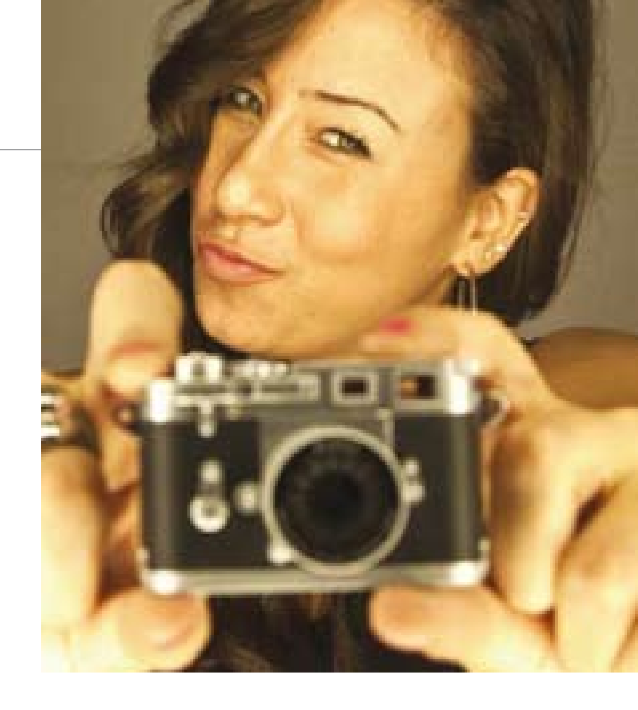
العدسة بين الهواية والسفر

وبرغم التعاطي الفطري لـ«كوكلا» مع هذا الفن الذي يتطلب الكثير من المعرفة والممارسة، إلا أن العمر تدرج بهاوية التصوير الفوتوغرافي وتنقلت الكاميرا في يدها من واحدة لأخرى، حتى أنتجت آلاف الصور المختلفة المستوحاة من الطبيعة، وعن ذلك تقول: «لم أدرس التصوير الفوتوغرافي دراسة أكاديمية لكنني درست فنون الدعاية والإعلام، وهو مجال قريب من هوايتي، خصوصاً أنني كان لدي التصوير إجباري في الجامعة كمادة أساسية وتفوقت على زملائي الآخرين بحصولي على المركز الأول، بسبب تعاملي مع مجال التصوير كهواية قبل أن تكون احترافاً».

ومن واقع خبرتها في هذا المجال تؤكد «أنه ليس كل من أمسك الكاميرا أبدع بها في مجال التصوير، مشيرة إلى أن التصوير الفوتوغرافي مزيج من عين لماحة وذكاء عال وقدرة تقنية ومعرفية تحول الشيء إلى عمل فني محبوس داخل إطار الصورة».

وعلى مدى السنين تبذل جهدها للسفر حول العالم لالتقاط لحظة سحرية لأجل الحصول على صور فريدة وقد فاز أسلوبها المتميز وقدرتها على التقاط روح موضوعها من الصورة على العديد من الجوائز.

والفنانة كوكلا بدأت رحلتها في هذا الفن منذ دراستها الجامعية حتى فازت بلقب الفنانة الأولى في مصر للفن الفوتوغرافي/الوثائقي، نتيجة عملها الملتزم الذي بذلته في هذا المجال ولاسيما جهدها للحفاظ على الثقافة العالمية عبر عدساتها. من خلال



معارضها المختلفة.

ولقد تعددت سفرياتها لدول عدة من أجل توثيق ونقل والاقتناص بعدستها لحظات هاربة من الزمن في محاولة لالتقاطها وتوثيقها كي تبقى شاهداً على لحظات لن تعود. حيث كانت رحلتها الأولى إلى الهند في فبراير/شباط 2009، وقد اختارت الهند لأنها قرأت عنها كثيراً وبحثت جيداً في تاريخها وثقافاتها وطوال عمرها وهي تتمنى زيارتها، لتصوير الصوفيين والضريح الصوفي، ولتصوير طقوس الكاثاكالي والثيام، كذلك سافرت في شهر أغسطس/آب 2010 إلى جزيرة بالي إندونيسيا، لالتقاط ولتوثيق احتفالات إحراق الجثث والمعتقدات الروحية للأحداث الدينية الحقيقية. وإلى جانب سفرياتها المتعددة لتوثيق الوجوه وما هو غريب فهي تعمل كمصورة محترفة بمجال التصوير الإعلاني ومتخصصة أكثر في تصوير الكتالوجات والديكور.

عشقت كوكلا الكاميرا منذ نعومة أظفارها، وبدافع من هذا العشق راحت تطارد اللحظات النادرة والمتميزة في شتى دروب العالم. وأثمر هذا العشق حصولها على جوائز كثيرة من بينها المركز الأول في مسابقة ساقية الصاوي التصويرية عام 2006، وقبلها فازت بالمركز الثالث في المسابقة نفسها عام 2004.

عن بدايتها مع التصوير تقول كوكلا: «منذ كنت طفلة وأنا مشغولة بالكاميرا الفوتوغرافية، وكيف لهذه الآلة الصغيرة أن تخرج صوراً صامتة للأفراد، هذا ما كان يشغل بالي حتى وصلت إلى سن السابعة واستطعت أن أمسك الكاميرا بمفردي ثم بدأت أتعلم كيفية التصوير بها.. بدأ مشواري مع الكاميرا بتصوير الأفراد القريبين مني، ولكن في نفس الوقت كانت الطبيعة تجذبني، وخصوصاً كل ما هو غير مألوف بها.. كنت أخجل أن أطلب من أحد الأشخاص تصويره.. في بدايتي خشيت أن أواجه بالرفض أو الاستياء ولكني تكيفت مع الأمر مع مرور الوقت واكتسبت الجرأة الكافية لطلب ذلك».

وكان لدراستها فنون الدعاية والإعلان والتي كانت مجالاً قريباً من هوايتها، الفضل في تفوقها، وأن تكون دوماً في مركز الصدارة. وعلى الرغم من ذلك لا تزال تتعامل مع التصوير كهواية قبل أن يكون احترافاً. وتضيف كوكلا عن احترافها مجال التصوير الإعلاني: «لا أحب تقييد نفسي بنمط معين أو مجال محدد من مجالات التصوير، وإن كنت أميل بطبيعة الحال لصور الطبيعة.. أعترف أنني عاشقة للتصوير الفوتوغرافي لكن في الوقت نفسه أنا أجيد جميع مجالات التصوير وأستخدمها في عملي».

سافرت كوكلا إلى جنوب الهند، عشقت عدستها طقوس وثقافات الهنود داخل بلادهم، كما قرأت جيداً عن عاداتهم وتقاليدهم لتتعرف عليهم عن قرب، وكانت هذه المرحلة هي بداية تخصصها في التصوير الوثائقي.. وقد رصدت كوكلا كل هذا بكاميراتها، وعبرت عن عادات وثقافات قد لا يعرفها الشعب العربي عن الهند.. لكن صور الحواري والأزقة في الهند، حيث الفقر الشديد، كانت أكثر الصور تأثيراً بالنسبة لها.

الكاميرا تضحك وتبكي

تعرف كوكلا متى تضحك الكاميرا ومتى تبكي، لذلك كانت ابتسامتها هي جواز مرورها إلى قلوب الهنود، فبالابتسامة ولغة الإشارة استطاعت أن تتواصل معهم بود وحب وتعوض عدم تحدثها اللغة الهندية.

وفي معرضها الأخير المقام بمركز الجزيرة للفنون، والتي قضت من أجله رحلة شيقة مع الكاميرا ووجوه وملامح البشر والأمكنة، بحيث تميزت أعمالها بالدقة الواضحة في الشكل وفي الملامح التصويرية وحساسية الدرجات اللونية والبورتريهات التعبيرية الصريحة، لتصبح رغم سنوات عمرها واحدة من أشهر المصورات اللاتي يجبن العالم بحثاً عن عادات الشعوب ومغامراتها.

هذا المعرض عبارة عن مجموعة من الصور الفوتوغرافية التي تضعك في آلة الزمن، لتعود بك للخلف، حيث الأساطير الممزوجة بعادات وتقاليد أهل جزيرة كيرلا الهندية، وجزيرة بالي الإندونيسية، من خلال تجسيد روح المرح والخيال لملك الأرواح، الذي يطلق عليه في أسطورة بالي «البارونج»، حيث يحشد الخير ويجلب الحظ، مصورة العديد من تفاصيل الاحتفالات والطقوس التي كانت تقام من أجل جلب البهجة، واحتفالات المعابد المقدسة والتضحيات للآلهة والقرابين وطقوس حرق الجثث، هنا كله في وحدة لا تتجزأ، اهتمت فيها بإبراز مفردات الطبيعة الساحرة، التي لا تخلو من الجمال الخلاب وطقوس بشر من أجناس مختلفة. وجاءت تصاوير شخوصها الإندونيسية بالألوان الزاهية، فجميع أزيائهم حمراء وخضراء وصفراء، وأيضاً المساحيق الخاصة بهم شديدة الجاذبية لألوانها الفاتحة ذات الدرجات الثقيلة واللامعة، وجميع مساحيقهم من الطبيعة، حيث إنها مصنعة من الورد الطبيعي.

ووقفت بعدستها تسجل الأحداث وتفاصيل حياة مختلفة لم تعتد عليها من قبل، فهي صاحبة موهبة وحلم كبيرين ومن أجل إشباع موهبتها وتحقيق حلمها تجوب «كوكلا رفعت» العالم بحثاً عن حضارات مختلفة توثقها من خلال صور فوتوغرافية، فأصبحت واحدة من أشهر المصورات.



حصارات آمنة النصيري

| جمال جبران - صنعاء

قررت الفنانة والأكاديمية اليمنية آمنة النصيري أن تنتقل إلى مربع جديد في مشوار حياتها الفنية، وأن تضع قدماً على أرضية تسمح لها بالاشتغال البصري والسمعي والتشكيلي والتصوير الرقمي والنحتي عبر مجسمات شتى، دفعة واحدة. في اقتراب جريء باتجاه الاشتغال الفني المعاصر.

ويبدو من خلال جمع كل هذه الأساليب الاشتغالية أن آمنة تعرف جيداً ماهية المعركة الجديدة التي تتطلب منها كل هذا الحشد كي تكون قادرة على مواجهة تيار حجب الجسد الأصولي الذي نجح في الاستيلاء على جسد الأنثى اليمنية، وحصره في العتمة. محاولة/معركة جديدة تصب في اشتغال فني ظهر مؤخراً في اليمن، يقف خلفه مجموعة من الفوتوغرافيين والتشكيليين الشباب، أمثال بشرى المتوكل وأمين الغابري، اشتغلوا على فكرة الحجب بشكل لافت. كما يأتي هنا في سياق «ثورة» ثقافية، وإن كانت محصورة في إطار النخب اليمنية تسعى لاقتراح أدوات جديدة لها أن تصب في إنتاج فعل زحزحة لقواعد



الحياة الاجتماعية التي تبدو مصرة على رضوخها لقوى التطرف السلفية المعادية لأي محاولات تحديث يمكن أن تنشأ في بنية المجتمع.

على نفس مستوى هذه الخسارة يأتي عنوان هذا العمل الذي قامت به آمنة النصيري: «حصارات». عنوان يوحي بحالة كل هذه الطاقة والقدرات البشرية الهائلة، وحصرها في منطقة واحدة لا يحق لها التحرك خارجها، مع إجبارها على الإقامة في دائرة محددة بحواجز تبدأ بكتم الصوت وحجب الجسد، الحرمان من التواجد في أشغال مهنية بعينها تحت حجج تقول بعدم جواز تعريض الجسد الأنثوي وحرمته للانتهاك والاختراق، وجعله متاحاً لنظرات الغرباء التي لن تتركه في حاله.

وعليه فإن أشغال «حصارات» هنا تقوم على تقديم اقتراحات من أجل خروج هذا الجسد من الداخل، من عتمته القسرية تلك، ومده بحبل وأطواق نجاة تجعله قادراً على الانتقال إلى الضفة الأخرى من الحياة الممكنة في أبسط صورها وأشكالها.

كما أنها لا تغفل في الوقت ذاته عن تقديم عرضها لقوالب مجسمة على هيئة دمى مجسدة لأشكال القمع الممارس على الجسد والأسباب التي تجعل بقاء الحالة على ما هي عليه وعدم إحراز خطوة واحدة متقدمة تسير إلى الأمام، من أجل تحريك الحاجز الضخم الذي يقف عقبة، وفاصلاً بين حالتين: العتمة والنور.

ولا يكون صعباً هنا، وعلى ضوء رغبة الفنانة النصيري في إظهار تلك العوامل المساعدة على بقاء تلك الحالة مكانها، تركيز شغلها على عامل الخوف الذي نراه موزعاً بكثرة على الأشكال المختلفة للعمل الكلي. وهو الخوف الذي نراه أيضاً ظاهراً على هيئة مجسدة ومنكمشاً على ذاته بداخل قفص كبير لطيور تمارس «حريتها» بداخله، في حين لا نلمس حركة واحدة من ذلك الجسد الذي يبدو مستسلماً لمصيره، غير قادر حتى على التقاط رسالة الطيور التي تمارس حريتها في حدود الفضاء المسموح لها، غير مكترثة بالقفص الذي يفعل حصاره عليها.

لكن، ومن خلال عدم بيان جنس ذلك الجسد المحاصر بداخل القفص يصير لنا الانتباه إلى فكرة أوسع ذهب إليه «حصارات» الممثل عبر الأجساد الموزعة عليه إجمالا والتوقف عند نقطة يبدو أنها، وبشكل يكاد يكون جامعا، أجساد لا تكاد تفصح صراحة عن هويتها الجنسية وهذا يلقي بنا عند ضفاف فكرة تقول إن القمع الممارس على الجسد في المجتمع اليمني لا يخص جنساً محدداً بذاته، إن كان ذكراً أو أنثى. فهو لا يفرق بينهما، هذا على الرغم من شيوع صورة «الحجاب» و«الحجب» المنتشرة على الصورة العامة للشغل. لكن قد يبدو هذا التمويه المتعمد كحيلة لها أن تمكّن المعرض وصاحبته من الإفلات من إشكالية الدخول في مأزق تأويل الفرق الأصولية، خصوصاً أن إشكالية الحجاب ذاتها ما تزال عند مجتمع، ما يزال محافظاً وتقليدياً كاليمن، مسألة غير قابلة للنقاش.

يا مصر هانت وبانت
مصطفى سعيد في مقامات الثورة

| **محسن العتيقي** - الدوحة

الفراغ لا يملؤه الازدحام

من النادر، إن لم يكن من العسير، أن يطل علينا مطربو هذا الزمان بأغنية تتجاوز مقاماً موسيقياً واحداً أو مقامين في أقصى الحالات، فالأغاني على فيضها أصبحت منمومة. تقريباً، وليس تماماً، موضوع الحب ابتذل ولم يعد يدين للكلمة، ولا للنغمة، ولا لوجدان المجتمع في المحصلة، كما كان في العهد القريب. وفي النهاية، أمام هذا الفراغ الغنائي المعمم، يجب القبول، بحفاوة وتقدير، بثقافة الهيب-هوب ومنشدي الراب، عندما يتعلق الأمر بمصلحة ثورية أومجتمعية، وبالضرورة بحاجة جيلنا اليوم إلى تعبير عاطفي لم يجد اكتفاءه في الشكل الراهن للأغنية العربية.

توجد ملاحظة في غاية الحساسية تعترض هذا الكلام دائماً، فالمقارنة التي لا مجال لها موسيقياً، بين الشكل الغنائي الآتي من ثقافة الهيب- هوب وغيرها، وبين الأنماط العربية المتخلى عنها، هي مقارنة أدخلتنا في اعتقاد يكاد يقطع بتاتاً مع المكتسبات الراقية، في حين أن هذا الشكل الموسيقي المستورد، ليس إلا احتكاكاً بديلاً للفراغ التعيس، وحالة الكساد التي طالت شكل الأغنية العربية بروافدها الغنية وجغرافياتها المتعددة. هذا الاحتكاك البديل، وإن كان ظاهرة هذا الزمن، لا مفر منه إن كنا نعترف بحق كل جيل في التعبير عن همومه بالشكل الذي يرتضيه، بل يجب أن نعترف بأن ما دخل ليملأ الفراغ التعبيري هو الآن يفيض على الأنظمة ويخيفها أكثر من أي جنس فني آخر.

لنترك المقارنة بين القديم والجديد، فهي ليست معتدلة، لكنها تحيل إلى تحصيل حاصل: ثقافة الهيب هوب ظهرت في أميركا بداية السبعينيات، والشيخ إمام مات في منتصف التسعينيات وأشرطته كسرت الحدود، فهل كان الهيب هوب غير قادر على عبور القارات مثلما عبرت أغاني الروك والبلوز والكانتري.. في سبعينيات القرن الماضي؟ أم أن الأغنية العربية حينها كانت لا تزال مكتفية بنفسها سواء كان الغناء للثورة أو للحب..؟. الذي يحدث الآن، على الأرجح، هوية موسيقية عظيمة تركت في مجملها بلا ألحان ولا كلمات.

> ترجم مصطفى سعيد مضمون كلمات تميم البرغوتي، وهي قصيدة درامية متعددة الأصوات والحالات العاطفية

ثمانية مقامات في الميدان

في الرابع والعشرين من يناير/ كانون الثاني، توجه الشاب الكفيف مصطفى سعيد من بيروت إلى القاهرة للقاء رفاقه في ميدان التحرير، وهناك مكث ثمانية أيام شاهداً على ثورة 25 يناير 2011، فأهدته أصواتها ثمانية مقامات في أغنية واحدة. نعم ثمانية مقامات موسيقية أصيلة أهداها للميدان. «يا مصر هانت وبانت كلها كم يوم» أغنية من كلمات الشاعر الفلسطيني تميم البرغوتي، بمجرد الإنصات لها يراودك إحساس بأنك أمام ديابوراما صوتية من الشيخ إمام في نغمته المتراوحة بين السخرية والانهزامية والحماسة، ومحمد عبد الوهاب في تعبيراته وتجواله الأنقى بين المقامات، أو حتى سيد درويش في لحنه المسرح طبقاً للمعنى، كما يبرز فيه أسلوب محمد القصبجي عزفاً وحضوراً.. ولربما جمع هذا الشاب الموهوب ذو البصيرة الموسيقية كل هؤلاء دفعة واحدة، فيصح نعته بالعبقري، فهو حين يتحدث يتقمص أستاذية عمار الشريعي المستحقة. ومصطفى سعيد بهذا مُريد موسيقي، عازف وأستاذ عود مصري من طنطا، هو الآن، في عقده الثاني، يشتغل خبيراً معتمداً بمؤسسة التوثيق والبحث في الموسيقى العربية بلبنان، حيث يقيم حالياً.

في لحظة من لحظات ميدان التحرير التقطت أذن مصطفى سعيد كلمات عبر مكبرات الصوت. وما كاد أحد الرفاق



أحمد فؤاد نجم: فكرتني بالغاليين هات بوسة لشغلك الحلو.

ينهي إلقاءه القصيدة حتى حفظ سعيد جزءاً منها وراح يدندن بما سمعه ممهداً لولادة أغنية ميدانية، راح على وجه الاستعجال يحصل على القصيدة كاملة ليتم لحنها، وبعد ذلك استأذن شاعرها تميم البرغوتي، وفي غضون أيام أصبحت مكبرات الصوت تنعم بلازمة موسيقية وثورية: «يا مصر بانت وهانت كلها كام يوم/ نهارنا نادي ونهار الندل مش باين/ الدولة مفضلش منها إلا حبة شوم/ لو مش مصدق تعالى عالميدان عاين/ ياناس مفيش حاكم إلا من خيال محكوم/ واللي هيقعد في بيته بعدها خاين».. لازمة تخيط أربعة كوبليهات/ مقاطع غنائية، متفاوتة الطول ومختلفة اللحن والمقام الموسيقي، ومن اللازمة إلى الكوبليه يتخلص مصطفى سعيد بحسن وعذوبة من مقام إلى آخر، بل ويداعب بحلاوة مخطوفة وعابرة مقامات أخرى، وبين حسن التخلص والعبور المخطوف في مجمل الأغنية احتشدت ثمانية مقامات وربما تزيد على هذا قياساً بانخطاف العزف وتقنياته.. تنويع مقامي يجسد فصول ثورة اختلطت فيها كل الأحاسيس، الأمل بنقيضه، الحماس بالخوف، الترقب بالدهشة.. وغير ذلك مما لا يمكن تحسسه إلا بأن تكون في معمعة الهتاف وإسقاط نظام.

ولأن الموسيقى كما نقرأ عند شوبنهاور هي الإرادة، وإن كنا لسنا بصدد موسيقى خالصة (دون غناء)، فإن لكل مقام موسيقي عاطفته الإنسانية الخاصة التي تترجم هذه الإرادة، الانتقال من نغمة إلى أخرى كالانتقال من لحظة حزن إلى فرح، من حلم إلى حقيقة.. وطبقاً لهذه القاعدة التعبيرية، فأن يختار مصطفى سعيد هذا الكم الهائل من المقامات في أغنية واحدة، فهو يحاكي في الحقيقة تقلبات العاطفة في ميدان التحرير، مما جنبه تهمة الاستعراض المفرط، وهو في توظيفه لكل هذا لا يترك للنشاز موضعاً خاصة إذا تعلق الأمر بتنقله الفاخر بين مقامات من عائلة أصيلة تتجانس وتتنافر وتقفل وفق التعبير المطلوب: مقام «الرست» على طريقة السنباطي. هذا المقام جعله سعيد سينوغرافيا موسيقية للأغنية، بنيت عليه اللازمة المتكررة: (يا مصر بانت وهانت كلها كام يوم)، مقام الحجاز وهو بين الهجر والانتظار في كوبليه/ مقطع: (إللى حايقعد فى بيته كأنه سلم التانيين/ إللى حايقعد فى بيته يبقى مش مفهوم).. وعلى التوالي يتغير المقام الموسيقي من مقطع إلى آخر: «النكريز، صبا، بياتي، كرد، الخماسي: مقام استعمله الفراعنة وظفه في مقطع (ده حكم أسرة ولا خوفو ولا خفرع/ ولا وجع بطن يتعالج بزيت خروع)، النهوند» وهكذا ترجم مصطفى سعيد مضمون كلمات تميم البرغوتي، وهي قصيدة درامية متعددة الأصوات والحالات العاطفية.

سبب آخر يبرر تعدد المقامات، فمن المعروف أن لحن «الطقاطيق» يشترط هذا التعدد أساساً، وهو مجال في التلحين يتطلب جهداً ونفساً وعبقرية.. لم تتوافر إلا في أمثال الشيخ سيد درويش والقصبجي وزكريا أحمد ومحمد عبد الوهاب والسنباطى.. ومن سار على منوالهم، ذلك أن الطقطوقة لا يمكن أن تصدر إلا من متمكن وعارف بأصول الموسيقى الشرقية ومقاماتها، فضلاً عن هذا أن يكون ذواقاً للشعر وحساساً لمعانيه حتى يتمسرح النص دون فقدان السلطنة، ومصطفى سعيد في طقطوقته «يا مصر هانت وبانت كلها كام يوم» سار على درب أساتذته، وفي بنائه لهذه الطقطوقة المستحدثة ابتدأ هذا الملحن الشاب من حيث انتهى سيد درويش في بعض طقاطيقه المسرحية التي جدّد فيها في هذا القالب الغنائي العامي، فنجده يلحن نهاية كل كوبليه بمقام مختلف عن سائر اللحن، ليمهد به إلى المقطع الموالي بدلاً من العودة إلى المذهب/ موسيقى اللازمة، كما جرت العادة، واعتبر هذا تجديداً مسبوقاً حينها لارتباطه بالتعبير المسرحي، ومصطفى سعيد فعل هذا بجدارة.



عمر فتحي أغنية لم تكتمل

| هدى جعفر

حينما تراه من بعيد تظنه المطرب الإسباني خوليو إيغلسياس، ذا القامة الأنيقة النحيلة والشعر الكثيف والوقفة الواثقة على المسرح. إنه عمر فتحي، سمعه الجمهور لأول مرة في 1977 عندما أسس الموسيقار الكبير هاني شنودة واحدة من أهم وأشهر الفرق العربية وهي فرقة (المصريين) التي اقترح تكوينها الأديب العالمي نجيب محفوظ، وقد كتبت للفرقة أقلام ألماسية مثل صلاح جاهين الذي كان من المتحمسين لعمر فتحي وعمر بطيشة وعبد الرحيم منصور، وقد ناسبت فرقة (المصريين) ذائقة الجمهور المتطلعة آنئذ وأشبعت شهيته الفنية بما استحدثته من قوالب غنائية وطرق تلحين غير معهودة، كما أنها أول فرقة تقدم الأغنية الاجتماعية، ومن أشهر أغانيها: (بحبك لا) التي غناها عمر فتحي و(متحسبوش يا بنات) و(ماشية السنيورة) و(ماما ستو) وغيرها، وقد صرح هاني شنودة في برنامج (رمضان بلدنا) بأن عمر فتحي أخبرهم عند انضمامه للفرقة بأن اسمه محمد الهندي بينما كانت البطاقة الشخصية تقول شيئاً آخراً!، فخشي هاني شنودة أن يصبح لقب (الهندي) مدعاة للسخرية، فأسماه عمر جوهر تيمناً بعمر بطيشة وجوهر الصقلي باني مدينة القاهرة، علماً أن موقع (السينما) يذكر أن اسم عمر فتحي الحقيقي هو محمد عبد المنعم عبد الله جوهر!.

بعد فترة وجيزة انفصل عمر جوهر عن (المصريين) وغيَّر اسمه الثاني إلى فتحي وبدأ الغناء منفرداً، وفي 1980 اكتشف الأطباء بأن لديه ضيقاً في الشريان التاجي قد يقتله في أي وقت، ولكن الفنان الطموح اجتهد في فنه رغم المرض ورغم نوبات الاكتئاب التي تداهم مرضى القلب عموماً.

أهم ما يميز عمر فتحي هو قدرته على تحميل أغانيه الخفيفة معاني قوية تعلق في الذاكرة والوجدان، فلا يمكن ألا تبتهج وتفتح قلبك على جهاته الأربع وهو يقول لك (ابسط يا عم)، أو يجتاحك شعور بالحنين للدراسة مع أغنية (سقفة)، أو تسرح عميقاً في مغزى حياتك وما وراءها وأنت تسمع (مواعيد)، أو (أنا عايش ومش عايش) التي يبدو أن (عمرو دياب) لم يكن صاحب السبق في الاسم، وكان صوته صالحاً لجميع الألوان الغنائية فهناك اللون الصعيدي في (بتفكرني الغناوي) وكذلك (كل الحاجات اتغيرت) ذات الطابع الرحباني التي غناها وهو يطوق النجمة يسرا بنحولها الشديد آنئذ وطلتها الأوروبية، وهو أيضاً أول أبناء جيله في الظهور بالقميص والبنطلون وليس البدلة وأولهم كذلك في أداء الأغنية الاستعراضية، فقد كان محباً للمسرح الاستعراضي.

تزامن ظهور عمر فتحي مع موجة الاغتراب والسفر التي اجتاحت مصر في الثمانينات مما أضاف لأغانيه مذاقاً عذباً بالنسبة للمغتربين البائسين وما أكثرهم في عهد المخلوع مبارك، كما غنى أيضاً: (مش قلتلك) و(جرحوني عيونه) و(مكتوب لنا) و(على إيدك) التي قال في إحدى المقابلات بأنها عزيزة عليه لأنه صورها بعد أزمة مرضية ظن خلالها أنه لن يستطيع الغناء مرة أخرى، كما فسَّرَ في تلك المقابلة بدء عدد من أغانيه بكلمة (على) بأنه نوع من التفاؤل لأنه بدأ مشواره الفني منفرداً بـ (على قلبي) و(على سهوة) و(على فكرة) و(على إيه)، ويقال أنه تم سحب ألبوم (على قلبي) من الأسواق بسبب اعتراض الرقابة على المقطع الأخير من أغنية قشطة والذي يقول: القشطة ساحت وأنا روحي راحت، فتم حذف المقطع ونزول الألبوم مرة أخرى إلى الأسواق، علماً أن عمر فتحي يغنيها كاملة في فيديو على اليوتيوب!.

شارك عمر فتحي أيضاً في فوازير النجمة شيريهان في أكثر من لوحة غنائية منها (ادلع يا رشيدي) و(يا مركبي عدي) و(آيسكريم) وبالرغم من أنه كان مع أقوى النجمات حضوراً، إلا أن شيريهان لم تقلل من وهجه الجميل، مثل عمر فتحي أيضاً في مسلسل (سيدة الفندق) مع كمال الشناوي و(حسن ونعيمة) و(سفينة العجائب).

وبينما كان عمر فتحي يشيد عرش نجوميته بنجاح، حصده منجل الموت في 28 ديسمبر/كانون الأول 1986، سكتة قلبية أنهت حياة ابن (المصريين) ورحل عن الدنيا شاباً، رحل تاركاً صورته في قلوب محبيه، وفي 1988 تفككت فرقة (المصريين) ثم عاودت الظهور في 2010 مع أصوات شبابية وبوجود نجمي الفرقة السابقين: هاني شنودة وإيمان يونس.

توفي في الرابعة والثلاثين، ففي إحدى أغنياته مع الفنانة يسرا: «آدي الحياة ماشية وإحنا معاها ماشيين، العمر فيها رحلة تمضي بغمضة عين».

شــفــاء الــحــب

نزار عابدين

الحديث عن شاعرات الأندلس مما أفاض فيه الباحثون والنقاد، لا عن كثرتهن فحسب، بل عن اقتحامهن معظم فنون الشعر وأبوابه، وعن جرأتهن على مواضيع لم تكن شاعرات المشرق يجرؤن على الاقتراب منها، فصارت الشاعرة تتغزل بالرجل كما يتغزل بها، وتلح في إغرائه ووصف محاسنها، وتنهب إليه وتنادمه. فها هي أم الكرم بنت المعتصم بن صمادح (من شاعرات القرن الخامس الهجري) تقول في حبيبها الذي كان أحد فتيان قصر أبيها:

أَلا ليتَ شِعري هل سبيلٌ لخلوة
يُنَزّه عَنها سَمْعُ كلِّ مُراقبِ

وَيا عَجباً أشتاقُ خلوَةً من غدا
وَمَثْواهُ ما بين الحَشا والترائب

أما نزهُون بنت القلاعي الغرناطية (تَوفيت 550هـ/1155م) فتتجاوز أمَ الكرم في غَزلها بالوزير أبي بكر بن سعيد:

لِلّـهِ دَرّ الليالي ما أُحَيْسَنَها
وَما أُحَيْسَنَ منها ليلةَ الأحَدِ

لَو كُنْتَ حاضِرَنا فيها وقد غَفَلَتْ
عَينُ الرقيبِ فلمْ تَنْظُرْ إلى أحَدِ

أَبْصَرْتَ شمْسَ الضُّحى في ساعِدَيْ قمَرٍ
بَل ريمَ خازِمَةٍ في ساعِدَي أَسَدِ

وتخطو حفصة بنت الحاجَ الركونية (530 - 580 هـ/1135 - 1184م) خطوة أبعد فنقرأ لها بيتين من أجمل ما قال شعراء الغزل في العصور كلها:

أَغارُ عَليكَ من عَيني ومِنّي
ومنكَ ومن زمانِكَ والمكانِ

وَلو أنّي خَبَأْتُكَ في جُفُوني
إِلى يومِ القِيامَةِ ما كَفاني

لكن الإنصاف يقتضي أن ننكر أن من الشاعرات في المشرق من سبقن شاعرات الأندلس في تصوير الشوق والاندفاع في تصوير الحب والاشتياق إلى مدى لم يبلغ كثير من الشعراء جرأته إلا شعراء التهتك في العصر العباسي وما بعده. لقد جاهرت «عشرقة المحاربية» (مجهولة الولادة والوفاة) بحبها، لكنها ظلت عفيفة الألفاظ:

جَريتُ معَ العُشّاق في حَلْبة الهوى
فَفُقْتُهُمُ سَبْقاً وَجِئتُ عَلى رِسْلي

فَما لبسَ العُشّاقُ مِن حُلَلِ الهَوى
وَلا خَلَعُوا إلّا الثِّيابَ التي أَبْلي

وَلا شَرِبوا كَأساً من الحُبّ مُزّةً
وَلا حُلْوةً إلّا شَرابُهُمُ فَضْلي

لكن ابنة قبيلتها «أم الضحاك المحاربية» كانت أجرأ منها، بل من جميع الشاعرات اللواتي أتين بعدها حتى في الأندلس، ولا نعرف عنها شيئاً سوى أنها كانت تحب زوجها وطلقها، فأسرفت في تولهها:

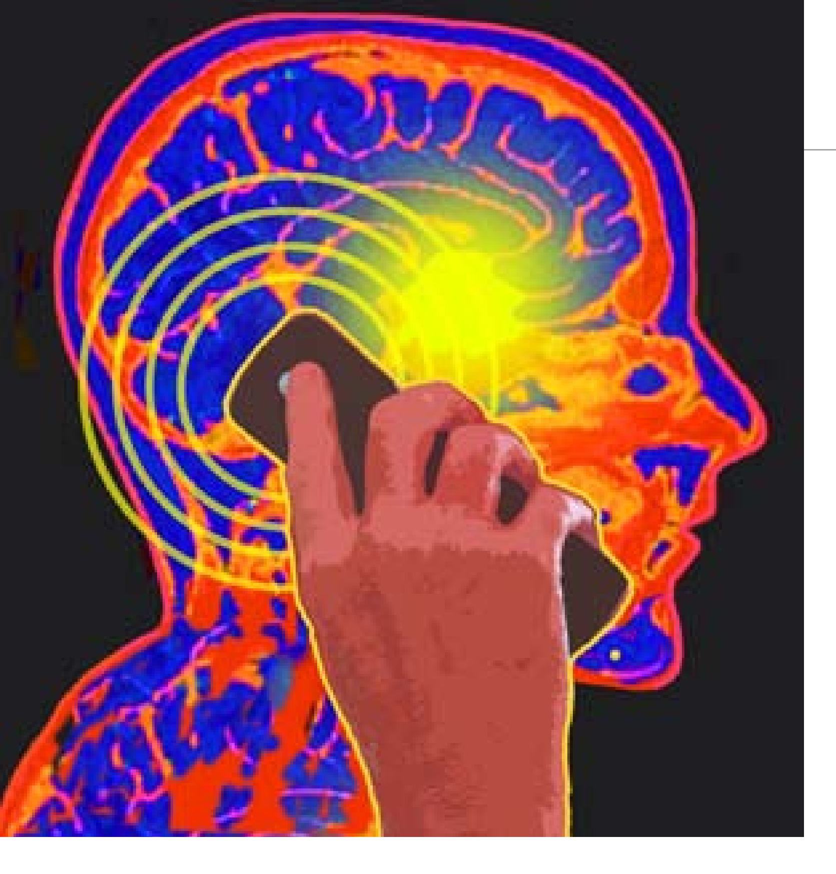
سَألْتُ المُحِبّين الذين تَحَمّلُوا
تَباريحَ هَذا الحُبِّ في سالف الدّهْرِ

فقالوا شِفاءُ الحُبِّ حُبٌّ يُزيلُهُ
من آخرٍ، أو نأيٌ طويلٌ على هَجْرِ

لكن شفاء الحب ليس دائماً هكذا حسب رأي الشاعرة، إن للحب شفاء آخر، وهنا نصل إلى بيتين قالتهما، لو أننا نجهل قائلهما لقلنا إنهما لأبي نواس أو بشار بن برد أو أمثالهما من مُجّان العصر العباسي:

شِفاءُ الحُبِّ تَقْبيلٌ وضَمٌّ
وأَخْذٌ بالمَناكِبِ والقُرونِ

ورَهْزٌ تَهْمُلُ العَيْنانِ مِنْهُ
وجَرٌّ للبُطُونِ على البُطُونِ



المحمول «يطبخ» أدمغتنا

| **حسن فتحي** - القاهرة

إنهـا ليسـت دعـوة للتخلـي عن هواتفنا المحمولـة، فذالك أمر محال، بعدمـا أصبـح المحمـول داء لن نبرأ منه، لكنها دعوة للوعي والاسـتخدام الرشـيد، فبين الحين والآخر، نستمع إلى تقاريـر وتصريحات تتحدث على اسـتحياء عن أخطـار المحمول على صحتنا، لكن الجديد هذه المرة كان في تقرير حديث أصدرته الصحة العالمية، حيث وضعت المنظمة أجهزة المحمول في قائمة «مُسببات السرطان» جنباً إلى جنب مع الرصاص وعوادم السـيارات ومركب الكلوروفورم، وذلك بعد بحث شارك فيه 31 عالماً من 14 دولة.

تُنتج أجهـزة المحمول أو الموبايل موجات أقـرب لتلـك التـي يُصدرها جهاز الميكروويف، ويقول العلماء إن الموبايل «يطبـخ» أدمغتنا تماماً، كما يفعل الميكروويف في الطعام!

ولا يقتصـر التأثير علـى احتمالية الإصابة بالسـرطان فقط، بل قد يمتد لأعـراض كثيـرة لهـا علاقـة بالمخ والأعصـاب كالتأثير على الذاكرة لأننا نضـع الموبايـل حيـث يوجـد الفص الصدغـي من الدماغ، وهو المسـؤول عن الذاكـرة والانفعال، وتـزداد هذه التأثيـرات خطـورةً مـع الأطفال لأن جمجمة الطفل وفروة رأسه أقل سمكاً من البالغين، فضلاً عن أن معدل انقسام خلاياه يكون أسـرع، لذا يكون تأثير الإشعاعات الصادرة من الموبايل أكبر بكثير على الأطفال!

لم تصمـت شـركات الموبايل على هذا التقرير، بل هاجمته على أسـاس أنـه لم يقدم أي أدلـة جديدة، وأن كل ما فعله هو مراجعـة أبحاث قديمة تم نشرها بالفعل، فضلاً عن أن المقصود بالأبحاث هو «بعض» أجهزة الموبايل وليس كلها (أو هكذا يزعم صانعوه).

وفي المقابل قامت المنظمة الأوروبية للبيئة بإطلاق مجموعة أبحاث مشابهة للبحث في تأثيـرات أجهزة الموبايل، في الوقت الـذي حذرت فيه من أخطار هـذه الأجهزة علـى الصحـة العامة، لدرجة أنها اعتبرتها كالتدخين!

ومـا لا يعرفـه الكثيـرون منـا أن شـركات الموبايـل تنصـح بصـورة رسـمية بإبعاد أجهزتها عن أجسـامنا عنـد إجـراء المكالمـات تجنبـاً لأي «أخطار» على صحتنا، فتنصح شركة آبل بإبعاد جهاز الآي فون عن جسمك مسـافة 15 ملم أثناء إجـراء المكالمة، وبالنسـبة للبلاك بيري فالمسافة هي 25 ملم!!

وإن كان حمـل الموبايل شـراً لابد منه، إليك بعض النصائح التي أطلقها الخبراء للتقليل من آثاره الضارة:

1- اسـتخدم السـماعات السـلكية المرفقة: تأتي أغلب الهواتف بسماعات سلكية، لذا احرص على استخدامها قدر المستطاع، إذ تُقلل من نسبة تعرضك للموجات الصادرة من جهاز الموبايل، وإن كانت لا تقضي عليها تماماً.

2- استخدم السـماعات الخارجية: صحيـحٌ أنها فكـرة مزعجـة للغاية، خاصـةً إن كنـت في مكان عـام، لكن تخيـل أن إبعـاد جهـاز الموبايل عن جسمك 5 سنتيمترات يقلل من تعرضك للموجات أربع مرات!!

3- لا ترتـدي سـماعات البلوتوث طوال الوقت: تُصدر سماعات البلوتوث موجات أقل بكثير من جهاز الموبايل، لكن العلماء ينصحون بعدم إبقائها في الأذن طـوال الوقت، فضـلاً عن تغيير جهتهـا ما بيـن الأذن اليمنـى والأذن اليسـرى بين الحيـن والآخر، حتى لا

يتعرض جزء واحد من الدماغ للموجات طوال الوقت!

4- لا تتحرك كثيراً وأنت تتحدث!، فالجهاز يُصدر موجات أكبر عند تحركك بصورة كبيرة (كحديثك أثناء حركة السيارة أو في المصعد وهو يتحرك)، لأن الهاتف ينتقل حينها من محطة موبايل إلى أخرى حسب التغطية المتوافرة أثناء حركتك، لذا احرص على تقليل حديثك فيه أثناء الحركة. وينطبق نفس الشيء على الأماكن التي تكون فيها الشبكة ضعيفة، والتي يضطر الهاتف فيها إلى إصدار مزيد من الموجات بحثاً عن الشبكة!

5- لا تتحدث في الموبايل واستخدم الرسائل القصيرة!

6- اقرأ كتيب الإرشادات، إذ يتجاهله أكثرنا, لكن لو قرأت كتيب هاتفك ستلاحظ نصائح للسلامة العامة، وفيها تقترح كل شركة مسافة معينة تبقيها بين جسمك والهاتف للتقليل من أخطاره!

وضع العلماء جدولاً افتراضياً لمواعيد عمل الأعضاء بجسم الانسان، وكانت النتيجة كالتالي، كما يذكرها الدكتور أحمد مجدي أستاذ القلب بالمعهد القومي للقلب:

من الساعة 9 إلى 11 مساءً: هذا الوقت الذي يتم فيه التخلص من السموم الزائدة في الجهاز الليمفاوي، لذلك فإن هذا الوقت يجب تمضيته في هدوء، فإذا كانت ربة المنزل لا زالت تعمل في أعمال المنزل أو في متابعة الأبناء في أداء واجباتهم المدرسية، فإن ذلك سيكون له تأثير سلبي على صحتها.

من الساعة 11 مساءً إلى الواحدة صباحاً: ذلك ميعاد تخلص الكبد من السموم ويكون هذا الوقت المثالي للنوم العميق.

من الساعة 1 إلى 3 صباحاً، ميعاد تخلص المرارة من السموم وأيضاً يكون وقتاً مثالياً للنوم العميق.

من الساعة 3 إلى 5 صباحاً، ميعاد تخلص الرئة من السموم، ولذلك سنجد أن المريض الذي يعاني من السعال فإنه سوف يعاني أكثر في هذا الوقت، والسبب في ذلك أن عملية التخلص من السموم قد بدأت في الجهاز التنفسي فلا داعي لتناول دواء لإيقاف أو تهدئة السعال في هذا الوقت، وذلك لمنع التدخل في عملية تخلص الرئة من السموم الموجودة بها.

الساعة 5 صباحاً، ميعاد تخلص القولون من السموم، لذلك يجب التبول في مثل هذا الوقت لتفريغ المثانة لمساعدة وتوسيع فراغ للقولون للتخلص من السموم، وهنا ننصح الأشخاص الذين يعانون من الإمساك المزمن أن يواظبوا على الاستيقاظ في هذا الوقت (5 صباحاً) لكي يساعدوا القولون على العمل والتصريف، وفي خلال عدة أيام سينتهي الإمساك المزمن مع ضرورة الالتزام أيضاً بالغذاء المتوازن.

من الساعة 7 إلى 9 صباحاً، ميعاد امتصاص الغذاء في الأمعاء الدقيقة، فيجب أن يتم تناول وجبة الإفطار في هذا الوقت، أما المرضى الذين يعانون من الإنيميا ونقص الهيموجلوبين في الدم فيجب أن يتناولوا وجبة الإفطار قبل الساعة 6.30 صباحاً، أما من يرغب في المحافظة على سلامة جسمه وعقله، فيجب أن يتناول وجبة إفطاره قبل الساعة 7.30 صباحاً، والأشخاص الذين لا يتناولون وجبة الإفطار وتعودوا على ذلك يجب أن يغيروا عاداتهم لأن ذلك من أهم أسباب تلف الكبد، والتأخر في تناول وجبة الإفطار حتى الساعة 9 – 10 صباحاً أفضل من عدم تناولها على الإطلاق.

من منتصف الليل إلى 4 صباحاً، هو الوقت الذي ينتج فيه النخاع العظمى خلايا الدم، لذلك يجب أن ننام مبكراً، وننام جيداً وبعمق، إن النوم المتأخر والاستيقاظ المتأخر يعملان على تعطيل الجسم من التخلص من السموم الموجودة فيه.

أسرار عصير الطماطم

ينصح خبراء التغذية بتناول الطماطم على شكل عصير بعد طحنها بكامل محتوياتها اي بقشرها وبنورها دون أن نضيف إليها الملح. ويمكن تناول العصير إما وحده أو ممزوجاً مع عصير فاكهة أخرى كالبرتقال أو الليمون لأن وجود حامض الليمون يحفظ لعصير الطماطم ثروته من فيتامين «س» وذلك في حالة عدم تناوله في حينه.

ومن أهم المميزات لتناول الطماطم على شكل عصير سهولة امتصاصه، حيث يدخل الدورة الدموية سريعاً حاملاً معه العناصر اللازمة لترميم الخلايا كالفسفور والحديد، بالإضافة إلى تناول الطماطم على شكل عصير يجنب الإصابة بعسر الهضم الذي قد ينجم جراء طبخها مع مواد أخرى، بالإضافة إلى تجنب فقدانها لأي عنصر من عناصرها الغذائية أثناء الطهي.

ويحتوي كل 100 جم من عصير الطماطم على: 23 سعرة حرارية، و 93.500 ماء، و 1 جم بروتين، كربوهيدرات 4.300 ملجم، ألياف سليلوزية 1.600 جم، فيتامين (ب1) 0.030 ملجم، فيتامين (س) 15.600 ملجم، فيتامين (هـ) 0.030 ملجم، حمض ستريك 0.070 ملجم، حديد 0.400 ملجم، صوديوم 230 ملجم، بوتاسيوم 230 ملجم.





مخ المرأة أكفأ وأكثر صخباً

هل هنــاك فرق بين مــخ الرجل ومخ المــرأة؟ الإجابة تأتي بنعــم وفق نتائج دراسة حديثة أجريت في جامعة بنسلفانيا أثبتت هذه الحقيقة بتصوير نشاط المخ، فالرجل يمكنه أن يقضي ساعات لا يصنع شــيئاً تقريبــاً، أما المرأة فصــورة المخ لديها تبدي نشاطاً وحركة لا تنقطع.

وعقل الرجل مكون من صناديق مُحكمة الإغلاق، وغير مختلطة، فهناك صندوق الســيارة وصنــدوق البيــت وصنــدوق الأهل وصنــدوق العمل وصندوق الأولاد وصندوق الأصدقــاء وصندوق المقهى.. وإذا أراد الرجل شــيئاً فإنه يذهب إلى هذا الصنــدوق ويفتحه ويركز فيــه، وعندما يكون داخــل هذا الصنــدوق فإنه لا يرى شــيئاً خارجه. وإذا انتهى أغلقه بإحكام ثم شرع في فتح صندوق آخر وهكذا.

وهــذا هو ما يفســر أن الرجــل عندما يكون في عمله، فإنه لا ينشغل كثيراً بما تقوله زوجتــه عما حدث لــلأولاد، وإذا كان يُصلح ســيارته فهو أقل اهتماماً بما يحدث لأقاربــه، وعندما يشــاهد مباراة لكرة القــدم فهو لا يهتم كثيــراً بأن الأكل على النار يحتــرق، أو أن عامل الصيانة يقف على الباب من عدة دقائق ينتظر إذناً بالدخول.

أمــا عقل المرأة فإنه شــيء آخر: إنه مجموعة من النقاط الشــبكية المتقاطعة والمتصلة جميعاً في نفس الوقت والنشطة دائمــاً.. كل نقطة متصلــة بجميع النقاط الأخــرى، مثــل صفحة مليئــة بالروابط على شبكة الإنترنت، وبالتالي فهي يمكن أن تطبخ وهي تُرضع صغيرها وتتحدث في التليفون وتشــاهد المسلسل في وقت واحد، ويستحيل على الرجل -في العادة- أن يفعل ذلك..

كما أنها يمكــن أن تنتقل من حالة إلى حالة بسرعة ودقة ودون خسائر كبيرة، ويبدو هذا واضحاً في حديثها فهي تتحدث عما فعلته بها جارتها وما قالته لها حماتها ومســتوى الأولاد الدراســي أو ربما في جملة واحدة بسلاسة متناهية، ودون أي إرهاق عقلي، وهو ما لا يســتطيعه أكثر الرجال احترافاً وتدريباً.

الأخطــر أن هــذه الشــبكة المتناهية التعقيد تعمل دائماً، ولا تتوقف عن العمل حتى أثنــاء النــوم، ولذلك نجــد أحلام المرأة أكثر تفصيلاً من أحلام الرجل..

المثيــر فــي صناديق الرجــل أن لديه صندوق اســمه: «صندوق اللاشــيء»، ففي حالات الإجهــاد والضغط العصبي، يفضل الرجل أن يدخل صندوق اللاشيء، وتفضل المــرأة أن تتحدث في الموضوع مع أي أحد ولأطول فترة ممكنة. إن المرأة إذا لــم تتحدث عما يســبب لهــا الضغط والتوتــر يمكــن لعقلهــا أن ينفجر، مثل ماكينة السيارة التي تعمل بأقصى طاقتها رغم أن الفرامــل مكبوحة، والمرأة عندما تتحدث مــع زوجها فيما يخص أســباب عصبيتها لا تطلب من الرجل النصيحة أو الرأي، ويخطئ الرجل إذا بادر بتقديمها، كل ما تطلبــه المرأة من الرجل أن يصمت ويستمع فقط.

والرجــل بطبيعتــه ليس مُهيئــاً لعقد الكثير من هذه الصفقــات المعقدة التي لا تســتند إلى منطق، والمرأة لا تســتطيع أن تحدد طلباتها بوضوح ليســتجيب لها الرجل مباشــرة، وهنا يرهق الرجل، ولا يرضي المرأة.

ووفقــاً لتحليل الدراســة، فإن الرجل مُصمم على الأخــذ، والمرأة مُصممة على العطــاء. ولذلك فعندمــا تطلب المرأة من الرجل شــيئاً فإنه ينساه، لأنه لم يتعود أن يُعطي وإنما تعود أن يأخذ ويُنافس، يأخذ في العمل، يأخذ في الطريق، يأخذ في المطعــم، بينما اعتــادت المرأة على العطاء، ولولا هذه الفطرة لما تمكنت من العناية بأبنائها.

إذا ســألت المرأة الرجل شــيئاً، فأول رد يخطر علــى باله: ولمــاذا لا تفعلين ذلك بنفسك. وتظن الزوجة أن زوجها لم يلبِ طلبها لأنه يريــد أن يحرجها أو يريد أن يُظهــر تفوقه عليها أو يريــد أن يؤكد احتياجها له أو التشــفي فيها أو إهمالها.. هــي تظن ذلــك لأنها شــخصية مركبة، وهو لم يســتجب لطلبها لأنه نسيه، لأنه شــخصية بسيطة، ولأنها حين طلبت هذا الطلب كان داخل صندوق اللاشيء أو أنه عجز عن استقباله في الصندوق المناسب فضاع الطلب، أو أنه دخل في صندوق لم يفتحه الرجل من فترة طويلة.

أغذية حرق السعرات الحرارية

توجد العديد من الأطعمة التي تساهم طبيعياً في عملية التخسيس وهي تحتوي على مواد تجعلها حارقة للسعرات بامتياز ويرصد تقرير لمعهد التغذية في مصر بعضاً منها وهي:

- الفواكه الغنية بالفيتامين ج : الحمضيات خاصة مثل الليمون الحامض والبرتقال والجريب فروت بصفة خاصة، وتطلق عليها تسمية «مقاتلة الحريرات» نظراً للدور الذي يلعبه الفيتامين ج الموجود في هذه الغلال في مساعدة الجسم في التخلص من الدهون.

- منتجات الألبان قليلة الدسم : نظراً لاحتوائها على الكالسيوم الذي يعتبر الحليف الأمثل للحمية لأنه يكسر الدهون ويمنع الخلايا من امتصاصها وبالتالي تراكمها، كما أنه يمنع إنتاج الكوليسترول الضار.

- التفاح: البكتين الموجود في التفاح يحد من امتصاص الخلايا للدهون، كما يساعد الجسم على امتصاص الماء من الأطعمة وبالتالي التخلص بصفة أسرع من الدهون المتراكمة، إن مضادات الأكسدة الموجودة في التفاح تساعد بشكل كبير في تسهيل عملية الهضم السليم وبالتالي التخلص بصفة أسرع من الإضافات غير المرغوب فيها من قبل الجسم.

- الشاي الأخضر: المشروب الأمثل لحرق السعرات إذا كان خالياً من السكر الأبيض الصناعي إضافة على أنه مهدئ جيد للأعصاب ومقاوم للسرطان.

- المكسرات: تساعد على الشعور بالشبع مع زيادة قدرة الجسم على حرق الدهون.

- البروتين : أهم غذاء لتسهيل عملية حرق السعرات، لأن عملية هضم البروتين تستوجب استهلاكاً أكثر للطاقة، وبالتالي حرقاً للسعرات الحرارية، كما أنه يساهم في بناء العضلات وكلما زادت نسبة العضلات في الجسم، زاد حرق الدهون حتى وإن كان الجسم في حالة استرخاء.

- التوابل الحارة: بشرى لكل محبي الأطعمة المبهرة جيداً، فقد أثبتت الدراسات أن الأطعمة الحارة ذات المذاق الحريف تساعد أكثر على حرق الدهون، فالفلفل الحار مثلاً يساعد على زيادة عملية التمثيل الغذائي ويرفع درجة حرارة الجسم مدة 20 دقيقة بعد تناوله، مما يؤدي إلى التعرق وتحفيز دقات القلب.



الرياضة وقاية من الصداع النصفي

ستوكهولم- رغم إن التمرينات الرياضية توصف كعلاج للصداع النصفي في الغالب، إلا أنه لم يظهر في الماضي أي دليل علمي يكفي حقاً لإثبات فعالية هذا العلاج، غير أن بحثاً أجري بأكاديمية ساهلجرينسكا بجامعة جوتنبرج السويدية أظهر أن التمرينات الرياضية لها نفس كفاءة العقاقير الطبية في الوقاية من الصداع النصفي.

ونقلاً عن موقع «ساينس ديلي» فإن الأطباء يستخدمون حالياً وسائل مختلفة للوقاية من الصداع النصفي. ففيما يتعلق بالعلاج الدوائي، أثبت عقار مصنوع من مادة التوبيراميت فعاليته، بينما تتضمن طرق العلاج غير الدوائي، التي تم توثيق آثارها، تمارين الاسترخاء.

ومن خلال دراسة أجريت على عينات عشوائية، استطاع باحثون من جامعة جوتنبرج تحليل مدى فعالية التمرينات الرياضية باعتبارها علاجاً يقي من الإصابة بالصداع النصفي، مثلها مثل تمارين الاسترخاء ومادة التوبيراميت.

وخلصت الدراسة إلى أن التمرينات الرياضية يمكن أن تكون بديلاً لتمارين الاسترخاء ومادة التوبيراميت عندما يتعلق الأمر بالوقاية من الصداع النصفي، كما أنها تناسب بصورة خاصة المرضى الذين لا يرغبون في تناول الأدوية الوقائية أو لا يستطيعون تناولها.

لاتقاطعوا الملح ولا تُسرفوا فيه

لاتفرطـوا في الملح ولا تفرّطوا فيه، لأن الأمر في كليهمـا خطر على الحياة، هـذا ما انتهـت إليه دراسـتان: إحداهما كندية حذرت من أن الامتناع عن تناوله يحـرم الجسـم مـن فوائـده، والثانية أميركيـة اعتبرت أن الإفـراط فيه يزيد من خطر الوفاة، ويهدد بارتفاع الضغط ومشاكل القلب والشرايين..

فقد فحـص الدكتور مارتن أودونيل، الأسـتاذ المسـاعد فـي جامعـة «ماك ماسـتر» بمدينة تورنتو الكندية بيانات أكثر مـن 28 ألف شـخص يعانون من أمراض القلب أو من وجود خطر مرتفع للإصابة بها، واكتشـف أن نسبة كبيرة منهم كانت في الأسـاس تستهلك كميات قليلـة من الملـح، واتضح أن النسـبة المتوسطة لكميات الملح المستهلكة لدى الأشـخاص الذين قام بمراجعة بياناتهم تصـل إلـى 4.8 مليجـرام يوميًا، وأن خطر الوفاة بسـبب مشاكل القلب يرتفع بنسبة9.7٪ لدى من يستهلكون أكثر من 7 مليجرامات يومياً.

غير أن المفاجأة تمثلت في أن الأرقام أشـارت إلى أن الذين تقتصـر الكميات التي يتناولونها مـن الملح على ما بين 2 إلى 3 ملليجرامات يومياً يرتفع لديهم خطر الوفاة بسـبب مشاكل القلب بواقع 0.8٪.

ورجح أودونيل أن جسـم الإنسان - وبخلاف التقديرات القديمة - بحاجة إلى كميات لا بأس بها من الملح، وأن خطر نقـص تلك المادة في الجسـم قد يعادل خطر وجودها بشـكل يفـوق المعدلات المطلوبة.

في حين، حذرت دراسة أميركية من أن الإفراط فـي تناول الملـح والتقليل الشـديد من البوتاسـيوم قد يزيدان من خطر الوفـاة.، وتتعارض النتائج التي توصل إليها فريق من المراكز الأميركية لمكافحـة الأمـراض والوقايـة منها مع دراسة أثارت جدلاً حاداً نُشرت نتائجها مؤخـراً ولم تجد دليلاً علـى أن التقليل من تناول الملح يقلل من خطر الإصابة بأمراض القلب والوفاة المبكرة.

وقال الدكتـور تومـاس فارلي مدير الصحـة لمدينة نيويـورك والذي يقود حملـة للحـد مـن الملـح فـي المطاعم والأطعمـة المعلبـة بنسـبة 25٪ خلال خمس سـنوات «مـا زال الملـح ضاراً لكم».

ويتفـق غالبيـة خبـراء الصحة مع فارلي في أن تناول الملح بشـكل مفرط غير مفيد للصحة؛ وأن التقليل من الملح قد يقلل من ارتفاع ضغط الدم الذي يزيد مخاطر النوبات والسكتات القلبية.

وركـزت دراسـة المراكـز الأميركية لمكافحة الامـراض والوقاية منها والتي نشـرت فـي دوريـة «اركايفيـز أوف انترنال مديسـين» على بحـث يظهر أن النظـام الغذائي الذي يقـوم على تناول الملح بنسبة عالية والبوتاسيوم بنسبة منخفضة محفوف بالمخاطر.

ووصـف فارلـي الـذي كتـب مقالاً افتتاحياً عن الدراسة بأنها أفضل دارسة حتى الآن للآثـار طويلة الأجل للإفراط من تناول الملح.

يذكر أن هيئة الغذاء والدواء الأميركية FDA تنصح بتناول ما لا يزيد عن 2.3 ملليجرام مـن الملح يوميـاً، كما تدعو كبار السن والأطفال والمرضى إلى عدم تنـاول أكثر مـن 1.5 مليجـرام يومياً، في حين تؤكد منظمـة الصحة العالمية ضرورة ألا تزيد كميات الملح يومياً عن 2 مليجرام.





المجمع العلمي

عندما يحترق التاريخ

| د. إبراهيم إسماعيل – الدوحة

أكتب هذه السطور والقلب مكلوم والعقل مأزوم من جراء إقدام شرذمة منا كمصريين على إحراق المجمع العلمي.. ذلكم الصرح العظيم الذي لن يجود الزمان بمثله، ولا بمثل ما حرق من محتوياته. فماذا يريد الذين ارتكبوا هذا الجرم ؟

ماذا دها بعضنا حتى يحرقوا كينونتنا وهويتنا ؟! أحرقت مكتبة الإسكندرية قبل الميلاد، وفي هنا تذكر إحدى الروايات أن ديمتريوس اليوناني بناها وعمرها، وشقيق الملكة كليوباترا بحماقته أحرقها من أجل العرش والملك.

- الخديوي إسماعيل بنى دار الأوبرا وافتتحها في نوفمبر من عام 1869، وأحرقتها أياد خفية في أكتوبر من عام 1971.

- وفي يناير من عام 1952 أحرقت القاهرة وأتت النيران على حوالي ألف منشأة ثقافية وتجارية وسياحية ورياضية لا لشيء إلا لتصفية حسابات سياسية، ولم يعرف أحد حقيقة ذلك العار حتى الآن، فضلاً عن حرائق أخرى كثيرة كان وراءها الإهمال مثل حريق مسرح الهوسابير في تسعينيات القرن الماضي وحريق المركز الثقافي ببني سويف عام 2005 والذي راح ضحيته عشرات المبدعين والمثقفين.

قد يقول قائل إن مرتكبي هذه الجرائم مازالوا مجهولين، وأقول هنا بالضبط ما يطلق عليه «عذر أقبح من ذنب» فإن كنا نعرف فتلك مصيبة وإن كنا لا نعرف فالمصيبة أعظم والخيبة أكبر..

نعود إلى موضوعنا حرق المجمع العلمي، إنه بكل تأكيد نكسة، ووكسة، وكارثة تضاهي في نتائجها إتلاف التتار محتويات مكتبة بغداد في نهر دجلة مع الفارق الكبير، فمن أتلف مكتبة بغداد هم الأعداء وليس العراقيون، أما من أتلف مجمع القاهرة العلمي فليس الأعداء بل المصريون.

ولكي نقف على هول الفاجعة وحجم الكارثة نذكر أن المجمع بناه نابليون بونابرت في مسكنه وسط القاهرة - لاحظوا.. في مسكنه - وبه أكثر من مائتي ألف كتاب ومخطوط وأثر نادر وفريد من نوعه، حرقت جميعها فلم تعد شيئاً منكوراً وللدقة ذكرت جريدة الأهرام في عددها الصادر يوم الاثنين التاسع عشر من ديسمبر 2011 أنه أمكن انتشال اثنين وعشرين ألف كتاب من وسط النيران كل منها نصفه تلف، ومما حرق بشكل تام النسخة الأصلية من كتاب وصف مصر باللغة الفرنسية (21 مجلداً) والدراسات التي أجريت في عهد محمد علي حول منابع نهر النيل وحق مصر في مياهه، ونتائج أبحاث البعثة الألمانية عن مصر والسودان عام 1844 واللوحات الفنية التي تسجل وتؤرخ حياة البشرية قبل اختراع آلة التصوير، والخرائط التي تثبت حق مصر في طابا.. والقائمة طويلة.

النيران ظلت تلتهم محتويات المجمع لأكثر من خمس عشرة ساعة، وألسنة اللهب تخرج لنا من شبابيكه، فكيف عجزت سيارات المطافئ عن إخماد الحريق وفشل الدفاع المدني بوزارة الداخلية عن السيطرة على النيران ؟!، هل ما زالت وزارة الداخلية برجالاتها تتهاون مع الحقراء وتستقوي على الشرفاء ؟.

مع كل ما حدث، ورغم ما يعتصرنا من ألم فإن شعب مصر باستثناء الشرذمة المجرمة قادر على تجاوز الأزمات، ففي ذروة هذه الأجواء الكئيبة كنت أسري عن نفسي بمتابعة شباب مصر في دورة الألعاب العربية التي أقيمت بالدوحة خلال شهر ديسمبر، لقد حصدت مصر معظم ميداليات هذه الدورة واحتلت المركز الأول بفارق كبير عن المركز الثاني، وأقول بكل صدق ومن صميم الفؤاد إن الأشقاء العرب كانوا فرحين لتفوق مصر، سمعتهم يقولون لنا «وش الثورة حلو عليكم» فلعلها تكون كذلك ويكون حريق المجلس العلمي آخر الحرائق.

«قَلْبُ الإنسان»!

قَلْبُ الإنسان. كمثريّ الشكل، في حجم قبضة اليد. يَزن ما بين 225 إلى 340 جراماً، وينبض بمعدل 70 مرة في الدقيقة أي 4200 مرة في الساعة، أي 100.800مرة في اليوم.
أي 36.792.000 مرة في السنة، فإذا كان متوسط عُمْر الإنسان 60 سنة فإن هذا يعني أن هذا القلب العجيب يكون قد نبض 2.207.000.000 مرة (أي مليارين ومائتين وسبعة ملايين وخمسمائة وعشرين ألف نبضة) دون توقف! «فتبارك الله أحسن الخالقين».

خيري أبوالروس
مصر - كفر الشيخ

شجرة الزيتون

تنمو
فتشرئب نحو الشمس والسحب
وتخورُ
فتلتحم مع الأعماق المحتجبة
وتتكاثف
فتغدو مُختباً وستراً لمن لجأ
وتثمرُ
فتمنح لحمها وزيتَها لمن يطلب
ونورها للذي يأتنس
غير أن الجرافة الماحقة
وسيارة الليكسوس الداهية
ورسلاً للصيرورة والتقدم
ومنافسين غيرهم في الكوكب
يُشهرون النشيدَ في وجهها
ويُعلون فوقها أقمارَهم

نبيل قاسم - الجيزة - مصر



«من صفحتنا على الفيسبوك»

ياجماعة... يا كل المترددين على هذه الصفحة مجلة الدوحة دول خطيت معاها أولى خطواتي في عالم الصحافة وكنت أكثر الناس حزناً عندما توقفت عن الصدور دا حتى عم أحمد بتاع الجرايد لما كنت بسأله عليها كان يقولي حبيبتك لسه ما جتش - هذا ليس تملق أو رياء - ... أنا حالياً رئيساً لقسم الاقتصاد بجريدة المصري اليوم - القاهرة - سعدت أيما سعادة بعودتها للصدور واليوم حالفني الحظ بالاطلاع على صفحتها على فيسبوك -

ناجي عبد العزيز جاد

لماذا تأخرت النسخة الإلكترونية لشهر أكتوبر؟ النسخة الورقية أصبحت شديدة الندرة هذه الايام. نرجو زيادة التوزيع في مصر.

محمد السلاموني

المحرر
الأصدقاء، سارة أحمد، ومحمد السلاموني، والقراء الأعزاء، يسرنا في مجلة الدوحة أن نخبركم بأن الزيادة في المطبوع والنسخة الإلكترونية في الطريق إلى متناولكم.

تضيف المجلة ثراء إلى ثرائها.. فعلاً مجلة مواكبة للتطور الثقافي والفكري.

عبد الله الباري

أطيب التحيات والتقدير لجهودكم... هل في نيتكم إنزال كتاب الدوحة مثل ما تفعلون مع المجلة وشكراً؟.

أمير وسيل

كيف؟

شكراً لجهود مجلتكم لإثراء الثقافة، لدي سؤال بخصوص توفر المجلة في أنحاء المملكة فأتمنى الحصول على الأعداد السابقة للمجلة، فهي غير متوفرة في جدة، فكيف يمكنني الحصول عليها؟

رحاب سليمان
رسالة بالبريد الإلكتروني

* المحرر: للأسف الأعداد غير متوفرة وسنعمل على زيادة المطروح من المجلة بالمملكة.

التوزيع بالأردن

لماذا لا تصل مجلتكم إلى الأردن.. حيث تعذر تحميلها على النت، أمنياتنا لها بالاستمرار والتقدم.

* محمد الزعبي
رسالة إليكترونية

* الدوحة: توزيع المجلة في الأردن متاح ولكن بأعداد قليلة ومستقبلاً سيتم التغلب على مشكلة التوزيع، كما يجري حالياً إعداد الموقع الإلكتروني الخاص بالمجلة.

«شاعر الحرية»

السادة الكرام القائمون على مجلة الدوحة الثقافية في دولة قطر الحبيبة المحترمون.ص
كنت قد راسلت إدارة مسابقة شاعر الحرية، طالباً منهم (ديوان شاعر الحرية) والذي يعتبر أحد إصدارات وزارة الثقافة والفنون والتراث الموقرة، فأعلموني بأنه تم طبع الديوان بكمية محدودة وقد وزعت على الحضور في أمسية شاعر الحرية بالإضافة إلى توزيع عدد من النسخ على الشعراء المشاركين.
ولا أخفيكم علماً بأنني كنت أترقب وأتوقع صدور ديوان شاعر الحرية مرافقاً لمجلة الدوحة الغراء، ولكن هذا لم يحدث، لذا اقترح عليكم، بل أرجو منكم أن تصدروا الديوان كإحدى الهدايا المجانية المرافقة لمجلة الدوحة الشهرية للعدد القادم إن شاء الله تعالى، مقدراً لكم جهودكم المخلصة في نشر الوعي والثقافة والتنوير في شباب الأمة العربية.

وتقبلوا خالص الشكر والامتنان، وجميل التقدير والعرفان.

* الدوحة: لدينا خط اخترناه لكتاب الدوحة وهو استعادة أفكار النهضة، وهذا ما يمنعنا من تحقيق أمنيتك العزيزة.

تقرير العدد (49)

السادة القائمون على مجلة الدوحة الغرّاء المحترمون

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قرأت العدد السابق من مجلتكم الكريمة - العدد 49 لشهر نوفمبر 2011 من الغلاف إلى الغلاف، وها أنا ذا أقدم لكم تقريراً مختصراً وموضوعياً لمثقف وقارئ من الدرجة الأولى، والتقرير كالتالي:

صور أعجبتني

توماس ترانسترومر - ص 102

الشاعر في شبابه

الشاعر في كهولته

الشاعر في شيخوخته

أولاً: عناوين أعجبتني

القراءة طعم الحب

المرأة نصف الثورة الحلو

جسد المرأة ساحة للحرب - ص 24

ثانياً: عناوين خدعتني

يا ما تحت اللحايا خفايا

تاريخ الحرية

القارئة اللئيمة

ثالثاً: عناوين أدهشتني

أمهات الثورة.. تاء التحرير

آلبرتو مانغويل.. المهنة: قارئ - ص 68

قرأت حتى شُفيت - ص 100

رابعاً: مواضيع أعجبتني

المسلمون في الصين.. تاريخ المعاناة والتسامح -ص 132

البركة في اللوح الأكثر مبيعاً

ضحكة هاجر - ممدوح عبد الستار

خامساً: مواضيع أدهشتني وأذهلتني

لا أحد يحتسي القهوة الافتراضية - جهاد بزي - ص 78

فك المربوط - أمير تاج السر - ص - 111

فصل من حصة الألم - محمود قرني

والدٌ يحتضر، وولدٌ يتقعّر - ص 159

وتقبلوا خالص الشكر وجزيل الاحترام.

زكريا السنباني

* الدوحة: نشكر لك اهتمامك الذي يحفزنا لأن نبذل أقصى ما لدينا من جهد لإرضاء القارئ مع مزيد من التقارير الهادفة.

الكلب عندما يغضب

تلقينا هذا الرد الغاضب على قصيدة نشرناها وأثارت غيرة «الكلب» على الأوزان و«الكلب» مجلة ساخرة يصدرها بخط اليد الكاتب والمترجم غازي أبوعقل من اللاذقية، المجلة أسسها الشاعر صدقي سليمان عام 1945.

إرادة الشعوب

قصيدة كتبها الطيب بن عبيد، من مكناس في المغرب، ونشرَتها الدوحة الثقافية - لأسباب غامضة - في آب 2011. قرأَ المحرر الثقافي لجريدة «الكلب» تلك القصيدة وهذا هو انطباعه عنها..

تَنكّرتُ ما ارتكب الجنجويد بدارفور يوماً. فكادتْ تَبيدُ فظائع تخجل منها الوحوش بأمر البشير.. وهذا أكيد ولكنها لا تضاهى بتاتاً بما ارتكب الطيبُ بنُ العبيدْ، هو انتهكَ الشعرَ مستهتراً وعاث فساداً ببيت القصيدْ وداسَ الفصاحة دون اهتمام، وظَنَّ البلاغة خبزاً قديد جريدتنا - أقصد الكلبَ طبعاً - يخيم فيها الذهول الشديد لما قرأتْ من بيان ركيك وهبرمة فجّة لا تفيدْ(1).

بفيك تقولُ له: كثكثُ لمنعكَ من ارتكاب المزيدْ (2)، فكيف تمكنَ من «دَوحةَ» هي اليومَ بالفعل.. «عقْدٌ فريدْ»؟

شعير الثقافة أصبح قمحاً لديها.. بفضل أديب عتيد طَرَحْنا السؤال على «كلبنا» ففي «الدوحة» اليوم نهجٌ جديدٌ فَرَدّ: سأغفر هَفْواته إذا حَرَمَ الشعراءَ الثريد، وغرّمهم بالذي يفترونَ على الشّعر.. من هنيانٍ بليدْ..

«مجلة الكلب»

1- الهَبرمَة: الثرثرة

2- في موقعه حُنين، حين كَرَّ المسلمون، قال أبو سفيان: غلَبتْ والله هوازن، فصاح به صفوان بن أمية: بفيك الكثكث..

الكَثكث: دقائق الحصى والرمل.. ولعلها أصل كلمة كوسكوس المغربية

امرأة اليمن

اطلعنا باهتمام على العدد (49 - نوفمبر 2011م)، وبالأخص على ملف (المرأة.. نصف الثورة) وتناولات أخرى تطرقت إلى دور المرأة اليمنية في الثورة وتضحياتها.

وحرصاً منا على إثراء تلك المواضيع بالمزيد من المعلومات حول الجرائم المرتكبة بحق المرأة والطفل في اليمن منذ مطلع يناير الماضي، نرسل إليكم نسخة مصورة (باللغة العربية) من التقرير الذي أعددناه في المبادرة ومازلنا نضيف التحديثات عليه أولاً بأول، ونتابع رصد جميع الانتهاكات والجرائم التي ترتكب، وذلك حرصاً منا على إطلاعكم على تلك الجرائم وتزويدكم بمعلومات قد تفيدكم في أية تناولات موسعة في ذات الموضوع.

ودمتم ذخراً لوطننا العربي والإسلامي.

* إخوانكم في المبادرة الوطنية لمناصرة المرأة والطفل في اليمن

إشراف الخبير القانوني محمد الحاج الصالحي

إعداد الناشطون: أحمد شبح - نكرى الواحدي- محمد علي الحسني.

* الدوحة: التقرير جهد كبير ورصد واف وتوثيق متكامل لكل الاعتداءات والجرائم المرتكبة بحق المرأة والأطفال اليمنيين، والتي تعتبر جريمة مستمرة لا يجوز التصالح عليها.

خلاف الأصل والفرع

من أينَ دخلت الآفة على أصحاب المذاهب حتى افترقوا هذا الافتراق، وتباينوا هذا التباين، وخرجوا إلى التكفير والتفسيق وإباحة الدم والمال ورد الشهادة وإطلاق اللسان بالجرح وبالقذع والتهاجر والتقاطع!

فكان الجواب: إن المذاهب فروع الأديان، والأديان أصول المذاهب، فإذا ساغ الاختلاف في الأديان - وهي الأصول - فلم لا يسوغ في المذاهب وهي الفروع.

فقال: ولا سواء، الأديان اختلفت بالأنبياء، وهم أرباب الصدق والوحي الموثوق به، والآيات الدالة على الصدق؛ وليس كذلك المذاهب.

أبو حيان التوحيدي
«الإمتاع والمؤانسة»

في صحبة السلطان



قال خالد بن صَفوان: من صحب السلطان بالصحّة والنصيحة أكثرُ عَدُوا ممن صحبه بالغش والخيانة، لأنه يجتمع على الناصح عدوُ السلطانِ وصديقُه بالعداوة والحسد، فصديقُ السلطان يُنافسه في مَرتبته، وعدوُّهُ يُبغضه لنصيحته.

- قال ابن المقفع: ينبغي لمن خَدم السلطان ألا يغتر به إذا رضي ولا يتغيّر له إذا سَخط، ولا يستثقل ما حمّله، ولا يُلحف في مسألته. وقال أيضاً: لا تكن صُحبتك للسلطان إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم، فإن كنتَ حافظاً إذا ولّوك، حَذراً إذا قرّبوك، أميناً إذا ائتمنوك، ذليلاً إذا صَرموك، راضياً إذا أسخطوك، تعلّمهم وكأنك متعلّم منهم وتؤدبهم وكأنك متأدب بهم، وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر، وإلا فالبعدَ منهم كلَّ البعد، والحذرَ منهم كل الحذر.

الخلق في الفن

ليس الخلق أن تخرج من العدم وجوداً، إنما الخلق في الفن - وربما في غيره أيضاً - أن تنفخ روحاً في مادة موجودة. كذلك صنع أعظم الخالقين يوم أوجد آدم. لم يمد يده العلوية إلى الفضاء قائلاً: «كن!» فكان. ولكنه مد يده إلى الطين - مادة وجدت قبل آدم فسوى منه ذلك المخلوق الحي.

لا شيء يخرج من لا شيء. كل شيء يخرج من كل شيء. ذلك هو الدرس الأول في الخلق، وقد تلقيناه عن الخالق الأكبر.

وليس الابتكار في الفن كذلك أن تطرق موضوعاً لم يسبقك إليه سابق، بل الابتكار هو أن تتناول الموضوع الذي كان يبلى في أصابع السابقين، فإذا هو يضيء في يديك بروح من عندك. الكثير من موضوعات «شكسبير» نقل عن «بوكاشيو»، وبعض «موليير» عن «سكارون». و«جوته» في فاوست عن «مارلو». ومآسي «راسين» عن مآسي «ايروبيد». وايروبيد وسوفوكل وأشيل عن «هوميروس» وشعراء الشعب المجهولين المتنقلين بالأساطير.

* توفيق الحكيم
مجلة «الكاتب المصري»

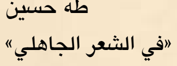
كثير من الكذب



.. وكَـذبُ أصحـاب العلـم على الجاهليين كثير لا سبيل إلى إحصائه أو استقصائه. فهو ليس مقصوراً على رجال الدين وأصحاب التأويل والمقالات ورجال اللغة وأهل الأدب، وإنما هو يجاوزهم إلى غيرهم من الذين قالوافي العلم مهما يكن الموضوع الذي تناولوه.

لأمر ما كان البِدْعُ في العصر العباسي عند فريق من الناس أن يرد كل شيء إلى العرب حتى الأشياء التي استحدثت أو جاء بها المغلوبون من الفرس والروم وغيرهم. وإذا كان الأمر كذلك، فليس لانتحال الشعر على الجاهليين حد.

طه حسين



«في الشعر الجاهلي»

فضل كلمة

ومن المعلوم أن جزيرة العرب مثلاً لم يكن بها قبل نزول القرآن إلا شعب بدوي يعيش في صحراء مجدبة يذهب وقته هباء لا ينتفع به، لذلك فقد كانت العوامل الثلاثة: الإنسان، والتراب، والوقت، راكدة خامدة، وبعبارة أصح مكدسة لا تؤدي دوراً ما في التاريخ حتى إذا ما تجلت الروح بغار حراء كما تجلت من قبل بالوادي المقدس أو بمياه الأردن - نشأت من بين هذه العناصر الثلاثة المكدسة حضارة جديدة فكأنما ولدتها كلمة (اقرأ) التي أدهشت النبي الأمي وأثارت معه وعليه العالم، فمن تلك اللحظة وثبت القبائل العربية على مسرح التاريخ حيث ظلت قروناً طوالاً تحمل للعالم حضارة جديدة وتقوده إلى التمدن والرقي.

ومما هو جدير بالاعتبار أن هذه الوثبة لم تكن من صنع السياسيين ولا العلماء الفطاحل بل كانت بين أناس يتسمون بالبساطة ورجال لا يزالون في بداوتهم غير أن أنظارهم توجهت في تلك اللحظات إلى ما وراء أفق الأرض فتجلت لهم آيات في أنفسهم، وتراءت لهم أنوارها في الآفاق.

مالك بن نبي

«شروط النهضة»

في مديح المجنون

إن العيب كلَّ العيب، أن لا يكون في الأمة غير مجنون واحد يحدّث الناس عن مآسي الأرواح، وأشجان الأفئدة، وأوطار النفوس.

العيبُ كل العيب، أن يصبح الحب أسطورة من الأساطير تُمثّل في حديث قيس مع ليلاه، وهو روح الدنيا وسرُّ الوجود.

إن العصر الأموي كاد يضيع ضيعة أبدية بعد أن قضت مكايد السياسة بتبديد ما ظهر فيه من آثار العقول، ولكن الله لطف بذلك العصر حين أبقى لنا منه شخصية المجنون، فقد شرّقت تلك الشخصية وغرَّبت حتى عطَّرت أنفاس الشعراء في المشرقين والمغربين.

هل فيكم من قرأ كتب الصوفية؟

إن كان فيكم من أحسَّ لهب تلك الأنفاس الحرار، فهو يعرف أن «ليلى» و«المجنون» أصبحا رمزين من رموز اللوعة الروحية.

ولو أن قيسا وجد من ينصفه لعدَّه الناس قيثارة ربانية تَصْدحُ بأشواق المحبين الربانيين إلى الجوهر المكنون في صدر الوجود.

د. زكي مبارك

مقدمة ديوان «مجنون ليلى»



فرج بوالعشة

إلى ليبيا التي أعنيها.!!

1

في ليبيا ـ في مضارب البدو ،هناك في أدغال الجبل الأخضر ـ سقط رأسي. قبل خمسة وخمسين حولاً، عندما كان الاستقلال حابياً في زمن التراكوما والذباب. نصبتُ الفخاخ للحجل الغبي في نجوع عشيرتي. رعيتُ أشكس الجديان في وديانها. وأرضعتني أمي حليب الحمير للوقاية من السعال الديكي..

في ليبيا تلك....

تلك التي عششتْ في لحية سيدي عمر البيضاء كقرية فاضلة. التي في نصاعة تكوم الثلج على قبة ضريح «سيدي الحمري» في شتاءات البدو القاسية. في مناق كشكشة مخاض اللبأ.

ليبيا، التي روحها من روح سِيدي عمر، وهو يقف أمام المشنقة الفاشية، رانيا عبر قفار سلوق إلى الجبل الأخضر البعيد وقد غاب كل الرفاق:

ـ قم بعملك يا جلاد. سوف أعيش أطول من كل أعمار الجلادين على مر كل العصور التي كانت وستكون، ما دام عمري بعمر كل حر.

2

تأخذني سنة من نوم «أركيومعرفي» في تجاويف كهف نبع أبولو 5 الرقراق منذ الأزل...

تمر قرون إلى الوراء (فلاش باك)..

أفزّ إذ يهزني الجد الجلجامي في الهزيع الأخير:

ـ لدينا ضيوف.

ألتحقُ به وهو يقود وراءه أوائل الإغريق القادمين من جدب كريت إلى قمة هضبة شحات المتحدِّبة.

هناك نظر جدي إلى كبد السماء مشيراً بإصبعه:

ـ هنا ثقب الماء.

وسوف تنبثق قورينا وفلسفة اللذة وسونسيوس ..

3

ليبيا التي أعنيها، أمازيغيوها، اليوم، عالقون بنواحي جبلها الغربي، بلسان منقرض لا تطاله أبجديات الحروف الحيّة. بدوها متشبثون إلى ما لا نهاية بالرواية الهلالية المكرورة على ألسنة الجدات لألف عام وعام عن أولئك المنبثقين من صفحة بلاد الأحقاف...

جاءوا من غرب شعاب مرجان الروح الرخوة. من شرق قبائل العلهين وظلمات الظمأ. من جنوب أرض العوالق وصغائر الأمور. ومن شمال سبل العيش المختنقة. فكان المخرج برقة، عندما نادى بوزيد في قومه:

برقة برقة لولا رجالها. حيث الأوراق لصيقة الأوراق والسماء لا تُرى من أجنحة الطيور إلا عند هجوعها في الغروب والعشب يبتسم تحت الأقدام فيما الماء يقهقه وشبَاع حباريها وجبات صقورها.

إليها عبر بني هلال وبني سليم براري الأحساء وصحراء شرق الأردن وصعيد مصر الشاسع، قبل أن تحط أقدامهم في الجبل الأخضر العظيم. وكان مرعي قد مات في «السلوم» بداء السل الدراج وقتها كالزكام في يومنا.

4

ليبيا التي أعنيها،

ليبيا الصفيح والوحل فيما منيع الراديو الملكي يصيح:

ها هو النفط يفيض ويتدفق.

ثم إذ بملازم أول انقلابي (لمعطيات واقعية سحرية) يقفز على المذياع زاعقاً باسم الحرية والاشتراكية والوحدة العربية. فتتكاثر المشانق المتدلية بأعناق الفتية الاستثنائيين، في الساحات الجامعية والملاعب الرياضية، لأنهم أحبوا ليبيا على طريقتهم خارج نص «الأخ القائد».

5

ليبيا التي أعنيها، ليبيا ذات صباح بلا عقيد. ولا كتاب أخضر، ولا هم يحزنون، بحيث أعود لأتنزه ذات عشية ربيعية بين أطلال قورينا، وأتجرع الماء البارد من مجرى نبع أبولو مباشرة بفمي، وأسبح على الظهر في خليج رأس الهلال أوان الغروب في أغسطس/آب، وأستعيد متعة العثور (مرة ثانية) على «جمة (النادرة) في أدغال وادي «الكوف» بعد عناء.

في ليبيا غداة سقوط العقيد:

أرتشف فنجان قهوة الصباح من يد أمي.

سلاماً عليك أيتها البرعصية الطيبة. مثل كل أمهات الأرض الطيبات. سلاماً عليك بعدد فصوص سبحتك المجلوبة من مكة وهي تنزلق بين سبابتك وإبهامك تسعاً وتسعين مرة في تكرار بلا انقطاع حتى يهزمك النوم جالسة في مكانك.

وسلام على أطلال قورينا ونبع كيرا الجاري منذ الأزل. سلام على «جمة الفتاة» في ندرتها المشتهاة في تضاعيف صخور نهاية الوادي العظيم. سلام من لدن الفتى المنفيّ ها هنا، في بلاد الجرمان، معاقراً البوربون والعزف بالكلمات على الكيبورد وما أنزل العقل من شكوك.